مجلة القُلزم

ISSN: 1858 - 9766

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر الخرطوم - السودان

- النفوذ الأجنبي في سواكن خلال القرن التاسع عشر الميلادي
  د. أنعم محمد عثمان الكباشي
- الأصل الآكسومي الحميري لملوك المقرة (رؤية تحليلية)
  د. عوض أحمد حسين شبا
- أمارة قبيلة ربيعة في وادي العلاقي بأرض البجة
  من 132هجرية /750 ميلادية وحتى سنة 815 هجرية /1412ميلادية
  د. عوض عبدالجليل أبوبكر محمد
- أنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتها في العهد السعودي
  د. أحلام علي أحمد أبوقايد

العدد الثاني شوال 1441هـ-يونيو 2020م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية - السودان
مجلة القلزم: Al-ghulzum Journal Scientific
الخرطوم: مركز دول حوض البحر الاحمر2020
ربع سنوية تصدر عن دار القلزم لطباعة والنشر السودان
ردمك: 9766 - 1858

هيئة تحرير مجلة القلزم العلمية الدولية المحكمة ربع سنوية
تصدر عن مركز بحوث ودراسات دولة حوض البحر الاحمر وكلية المناهل للعلوم - السودان

ISSN: 1858 - 9766

رئيس هيئة التحرير
د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير
د. عوض أحمد حسين شبا

نائب رئيس التحرير
د. سلمي عثمان سيدأحمد

سكرتير التحرير
أ. عثمان يحيى

التدقيق اللغوي
د. مجتبى نور الدائم حسن (السودان)
د. خالد بابكر الدرديري (السودان)

الإشراف الإلكتروني
د بهية فهد الشريف (المملكة العربية السعودية)

التصميم والاخراج الفني
أ. إيلين عبدالرحيم إبنعوف (السودان)

الهيئة العلمية والاستشارية
أ.د. يوسف فضل حسن (السودان)
أ.د. علي عثمان محمد صالح (السودان)
أ.د. عبدالعزيز بن راشدالسنيدي (المملكة العربية السعودية)
أ.د. أبوبكر حسن محمد باشا (السودان)
أ.د. محجوب محمد آدم (السودان)
أ.د. سيف الإسلام بدوي (السودان)
أ.د. صبري فارس كماش الهيتي (العراق)
أ.د. محمد البشير عبدالهادي (السودان)
أ.د. محمدعلي محمد نوفل (جمهورية مصر العربية)
د. علي صالح كرار(السودان)
د. سامي شرف محمد غالب (اليمن)
د. محمد عبدالرحمن محمد عريف (جمهورية مصر العربية)
د. دينا السيد عشري حسن (جمهورية مصر العربية)

الاراء والافكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن اراء المركز

ترسل الاوراق العلمية عبر العنوان التالي
هاتف: 249121566207+ - 249910785855+
بريد إلكتروني: rsbcrsc@gmail.com
السودان -الخرطوم - اسوق العربي عمارة جي تاون الطابق الثلاث

قواعد النشر في مجلة القُلزم العلمية المحُكمة للدراسات التاريخية والآثارية

مجلة ربع سنوية تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان - الخرطوم بالتعاون مع كلية المنهل للعلوم

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط(Traditional Arabic)بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
5. لا تلتزم هئية تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.

* على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

السودان - الخرطوم - السوق العربي - عمارة جي تاون - الطابق الثالث
121566207-Tel:+249:910785855
E-meil:rsbcrsc@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

القاريء الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

نحمد الله كثيراً أن وفقنا في إصدار العدد الثاني من مجلتكم العلمية القلزم إلتزاماً بالجدول الزمني الذي وضعناه بحيث يصدر أربعة أعداد خلال العام، وتعلمون أن العدد الأول تأخر عن موعده بعض الشيء مما قلص الزمن المحدد للعدد الثاني في منتصف شهر يونيو ولكن كان تفاعل الباحثين الكبير للنشر في المجلة ورفدها بعدد مميز من الدراسات - تجاوز العدد الثاني إلي الثالث - دافعا قوياً لأسرة التحرير للمثابرة وبذل الجهد لإصدار هذا العدد في ميقاته المضروب.

يحوي هذا العدد دراسات مهمة إثنين منها الهجرات العربية إلي الساحل الغربي للبحر الأحمر، ودراسة وثائقية لميناء سواكن، وكذلك دراسة عنأنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتها في العهد السعودي، وقد يلاحظ القاريء الكريم أن دولة السودان قد حظيت بدراسات متخصصة دون غيرها من دول حوض البحر الأحمر، ونرجو في مقبل الأعداد خلق نوع من التوازن في مثل هذه الدراسات المختصة كما سنفرد ملفاً ثابتاً في كل عدد للتعريف بإحدي دول الحوض.

ويعلم القارىء الكريم بأننا في بداية المشوار ونسعي دوماً للتجويد والتجديد بفضل ملاحظاتكم وتوجيهاتكم، وننتهز هذه السانحة لنلفت نظر الباحثين المشاركين بأن أسرة التحرير وضعت موجهات لكتابة المستخلصات تتمثل فى عنوان الدراسة،الأهمية، الاهداف،منهج الدراسة وأهم النتائج، وذلك لتوحيد فكرة عرض محتوي الدراسة.

وآخيراً نزف لحضراتكم إفتتاح الموقع الإلكتروني الرسمي لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر حيث يمكنكم مطالعة وتحميل أعداد المجلة من خلال الرابط التالي: Rsbcrsc.net.

مع فائق الاحترام والتقدير

هيئة التحرير

الفهرس

1. النفوذ الأجنبي في سواكن خلال القرن التاسع عشر الميلادي

د.أنعم محمد عثمان الكباشي..... 6 - 22

2. أمارة قبيلة رَبِيعَة في وادي العلاقي بأرض البجة

د. عوض عبد الجليل أبوبكر محمد..... 23 - 61

3. الأصل الأكسومي الحميرى للأسرة الملكية في مملكة المقرة (رؤية نقدية تحليلية)

د. د. عوض أحمد حسين شبا.....62 - 76

4. أنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتهافي العهد السعودي...

د. أحلام علي أحمد أبو قايد.....77 - 109

5. التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الخليفة عبد الله وأثرها في سقوط الدولة المهدية (1885-1898م)

نبيل رابح آدم سعيد.....110 - 127

6. مؤتمر القمة العربي بالخرطوم 1967م «دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج»

د.مهند فاروق.....128 - 153

7. حبس المدين في الدعوي التنفيذية

د. بشير الريح حمد محمد.....154 - 173

8. Challenges of Urbanization to Squatter Settlements in Greater Khartoum-

Samir Mohamed Ali Hassan Alredaisy

194 - 174.....

9. Appropriateness of Communicative Language Teaching to Sudan

Context: Teachers> Perspective

Prepared by Dr. Tahiya Alshaikh Alhameem Yousif

214 - 195.....

النفوذ الأجنبي في سواكن خلال القرن التاسع عشر الميلادي

د.أنعم محمد عثمان الكباشي[1]

مستخلص

تسلط هذه الورقة الضوء على ميناء سواكن خلال القرن التاسع عشر، والأهمية التي كان يحوز عليها هذا الميناء خلال تلك الفترة. وتتناول الدراسة تلك الأهمية وفقا للأطماع الأجنبية التي كانت موجهة تجاه المدينة، خاصة من القوى الأوروبية الاستعمارية مثل إنجلترا وإيطاليا، إضافة إلى النفوذ العثماني، إذ كانت الدولة العثمانية تنظر إلى سواكن باعتبارها جزءا لا يتجزأ من أراضيها. وتعتمد الدراسة على الوثائق العثمانية الموجودة بالأرشيف العثماني باستانبول، على أساس أن هذه الوثائق تمثل مصدرا أوليا لهذا الموضوع، وهي بالتالي محاولة للفت انتباه الباحثين إلى أهمية الوثائق العثمانية بالنسبة لتاريخ السودان الحديث.

مقدمة

تعتبر سواكن أحد أهم الموانئ المطلة على البحر الأحمر، وهي أحد أضلاع المثلث الذي شكل إيالة/ولاية الحبشة في القرن السادس عشر الميلادي. وقد كان لواء سواكن الذي أسسه العثمانيون في 10 أبريل 1554م هو النواة الفعلية لولاية الحبشة، ويعتبر عبد الباقي بك هو أول أمير لهذه اللواء. وفي 5 يوليو 1555م، تأسست ولاية الحبشة بصورة رسمية[2]1، وأصبحت بالتالي ولاية عثمانية. ويمكن أن نصف ولاية الحبشة بكونها «ولاية بحرية»، وذلك لأن المدن التي تشكلت منها الولاية، هي في الأصل موانئ مطلة على سواحل البحر الأحمر بضفتيه الشرقية والغربية، وهي سواكن وجدة ومصوع.

لقد كان مهما جدا أن يقوم العثمانيون بهذه الخطوة، أي تأسيس ولاية الحبشة، وذلك لمواجهة الخطر البرتغالي الذي كان قد بدأ ظهوره يلوح في الأفق خلال بدايات القرن السادس عشر الميلادي[3]2. وبالطبع فإن القضاء على مثل هذا الخطر الجسيم لا يتم بواسطة إرسال قوات بصورة مؤقتة، تقوم بأداء مهمتها ثم تعود من حيث أتت، بل لابد من تركيز قوة إدارية وسياسية تكون بمثابة صمام الأمان لجميع مناطق البحر الأحمر من المخاطر الأجنبية، وقد تمثل ذلك في تأسيس ولاية الحبشة، والتي أصبحت تشكل قوة عثمانية مع ولايتي مصر واليمن. واعتبارا من تأسيس لواء سواكن، ثم تشكل ولاية الحبشة، أصبحت سواكن تمثل أهمية كبيرا بالنسبة للدولة

---

1 أستاذ مشارك، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم التاريخ.

2 1 Cengiz ORHONLU، OSMANLİ İMPARATORLUĞU´NUN GÜNEY SİYASETİ HABEŞ EYALETİ، Ankara، 1996، p. 37.

3 2 أنعم محمد عثمان الكباشي، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني، الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال 1433هـ، ص. 194.

العثمانية، وقد استمر هذا الوضع حتى سقوط المدينة تحت السيطرة البريطانية.

في هذه الدراسة نحاول أن نتناول بعض الوثائق العثمانية المتعلقة بسواكن خلال القرن التاسع عشر، وهي وثائق تعكس الأهمية الواضحة للمدينة في الفترة موضوع الدراسة، وكيف أن هذه المدينة كانت تمثل أهمية كبيرا ليس للدولة العثمانية فحسب، بل لكثير من الدول الطامعة فيها، وعلى رأسها إنجلترا، مما جعلها قضية للنقاش والتداول بين الدولتين، أي الدولة العثمانية وإنجلترا.

لعل من أهم الوثائق العثمانية التي تتناول الأهمية الكبيرة لسواكن، باعتبارها أحد مواضيع الساعة خلال تلك الفترة، هو الاستفسار الصادر من مجلس الوزراء العثماني بخصوص الوضعية التي سوف تكون عليها سواكن في حالة أن تقوم الدولة العثمانية بإرسال عساكر إليها، وما إذا كانت إنجلترا سوف تقوم بسحب عساكرها من المدينة أم لا. وبالطبع فإن عملية سحب العساكر أو عدمها متوقف على إمكانية الدولة العثمانية في تركيز عساكر من طرفها في المدينة. ولا شك أن ذلك يعكس لنا بصورة أو بأخرى مدى الصراع الدولي الذي كان متمركزا حول سواكن خلال تلك الفترة، وبالتحديد الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي. ومن جهة أخرى فإن التداولات التي كان يقوم بها مجلس الوزراء العثماني إبان الفترة المشار إليها، توضح لنا بجلاء مكانة سواكن من خلال العلاقات الدولية.

لقد أشارت هذه الوثيقة العثمانية بوضوح إلى أن سواكن تعتبر جزءا لا يتجزأ من أراضي الدولة العثمانية، وبالتالي من واجب العثمانيين الدفاع عن هذا الجزء المهم من أراضيهم43. أما فيما يتعلق بمسألة إرسال عساكر عثمانيين إلى سواكن، فهو مقترح مقدم من دولة إنجلترا، وعلى وجه الخصوص من طرف اللورد غرانويل، وذلك باعتبار أن سواكن أرض عثمانية. وعند الإشارة إلى اللورد غرانويل، فهو لم كن موجودا مع العساكر الإنجليز في سواكن من أجل القيام بعمليات عسكرية هناك، بل كان يرى أنه من الضروري أن تقوم الدولة العثمانية بإرسال عساكر عثمانيين إلى مدينة سواكن، إذ يعتبر هذا الرأي من وجهة نظره هو الرأي الصائب والصحيح. وإذا جئنا إلى رأي دولة إنجلترا حول هذا الموضوع، فنلاحظ أنها أعلنت بأنها سوف لن تنسحب من سواكن ما لم تنته العمليات العسكرية الجارية فيها54.

بناء على برقية مرسلة من السفارة العثمانية بروما إلى نظارة الخارجية (وزارة الخارجية) العثمانية بتاريخ 9 فبراير 1885، فقد قامت القوات الإيطالية في اليوم الخامس من هذا الشهر باحتلال مصوع، دون أن تواجه أدنى مقاومة. وبعد إكمال عملية الاحتلال هذه، تم رفع العلم

---

1 3 4 (OA، Y.A.HUS 181/17).

4 5 OA، Y.A.HUS 181/17 (2)، OA، Y.A.HUS 181/17 (3)، OA، Y.A.HUS 181/17 (4)).

الإيطالي إلى جانب العلم المصري. وحسب ما هو متداول فإن احتلال إيطاليا لمصوع وبيلول، تم بموافقة إنجلترا ورضائها. وبطبيعة الحال فإن موافقة إنجلترا على عملية الاحتلال الإيطالي، أدت إلى أن يوافق عليها الخديوي نفسه. ووفقا لما جاء في هذه البرقية فإن مجلسي الوزراء بكل من إنجلترا وإيطاليا بحثا مسألة إرسال عساكر إيطاليين إلى سواحل البحر الأحمر، وعلى وجه الخصوص إلى مدينة سواكن، وذلك حتى تتمكن القوات الإنجليزية من القيام بعملياتها العسكرية في السودان. وفي مقابل ذلك تقوم إنجلترا بمقاومة فرنسا والحيلولة دون قيامها باحتلال طرابلس الغرب. وفي ذات الوقت ذكرت البرقية أن الاستعدادات تجري على قدم وساق في الأسطول الإيطالي من أجل إرسال سفن منه إلى البحر الأحمر بغرض تقوية القوات البحرية الإيطالية الموجودة في تلك السواحل65.

وهكذا نلاحظ أن القوى الاستعمارية الأوروبية خلال القرن التاسع عشر الميلادي كانت تتقاسم الأدوار فيما بينها من أجل تحقيق مصالحها فقط، والتي تتمثل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية بالدرجة الأولى. فعلى سبيل المثال فإن وقوف إنجلترا إلى جانب إيطاليا، بل وتشجيعها لإرسال عساكرها إلى سواكن، لم يكن نابعا من علاقات وطيدة وقوية بين الدولتين، إنما كانت الضرورة هي التي أجبرتهما على هذا التعاون، فكل دولة استعمارية كانت تنظر إلى تحقيق أهدافها ومصالحها فقط. ونتيجة لذلك كانت تميل إلى الدولة التي يمكن أن تحقق لها هذه الأحلام الاستعمارية، بغض النظر عن طبيعة العلاقة بين الدولتين. إذن السياسة التي كانت سائدة خلال تلك الحقبة التاريخية، هي سياسة تحقيق المصالح فقط، وهي سياسة لا زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

وفقا لخطاب صادر من السيد أحمد مختار باشا المفوض العثماني بمصر بتاريخ 23 ربيع الأول 1306 هـ/27 نوفمبر 1888م، فإن التضييق الذي يمارسه السودانيون على سواكن لا يزال مستمرا. ولا شك أن المقصود بالسودانيين هنا هم قوات المهدية. وحسب هذا الخطاب فإن الطريق المؤدي إلى سواكن أصبح تحت نيران القوات السودانية، وبالتالي لن يكون من الممكن الدخول إلى المدينة أو الخروج منها أثناء ساعات النهار. ومن النقاط الغريبة التي يتطرق إليها الخطاب، هي أن السودانيين يقومون في الليل بكيل الشتائم للعناصر غير المحلية الموجودة في المدينة سواء كانت من العسكريين أو من المدنيين. ونتيجة لهذا الوضع التي تعيشه المدينة، فقد تقرر إرسال قوة من مصر قوامها عساكر مصريين من أجل إنقاذ الوضع هناك، على أن تتحرك هذه القوة من أسوان عبر طريق القصير إلى سواكن مباشرة.

وبالإضافة إلى ذلك يشير الخطاب إلى أن هناك قوة إنجليزية على أتم الاستعداد للتوجه إلى سواكن لتقوم بالدور الذي كانت تقوم به القوات التي سوف تُرسل إلى سواكن، ويعكس

---

5 6 .OA. Y.A.HUS 180/120.

لنا ذلك أن القوات المتجهة من مصر إلى سواكن، هي قوت مصرية وليست إنجليزية. ومن جانب آخر فقد ذكر الخطاب أن عدد القوات التي كانت موجودة في سواكن قبل ثلاث أشهر هو ألف وخمسمائة عسكري. أما الآن فإن القوة العسكرية سوف تصل إلى ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة إلى أربعة آلاف عسكري، وذلك بعد الإمدادات المشار إليها. وبالرغم من ذلك إلا أن بعض المسئولين الإنجليز يرون أن القوات المصرية الموجودة في المدينة غير كافية لتحقيق الأمن فيها، والقضاء على السودانيين. ولهذا السبب قاموا بمراجعة حكومتهم في لندن من أجل التفكير في مسألة إرسال عساكر من الهند إلى سواكن76.

بناء على ما جاء في إحدى الخطابات الواردة من روما المؤرخ بـ 9 فبراير 1885م، فإن دولة إنجلترا قد أعلنت صراحة حقها في السودان خاصة بعد التضحيات الكبيرة التي قدمها في تلك البلاد. ووفقا لمحتوى هذا الخطاب فإن الاتفاق المبرم بين إنجلترا وإيطاليا فيما يتعلق بقيام إيطاليا باحتلال بعض الموانئ الواقعة على سواحل البحر الأحمر، هو اتفاق قديم، وليس حديث، وهو الأمر الذي يعكس لنا أن الدول الاستعمارية كانت تخطط منذ فترات طويلة في كيفية تقسيم المناطق فيما بينها، بالدرجة التي تحفظ لكل دولة حقها ومصلحتها، وربما تكون القوة هي المقياس الأول لهذه التقسيمات. ونلاحظ أن هذا الخطاب أشار إلى الدولة العثمانية بصورة واضحة، وأكد أنه في حالة أن يقوم العثمانيون باحتلال الموانئ التي احتلتها إيطاليا، فإن إيطاليا سوف تقف دون أي تحفظ مع إنجلترا. ولا شك أن ذلك يعني مواجهة إنجليزية إيطالية للدولة العثمانية على سواحل البحر الأحمر.

وبالإضافة إلى ذلك فقد أعلنت إيطاليا أنها سوف تقوم باحتلال طرابلس الغرب، بل قامت فعليا بإرسال موظفين إلى تلك المنطقة من أجل استكشاف الأحوال العامة وعلى وجه الخصوص السياسية منها، ومن ثم ترتيب مسألة الاحتلال. ولعل قيام إيطاليا بإعداد خرائط عن تلك الأنحاء يكشف بوضوح تام أهدافها المستقبلية. ومن الواضح أن الدولة العثمانية كانت لها محاولات لوقف التقدم الإيطالي في سواحل البحر الأحمر، وعلى وجه الخصوص سواكن ومصوع. بيد أن الدعم البريطاني المقدم لإيطاليا، لم يمكن العثمانيين من مجاراة الأحداث بالصورة المطلوبة. ومن جانب آخر فإن دول ألمانيا والنمسا وروسيا كانت تعلن دائما وقوفها إلى جانب الدولة العثمانية في مواجهة النفوذ البريطاني والإيطالي. وبالإضافة إلى ذلك فقد جاء في متن الخطاب أن الضرورة تستوجب إعطاء المعلومات الصحيحة والكاملة إلى الوزراء العثمانيين، وذلك من أجل رسم السياسة المناسبة لمواجهة المخاطر البريطانية والإيطالية. غير أن القوة المالية الضعيفة للدولة العثمانية كانت تمثلا عائقا كبيرا لإنفاذ أي سياسة مواجهة، وهو الأمر الذي كانت تعلمه إيطاليا، وبالتالي لم تكن تخشى من ظهور خطر من طرف العثمانيين. ولا شك أن عدم امتلاك

.OA. Y.PRK.MK 4/43 6 7

الدولة العثمانية للموارد المالية الكافية، هو الذي جعلها غير قادرة البتة على فعل أي شيء87.

وهكذا نلاحظ بشكل تام أن موانئ البحر الأحمر بصورة عامة وموضوع سواكن بصورة خاصة، كانت تمثل نقطة محورية فيما يخص العلاقات الدولية خلال فترة القرن التاسع عشر، وعلى وجه الخصوص الربع الأخير منه. بل كانت مركزا مهما لسياسات الدول الأوروبية الاستعمارية. فمثلا فإن الوجود الإيطالي على سواحل البحر الأحمر، وبالتحديد في سواكن، كان مرتبطا بدرجة كبيرة بقيام إنجلترا بالوقوف في وجه فرنسا من احتلال طرابلس الغرب، بمعنى آخر كانت إيطاليا تؤمن النفوذ البريطاني في سواكن، في حين كانت إنجلترا تمهد الطريق أمام إيطاليا لاحتلال طرابلس الغرب. ومن خلال هذا السرد نخلص إلى نتيجة مفادها أن انعكاسات الوجود الأوروبي في سواكن، لم تتأثر بها المنطقة فحسب، بل امتد أثرها حتى الشمال الإفريقي، وربما أبعد من ذلك.

وفي برقية أرسلها القصر السلطاني العثماني إلى المفوض السامي بمصر السيد أحمد مختار باشا، جاء فيها أن مسألة إحلال عساكر أجانب للعساكر المصريين الموجودين في سواكن هي مسألة وقت، إذ أن هذا الأمر مؤكد لا شك فيه، خاصة وأن الخديوي لا يملك التدابير الكافية التي يمكن بواسطتها مواجهة المخاطر الأجنبية التي تواجهها مدينة سواكن. وبدورها فقد أعلن الخديوي أن إرسال عساكر إنجليز لسواكن لن يحدث إلا في حالة الضرورة فقط. بيد أن عملية الإرسال حدثت بالفعل. بل إن حكومة إنجلترا سوف تقوم في المستقبل بإرسال مجموعة أخرى من عساكرها إلى المدينة. ومن جانب آخر تضمنت البرقية مخاطبة العثمانيين لنظارة خارجية إنجلترا بهذا الخصوص. وجاء في رد النظارة المذكورة أن مسألة إرسال عساكر إلى سواكن، ليس موضوعا للبحث في الوقت الراهن. غير أن إنجلترا قامت عقب ذلك بإرسال برقية إلى الباب العالي تشير فيها إلى ضرورة إرسال عساكر إلى سواكن من أجل المحافظة على الأمن بها، وحمايتها من اعتداءات الدراويش وتجاوزاتهم 98.

وفي برقية تم تلقيها من مراسل صحيفة «ستاندارد» باستانبول بتاريخ 25 أكتوبر سنة 1888م، فقد تمكن العساكر الإنجليز من هزيمة القوة السودانية في سواكن، وهو الأمر الذي لم ينظر إليه الباب العالي بعين الرضا، وذلك لأن انتصار إنجلترا على القوة السودانية، يعني أنها سوف لن تقوم بإخلاء سوكن. وبالطبع فإن ذلك سوف يخالف رغبات الدولة العثمانية. والغريب في الأمر أن العثمانيين لم تكن لديهم الرغبة التامة في أن يحقق السودانيون أي نجاح في تلك المدينة، لأن ذلك سوف يتسبب في تغيير سياسات الدولة العثمانية والخلافة العظمى في منطقة الحجاز بصورة عامة. غير أن النقطة التي تلفت الانتباه في هذا الموضوع، هو أن أهالي سواكن كانوا

.OA، Y.PRK.TKM 8/21 7 8

.OA، Y.PRK.BŞK 45/105 8 9

ينظرون إلى مسألة انسحاب العساكر الإنجليز والمصريين منها بشيء من القلق والتخوف، وهو أمر لا يمكن فهمه إلا في إطار أن هؤلاء الأهالي كانوا غير موالين للحركة المهدية، وكانوا يفضلون القوة الأجنبية عليها109.

ومن جهة أخرى تداول برلمان إنجلترا الأوضاع في السودان وعلى وجه الخصوص في سواكن، حيث أثيرت مجموعة من الآراء المتباينة في هذه المناقشات والمداولات. وحسب وجهة نظر بعض الأعضاء، فإن استمرار العمليات العسكرية في أنحاء سواكن يعتبر أمرا مهما ومطلوبا، خاصة وأن هناك مخاطر كثيرة تهدد الوجود الإنجليزي في تلك المنطقة. ومن جانبه فقد دافع مبعوث نظارة الحربية عن هذا الرأي، وذكر أن مبررات الحرب والقتال في تلك الأنحاء كثيرة جدا، لذا لابد من مواصلة العمليات الحربية في سواكن. وفي مقابل ذلك رأى بعض الأعضاء ضرورة إنهاء هذه العمليات والتوقف عنها.

وبالإضافة إلى إنهاء العلميات الحربية، رأت هذه المجموعة أيضا أنه من المهم تقليل عدد العساكر الإنجليز الموجودين في تلك المنطقة، وذلك بسبب المشاكل المالية التي تعاني منها البلاد. كما تطرقت المداولات إلى نقطة مهمة، وهي ذات علاقة بالوضعية السياسية لسواكن، إذ تمخضت المباحثات عن أن الخديوي لا علاقة له بسواكن، وان المسئول المباشر عنها هو السلطان العثماني فقط، وبالتالي لا يمكن إعطاء أي أهمية لسلطة خديوية على المدينة1110.

وجاء في رسالة موجهة من القصر السلطاني العثماني إلى السفارة العثمانية ببترسبورغ، أن موقع مدينة سواكن يحوز على أهمية كبيرة، وبالتالي فإن الدولة العثمانية لن ترضى باحتلالها من أي دولة من الدول. ولهذا السبب فقد طلبت تأمينات تتعلق بذلك من حكومة إنجلترا. وكانت إنجلترا قد تعهدت بالمحافظة على سواكن ومنع أي دولة أجنبية من احتلالها. وقد تم تقديم تأمينات في هذا الإطار من الحكومة البريطانية إلى سفير الدولة العثمانية بلندن. غير أن البرقية الواردة من سفارة إنجلترا باستانبول إلى الباب العالي أشارت إلى أنه يمكن إرسال عساكر أجانب إلى سواكن في حالة أن تقتضي الضرورة ذلك، وتشير الوثيقة بوضوح إلى خطر الدراويش، أي قوات المهدية.

وحسب ما توصل إليه مجلس الوزراء العثماني، وكذلك السيد أحمد مختار باشا، فإنه من الضروري الإلمام بكافة التفاصيل المتعلقة بمسألة سواكن. وفي هذا الصدد فقد تم التوصل إلى ضرورة إرسال عساكر عثمانيين إلى هناك، وذلك في حالة ألا تكون الخديوية المصرية تملك القدرة الكافية على إرسال العدد المطلوب من العساكر. ولعل المهمة الرئيسية لهؤلاء العساكر سوف تتمثل في منع أي قوة أجنبية من الاعتداء على المدينة واحتلالها بأي صورة من

.OA، Y.PRK.EŞA 8/68 9 10
.OA، Y.PRK.EŞA 13/15 10 11

الصور1211.

بناء على ما جاء في إحدى الوثائق العثمانية المؤرخة بـ 1 صفر سنة 1306 هـ/7 أكتوبر 1888م فإنه في حالة استمرار الاعتداءات التي يقوم بها السودانيون على سواكن، فإن ذلك سوف يكون مؤشرا كبيرا على اندلاع الحرب في تلك المنطقة. وفي الوقت نفسه فإن احتلال المدينة بواسطة المشار إليهم ولو لمدة يوم واحد، سوف يحفزهم كثيرا على مواصلة تجاوزاتهما في كافة أرجاء تلك الأنحاء، وهو الأمر الذي سوف يسبب خطورة كبيرة على الدولة العثمانية. ولهذا السبب تداول مجلس الوزراء العثمانية مسألة سواكن، خاصة وأن قوات عثمان دقنة تمكنت من إحكام سيطرتها على آبار الشرب الخاصة بأهالي المدينة والعساكر. ولا شك أن فقدان هذه الآبار يمثل خطورة كبيرة سواء بالنسبة للأهالي أو العساكر.

وفي الوقت نفسه فإن سواكن تواجه من ناحية البحر نيران المدفعية البريطانية. وهكذا فهي واقعة بين كماشة قوات عثمان دقنة من ناحية البر، وبين الأسطول الإنجليزي من ناحية البحر. بناء على ذلك يجب إرسال طابور من العساكر من مصر بغرض تخليص الآبار المذكورة من سيطرة السودانيين، وبالإضافة إلى ذلك يجب على مصر أن تكون لها مساهمة كبيرة فيما يتعلق بتوفير الأمن في سواكن. أما في حالة أن يتمكن السودانيون من احتلال المدينة، فسوف يقتضي ذلك ضرورة مضاعفة القوة البحرية والبرية في منطقة الحجاز وسواحلها، وذلك حتى لا تنتقل هذه الاضطرابات إلى هناك. ومن الملاحظ أن الأمن مستتب بصورة واضحة في الحجاز بفضل الجهود الكبيرة التي يقوم بها صاحب المقام العالي جناب الخليفة الأعظم. ولهذا السبب فليست هناك حاجة لاتخاذ تدابير أخرى في هذا الشأن1312.

وعلى النحو نفسه جاء في إحدى الوثائق العثمانية الصادرة عن القصر السلطاني العثماني بتاريخ 15 ربيع الأول سنة 1306 هـ/19 نوفمبر 1888م الإشارة إلى الخطاب الصادر من أحمد مختار باشا حول إرسال غرانفيل باشا قائد العساكر المصريين إلى سواكن ومعه مدفع بطارية واحد، وذلك لتخفيف الضغط الواقع عليها من طرف قوات عثمان دقنة. كما تطرق هذا الخطاب إلى مسألة ضرورة زيادة مقدار العساكر الموجودين في المدينة. وأشار أيضا إلى المباحثات التي أجريت مع الخديوي فيما يتعلق بالوضع العام لسواكن في ظل الضغوط الكبيرة التي تواجهها من طرف السودانيين. ومن جانب آخر فقد توصل القنصل الإنجليزي في مصر مع الخديوي إلى أنه سوف يكون من اللازم توفير مبلغ وقدره مائة ألف ليرة سنويا، وذلك من أجل المحافظة على سواكن وعدما سقوطها في يد السودانيين. ومن الملاحظ أنه سوف يكون من الصعوبة على الميزانية المصرية توفير هذا المبلغ.

.OA. Y.PRK.EŞA 24/23 11 12
.İ. MTZ (5) 26/1351 12 13

ومن جانب آخر فقد أشارت الوثيقة إلى أنه من المناسب ترك سواكن لتظل تحت مظلة الدولة العثمانية، أو أن تسقط في يد عثمان دقنة. وفي الوقت نفسه فإن القنصل الإنجليزي بمصر أكد بأن إنجلترا لن تسمح بقيام أي دولة من الدول باحتلال سواكن. والجدير بالذكر أن كولا أوروبية كثيرة كانت تقوم في تلك الفترة بإحكام سيطرتها على السواحل الإفريقية بذريعة محاربة تجارة الرقيق. ولم تكن الخديوية المصرية تملك القوة الكافية للدفاع عن سواكن أمام الأطماع الخارجية. ولعل في حادثة مصوع أكبر دليل على ذلك، إذ أن مصوع كانت تتبع إداريا للخديوية، وبالرغم من ذلك لم تتمكن الخديوية من الدفاع عنها أمام إيطاليا التي احتلتها في نهاية الأمر. لذا فإن الوثيقة تتخوف من أن يكون مصير سواكن هو المصير نفسه الذي واجهته مصوع1413.

14 13 1359/26 (5) MTZ. İ. OA.

خاتمة

وهكذا نلاحظ أن سواكن كانت محط أنظار القوى الاستعمارية الأوروبية خلال فترة القرن التاسع عشر، فهي كانت تمثل أهمية كبيرة للغاية خاصة بالنسبة لإنجلترا التي تربطها علاقات قوية جدا مع الهند. وعلى هذا الأساس فإن إحكام السيطرة على سواكن سوف يساعد الحكومة البريطانية في بسط هيمنتها على سواحل البحر الأحمر بدرجة كبيرة، مما ينعكس إيجابا عليها من الناحية الاقتصادية على وجه الخصوص. وفي الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية تنظر إلى سواكن باعتبارها جزء من أراضيها يجب الدفاع عنه. غير أن الإمكانيات السياسية وخاصة الاقتصادية حالت دون أن تقوم الدولة العثمانية بالدور المنوط بها. أما إيطاليا، فسوف تجد لها منفذا بحريا من خلال وجودها في سواكن، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنها قامت بالفعل باحتلال مصوع، وهو الأمر الذي يعني أن جزءا كبيرا من أراضي ولاية الحبشة العثمانية أصبح تحت السيطرة الإيطالية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الأوضاع في سواكن لتلك القوى المتصارعة كانت تعني تغييرا جذريا في سياساتها في منطقة أخرى، وهي المناطق التي كانت خاضعة لها، أو تسعى للسيطرة عليها. فعلية سبيل المثال فقد كانت الدولة العثمانية تظهر بشكل واضح قلقها بشأن الأوضاع في سواكن، وذلك لأن هذه الأوضاع سوف تنعكس على بعض المناطق الأخرى، خاصة منطقة الحجاز. وعلى المنوال نفسه فقد كانت إنجلترا حريصة على وجود إيطاليا في تلك المنطقة، خوفا على مصالحها في السودان بصورة عامة. كما كانت إيطاليا مستعدة للعب أي دور على سواحل البحر الأحمر من أجل المحافظة على نفوذها في طرابلس الغرب.

ملحق رقم (1)

17/Y. A. HUS 181

هو

الباب العالي

نظارة الشؤون الخارجية

دائرة المكاتبات

عدد

1052

1085

إلى الحضور العالي حضرة الصدر الأعظم

معروض العبد الضعيف

لقد أصدر مجلس الوكلاء الخاص قرارا يتعلق بالاستفسار من صاحب الدولة حضرة حسن

فهمي باشا فيما إذا كانت عساكر الإنجليز سوف تنسحب من سواكن أم لا، وذلك في حالة أن يقع إرسال عساكر عثمانية إليها بموجب اقتراح دولة إنجلترا. وإثر ذلك تمت كتابة برقية. وجوابا على هذه البرقية قام الباشا المشار إليه بإرسال برقية بتاريخ 4 مارت سنة 85 (1885) وبالرقم «أربعة وأربعين». وقد تم تقديم ترجمتها طيا. والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

في 18 جمادي الأول سنة 302 (1302)

وفي 21 شباط سنة 300 (1300)

العبد الضعيف

يوجد توقيع.

سيدي حضرة صاحب الدولة

لقد تم الاطلاع على تذكرة صاحب الدولة هذه والملف المترجم. إن تعبير «قسم» يعتبر أهم ما ورد في المعلومات التي وقع بيانها في إشعار حسن فهمي باشا المشار إليه. وقد ورد هذا الجزء على شكل «الدفاع فقط على هذا القسم الذي يمثل جزءا من الأراضي العثمانية». وعلى الوجه الذي به علم الجناب العالي فقد أصدر مجلس الوكلاء الخاص قرارهم. وعقب ذلك صدرت إرادة سنية من جناب السلطان. ومن جانبها احتوت التذكرة العلية على هذه الإرادة وعلى التوضيحات الكاملة. ومن جهة أخرى تمت إعادة الترجمة المذكورة طيا من أجل الاستيضاح عن المادتين المذكورتين في ذلك الموضوع، سيدي.

في 18 جمادي الأول سنة 302 (1302)

وفي 21 شباط سنة 300 (1300)

يوجد توقيع.

معروض العبد الضعيف

لقد أصبح العبد الضعيف على علم بمدلول الأمر والإشعار السامي لحضرة الصدر الأعظم. وجوابا على الإشعار السابق وردت برقية من المشار إليه مؤرخة بـ 9 مارت سنة 85 ومرقمة بـ «واحد وخمسين». وقد تم تقديم ترجمة هذه البرقية طيا. والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

في 24 جمادي الأول سنة 1302

وفي 27 شباط سنة 300 (1300)

العبد الضعيف

يوجد توقيع.

ملحق رقم (2)

17/Y. A. HUS 181

هو

لقد أصدر مجلس الوكلاء الخاص قرارا يتعلق بالاستفسار من حضرة حسن فهمي باشا فيما إذا كانت عساكر الإنجليز سوف تنسحب من سواكن أم لا في حالة أن يتم إرسال عساكر عثمانية إلى تلك المدينة بموجب الاقتراح الذي قدمته دولة إنجلترا. ونظرا إلى المعلومات التي حصلت عليها أنا (العبد الضعيف) إثر ذلك القرار، وكذلك المعلومات الواردة من الباشا المشار إليه، وتلك المرسلة من نظارة الخارجية بواسطة تذكرة فإن اللورد غرانويل لا يوجد مع العساكر الإنجليز بهدف القيام بعمليات عسكرية مشتركة، وكل ما في الأمر أنه رأى أن من الصواب إرسال عساكر عثمانية من أجل الدفاع عن هذا القسم الذي يمثل جزءا من الأراضي العثمانية. ويعتبر المكان المذكور هو مركز العمليات العسكرية للسودان في الوقت الراهن. ولهذا السبب سوف لن يقوم العساكر الإنجليز بإخلاء سواكن حتى انتهاء هذه العمليات العسكرية.

إن تعبير «قسم» الوارد في برقيته المحررة هذه على صورة «الدفاع فقط على هذا القسم الذي يمثل جزءا من الأراضي العثمانية» يعتبر أهم معلومة واردة في البرقية (المذكورة). والحال أنه توجد تذكرة علية خاصة تحتوي على الإرادة السنية لجناب السلطان بعد قرار مجلس الوكلاء المذكور. وتتضمن هذه التذكرة التوضيحات الكاملة. وبناء على ذلك فإن الاستيضاح فيما يتعلق بالمادتين المذكورتين تمت إحالته إلى النظارة المشار إليها. ومن جهة أخرى جاء في البرقية الثانية الواردة جوابا على الإشعار الواقع في هذا الموضوع ما يلي: «إني استعمالي لكلمة قسم هذه واعتباره جزءا من الأراضي العثمانية، ذلك لأنني أعتبر السودان جزءا متمما للدولة العثمانية. أما حسب ما فهمته في حالة أن يقع إرسال عساكر عثمانيين إلى سواكن، فإن حكومة إنجلترا سوف لن تقوم بسحب عساكرها من هناك». وهكذا فقد تم تقديم ترجمة هاتين البرقيتين طيا رفقة التذكرة التي تحتوي على المحادثة. ونرجو عرض ذلك على العتبة السنية حضرة السلطان، سيدي.

في 28 جمادي الأول سنة 302 (1302)

في 3 مارت سنة 301 (1301)

يوجد ختم داخله مكتوب (شعيب).

ملحق رقم (3)

İ.HUS 180/120.A.Y

الباب العالي

نظارة الشؤون الخارجية

غرفة الترجمة

ترجمة البرقية المؤرخة بـ 9 شباط سنة 85 (1885) والمرقمة بـ 45
الواردة من وكالة السفارة العثمانية بروما إلى نظارة الخارجية

نظرا إلى البرقيات المنشورة في هذا الصباح من طرف شركة برقيات وكالة استفاني، فقد قام عساكر إيطاليا في اليوم الخامس من الشهر الحالي باحتلال مصوع دون أن يواجهوا أي نوع من أنواع المقاومة، ودون أن يعطوا اعتبارا وسمعا لاحتجاج الموظفين المصريين. وبناء على خبر رسمي فقد تم رفع العلم الإيطالي إلى جانب العلم المصري. وبصورة عامة يعتقد أن إيطاليا قامت باحتلال مصوع وبيلول برضا إنجلترا، وبناء على ذلك وافق حضرة الخديوي على هذا الاحتلال. ومن المحتمل أن المحادثات التي جرت بين مجلسي الوزراء في كل من لندن وروما تمخضت عن الاتفاق الذي يفضي إلى أن تقوم إيطاليا بإرسال عساكر إلى سواحل البحر الأحمر وعلى وجه الخصوص إلى سواكن من أجل تسهيل العمليات العسكرية للإنجليز في السودان. وفي مقابل ذلك تتعهد دولة إنجلترا بمقاومة احتلال فرنسا لطرابلس الغرب بالسلاح في حالة أن يقتضي الأمر ذلك. وفي الوقت نفسه يتم حاليا في ترسانة إيطاليا تجهيز بضعة سفن بصورة عاجلة من أجل تقوية الأسطول الإيطالي في البحر الأحمر الذي يتألف من ست سفن حربية، وتوجد هناك سفينة حربية واحدة على وشك التحرك.

ملحق رقم (4)

105/Y. PRK. BŞK 45

هو

قصر يلدز السلطاني

دائرة رئاسة الكتابة

شفرة إلى حضرة أحمد مختار باشا المفوض السامي لمصر

على الوجه الذي به الإخطار الواقع من المشير إلى مقام الصدارة، فإن من المحقق إحلال عساكر أجنبية بدلا عن العساكر المصرية السلطانية الموجودة في سواكن. وإذا كانت لا توجد هناك تدابير من الخديوية تدفع الاحتلال الذي من الممكن أن يقود إلى تغيير الوضع الراهن لتلك الجهة، إلا أن الهيئة الخاصة للوكلاء قامت بإيضاح المسألة من أجل إرسال عساكر على تلك المنطقة، وقد تم إشعار قرار هذه الهيئة إلى الخديوية المصرية الجليلة. وقد تضمن إخطار صاحب الدولة المشار إليه إن إصدار إشعار في هذا الخصوص على حضرة الخديوي سوف يمثل وسيلة للقوة والدفاع. وتم الفهم من خلال سياق الإفادة أن هذا الرأي كان مستندا على المحادثات السابقة التي جرت بين الطرفين. وفي الوقت الذي كان فيه الوضع على هذا النحو، جاء في الأجوبة المستلمة من حضرة الخديوي أن إرسال العساكر الإنجليز سواء إلى سواكن أو

حلفا سوف يكون وفقا للضرورة، بحيث لا يخرج ذلك عن دائرة الأصول. وبالفعل فقد تحرك مؤخرا العساكر الإنجليز ليحلوا مكان العساكر المصريين الذين تحركوا من حلفا إلى الجزء الأعلى. وقياسا على ذلك فمن المحتمل أن يقع في المستقبل إرسال مقدار من العساكر الإنجليز أيضا إلى سواكن.

وعلى الوجه الذي به إشعار العبد الضعيف، فإن فكرة المحافظة على سواكن هي فكرة موجودة. وفي الوقت الذي لا يوجد فيه عساكر إنجليز في سواكن في هذه الفترة، إلا أن هناك إيحاء بأنه سوف يكون من الجائز تركيز هذه العساكر فيها. ومن جهة أخرى صدرت تبليغات في هذا الباب إلى نظارة خارجية إنجلترا، حيث جاء في الجواب المستلم في البدء لهذه التبليغات أنه وقع التأمين على أن إرسال عساكر أجانب إلى سواكن ليس موضوعا للبحث. غير أنه جاء في برقية اللورد «ساليسبوري» التي قامت سفارة إنجلترا بإبلاغها في يوم أمس إلى الباب العالي، أن الضرورة تقتضي إرسال عساكر أجانب في المستقبل إلى سواكن من أجل المحافظة على تلك المنطقة من اعتداءات الدراويش، وذلك على النحو الذي كانت عليه سواكن في السابق. وقد صدر بيان بأن المسئولية في هذا الموضوع تعود إلى إنجلترا. ويلاحظ أن هذا التبليغ الأخير متحد في المعنى، وهو التبليغ الذي يتضمن تباينا بين أجوبة حضرة الخديوي وبين التأمينات الأولى للورد «ساليسبوري». وعلى هذا الأساس فإن إخطار صاحب الدولة من الممكن أن يكون مستندا على الظن والتخمين، وبالتالي ليس مستندا على المكالمة السابقة التي جرت في هذا الموضوع مع الخديوي، أو من المحتمل أن تكون سياسة الخديوي متغيرة. وعلى كل حال فإن التحرك بعلم ووعي في مثل هذا النوع من المسائل سوف يقود على السلامة. ولهذا السبب فإذا كانت أجوبة حضرة الخديوي هذه تحتاج إلى التفكير، بل والمحاكمة، فلابد حينئذ من اللقاء به، مع إضافة المعلومات والآراء الحالية والتي تم الحصول عليها، وعرض ذلك رفقة آراء المشير إلى العتبة العليا (السلطان)، وذلك مما يقتضيه أمر وفرمان صاحب الحكمة والبيان جناب الخليفة الأعظم.

في 17 نيسان سنة 312 (1312)

رئيس كتاب حضرة السلطان

«تحسين».

ملحق رقم (5)

. 26 (05) MTŻ/1351İ

هو

الباب العالي

المجلس الخاص

نظرا لما أوردته الصحف حول عمليات السودانيين، فإنه إذا استمر اعتدائهم على سواكن، فسوف يقود ذلك بمرور الزمن إلى وقوع الحرب. وقد يحتاج منهم ذلك إلى إكمال النقص الموجود في المهمات الحربية فقط. كما إن استيلاء هؤلاء على سواكن يوما واحدا، سوف يجعلهم يتجاسرون على القيام بجميع التجاوزات، وهو مما يلفت الانتباه. إن المحافظة على سواكن وعدم إفساح المجال لتجاوزاتهم يعتبر من الأمور الواجبة. وقد تداولنا نحن العبيد الضعاف التدابير التي ينبغي اتخاذها في هذا الموضوع. أما عرضها فهو من مقتضى أمر وفرمان السلطان حضرة الخليفة الأعظم، وقد وقعت الإفادة بذلك.

ومن جانب آخر ورد خطاب رسمي من مختار باشا يتضمن بعض المعلومات التي تدور حول أوضاع السودانيين وحركاتهم والتفكير فيما يقتضيه الحال، وتم الاطلاع على هذا الخطاب أيضا. وعلى الوجه الذي يتضح به ذلك من خلال محتوى الخطاب الرسمي المذكور، فإن الآبار التي يأخذ منها أهالي سواكن المياه، فقد استولى عليها عثمان دقنه بواسطة بضعة آلاف من العساكر ومدفعين، وهي على بعد ألف متر تقريبا. وبالإضافة إلى ذلك فقد أقام استحكامات هناك. ولهذا السبب تم منع الأهالي والعساكر من أخذ الماء. أما من جهة الساحل فنجد أن المدينة تقع تحت رحمة مدافع سفن الإنجليز. إن الضرورة تقتضي إرسال طابور واحد من العساكر من مصر إلى تلك المنطقة من أجل تخليص الآبار، وتم فهم ذلك من خلال الأحداث الجارية. ونظرا إلى هذه الأحداث فلابد من مساعدة من مصر لكي تتم المحافظة على سواكن. وبدورهم سوف يكون الإنجليز قد جهزوا أسباب الدفاع لسواكن في مواجهة السودانيين.

بناء على ذلك فليس من المتوقع استيلاء السودانيين على سواكن. وطالما أن مصر تقع تحت الاحتلال الإنجليزي العسكري، فليس من المحتمل أن يترك الإنجليز سواكن. أما إذا افترضنا أن السودانيين استولوا عليها، فلابد في هذه الحالة من زيادة القوة البرية والبحرية الموجودة في منطقة الحجاز، وكذلك في سواحلها، وذلك وفقا للإفادات الصادرة من طرف قائد الجيش ومن نظارة البحرية أثناء المحادثات. وعلى هذا الأساس لا يملكون أي مجال للقيام بتجاوز واعتداء. إن منطقة الحجاز توجد في حالة من الحفظ والصون من مثل هذا التسلط بفضل صاحب القدرة حضرة السلطان. عليه فقد رئي أنه ليس هناك حاجة لاتخاذ تدبير آخر. والأمر في ذلك لصاحب العلم العالي جناب الخليفة الأعظم، والأمر والفرمان في قاطبة الأحوال لحضرة من له الأمر.

في غرة صفر سنة 306 (1306)

في 25 أيلول سنة 304 (1304)

ناظر الخارجية

يوجد ختم داخله مكتوب (... محمد)

ناظر الداخلية

يوجد ختم غير مقروء

ناظر البحرية

يوجد ختم داخله مكتوب (حسين بن حسن حسني)

قائد الجيش

يوجد ختم داخله مكتوب (علي بن إبراهيم)

رئيس مجلس شورى الدولة

عارفي باشا

شيخ الإسلام

يوجد ختم داخله مكتوب (... محمد بن سعيد....)

الصدر الأعظم

يوجد ختم داخله مكتوب (... محمد كامل)

أمدي ديوان همايون

يوجد ختم داخله مكتوب (السيد محمد توفيق)

مستشار الصدارة

يوجد ختم داخله مكتوب (حسين بن السيد علي...)

ناظر المعارف

يوجد ختم داخله مكتوب (منيف)

ناظر التجارة والنافعة

يوجد ختم غير مقروء

ناظر أوقاف همايون

يوجد ختم داخله مكتوب (منصوري زادة السيد مصطفى)

وكيل ناظر المالية

يوجد ختم غير مقروء

ناظر العدل

يوجد ختم داخله مكتوب (أحمد جودت).

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

.(1) 17/OA, Y. A. HUS 181

.(2) 17/OA, Y. A. HUS 181

.(3) 17/OA, Y. A. HUS 181

.(4) 17/OA, Y. A. HUS 181

.120/OA, Y. A. HUS 181

.43/OA, Y. PRK. MK 4

.21/OA, Y. PRK. TKM 8

105/OA, Y. PRK. BŞK 45

.68/OA, Y. PRK. EŞA 8

.15/OA, Y. PRK. EŞA 13

.23/OA, Y. PRK. EŞA 24

.1351/OA, İ. MTZ (5) 26

.1359/OA, İ. MTZ (5) 26

ثانيا: المراجع

Cengiz ORHONLU, OSMANLl İMPARATORLUĞU´NUN GÜNEY-sİYASETİ HABEŞ EYALETİ, Ankara, 1996p. 37.

- أنعم محمد عثمان الكباشي، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني، الدارة، العدد الرابع، السنة الثامنة والثلاثون، شوال, 1433هـ ص. 194.

أمارة قبيلة رَبيعَة في وادي العلاقي بأرض البجة
من 132هـ/ 750م وحتى سنة 815هـ/ 1412م

د. عوض عبد الجليل أبوبكر محمد*

* أستاذ مساعد- قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة البحر الأحمر

Abstract

This study is entitled Ports of Beja: (Emirate of the Rabi`a tribe in Wadi Al-Alaqi in the land of Beja). This study documented the historical relations of the Rabi'ah tribe with the Beja tribes in eastern Sudan.

The Land of Beja was an attractive land that incited many Arab tribes from the Arabian Peninsula to migrate to the Land of Beja in order to take advantage of its goods throughout the ages. The Beja countries were rich in economic resources that were needed by the Arab tribes such as gold, silver, emeralds, ostrich feathers, etc..., Also, its geographical location distinguished it from the rest of the African lands, as it was not far from the Arabian Peninsula, except for the width of the Red Sea, and that those Beja had distinct economic relations with the outside world and the interior of Africa. Therefore, the Rabi'ah tribe deliberately migrated to the Beja country in order to benefit from its bounties. They also searched for new habitats in attractive environments away from the drought of the Arabian Peninsula and its expelling environment. They chose the Wadi Al-Alaqi region, which is rich for its mines, its proximity to export ports, and its distance from the eyes of the rulers of Muslims in Egypt.

The Rabi'a tribe, after a short period of contact with the Beja, was able to control their lands by virtue of the royal Matriarchy regime to take over the rule in the land of Beja, and consequently, these migrations accompanied many changes to the Beja community and the coming Rabi'a tribes in the social, economic, political, and cultural fields. Perhaps those changes in general represented the study findings. The researcher adopted the descriptive historical approach in conducting this study.

المُستخلص

هذه الدراسة بعنوان موانئ البجة:(أمارة قبيلة رَبيعَة في وادي العلاقي بأرض البجة)، وقد جاءت هذه الدراسة توثيقية لتاريخ علاقات قبيلة رَبيعَة مع قبائل البجة في شرق السودان.

كانت بلاد البجة عبارة عن أرض جاذبة جذت الكثير من القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية للهجرة لبلاد البجة وذلك من أجل الإستفادة من خيراتها على مرَّ العصور، فقد كانت بلاد البجة زاخرة بالموارد الإقتصادية التي كانت تحتاجها القبائل العربية كالذهب والفضة والزُمرد

وريش النعام وغيره.. كما أن موقعها الجغرافي ميزها عن بقية الأراضي الإفريقية إذ أنها لم تكن تبعد عن شبه جزيرة العرب سواء عرض البحر الأحمر، كما أن تلك البقاع كانت لها علاقات إقتصادية مُتميزة مع العالم الخارجي والداخل الأفريقي، لذلك عمدت قبيلة رَبِيعَة إلي الهجرة لبلاد البجة وذلك من أجل الإستفادة من خيراتها، والبحث لهم عن مواطن جديدة في بيئات جاذبة بعيداً عن قحط الجزيرة العربية بيئتها الطاردة، وقد وقع أختيارهم على منطقة وادي العلاقي الغنية بمناجمها، وقربها من موانئ التصدير، وبُعدها عن أعين حُكام المُسلمين في مصر.

كما أن قبيلة رَبِيعَة أستطاعت بعد فترة وجيزة من مخالطة البجة السيطرة على أراضيهم وذلك بحكم النظام الأموي الملكي لتولي الحُكم في أرض البجة، وبالتالي صاحبت تلك الهجرات كثير من التغيرات على مُجتمع البجة وعلى قبيلة رَبِيعَة الوافدة في المجالات الإجتماعية، والإقتصادية، والسياسية، والثقافية، ولعل تلك التغيرات في مُجملها مثلت النتائج التي توصل إليها الباحث، وقد أعتمد الباحث على المنهج التاريخي الوصفي في إعداد هذه الدراسة.

المقدمة: -

تعتبر قبائل البجة هي المجموعة السكانية التي تسكن منطقة البحر الأحمر في السودان، ويرجع ظهور أصولها القديمة إلي أكثر من ألفي عام مع الأخذ في الإعتبار تغيُّر الأسماء وتداخل المجموعات السكانية وحركتها تنقلاتها خلال الحقب التاريخية المختلفة، وهم من الأصل الحامي نزلوا بالصحراء الشرقية وكانوا ينتقلون فيها شمالاً وجنوباً طلباً للكلأ لإبلهم وماشيتهم، وقد تعرض البجة للإختلاط مع العناصر السامية من شبه الجزيرة العربية أو خلافها فعايشوا هذه المؤثرات، لكن مع إحتفاظهم بأصلهم الكوشي الحامي، وقد مثل إقليمهم بمنطقة شرق السودان ميزة كبيرة ميزتهم عن العناصر الأخرى التي عاشت حولهم، لذلك أصبحت بلادهم قبلة لهجرات مُتعددة من الداخل الأفريقي ومن خارجه.

وصلت الهجرات الوافدة لإقليم البجة عبر البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية وشرقي أسيا، أو عن طريق برزخ السويس من الشمال، أو من الشمال الأفريقي، أو من الغرب، وقد أتفقت كل تلك الهجرات على عوامل مُتحدة جعلتها تُهاجر من ديارها إلى بلاد البجة (سياسية/ دينية)، وقد مثلت بلاد البجة عبر وادي العلاقي وأرض المعدن مُحفزاً لوصول تلك الهجرات إليه بحثاً عن النفائس.

ولعل قبيلة رَبِيعَة العربية وجدت لنفسها موطأ قدم في زادي العلاقي، وإستطاعوا من خلال فكرهم السياسي بتوطيد علاقاتهم مع البجة وذلك من خلا المُصاهرة، وسرعان ما تولي عرش ممالك البجة مرتكزين على النظام الأموي في توريث الملك والذي كان البجة والنوبة يسيرون عليه.

الكلمات المفتاحية: -

قبيلة رَبيعَة- قبائل البجة- الصحراء الشرقية- وادي العلاقي- أرض المعدن.

أهداف الدراسة:

- تهدف على قبائل البجة وأرضهم البجة، والهجرات التي تمت إليهم من شبه الجزيرة العربية.
- التعرف على تاريخ قبيلة رَبيعَة وهجرتهم التي تمت من شبه الجزيرة العربية وإستقرارهم في منطقة وادي العلاقي بأَرض البجة بالصحراء الشرقية.
- تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المقومات الإقتصادية والإستراتيجية لوادي العلاقي.
- التطرق للنشاط التجاري والإقتصادي والدور السياسي الذي لعبته قبيلة رَبيعَة مع قبائل البجة.
- إبراز دور حملات قبيلة رَبيعَة العسكرية للسيطرة على بلاد البجة وما حولها، وتبيين مدي إستفادتهم من النظام الأمومي في الحكم.
- التطرق للعوامل التي ميزت أرض وادي العلاقي وجعلتها جاذبة لهجرات القبائل العربية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة في إنها تسلط الضوء على تاريخ قبيلة رَبيعَة في ديار البجة بالصحراء الشرقية، والمجهودات التي تم بذلها من أجل تأسيس هذه الإمارة، وطبيعة العلاقة بين قبيلة رَبيعَة وقبائل البجة من جهة، وبين قبيلة رَبيعَة والقبائل العربية الأخرى التي هاجرت، وما بين قبائل البجة التي أعتنقت الإسلام والقبائل البجاوية الأخرى التي ظلت على وثنيتها بشكل مُجمل.

كما أنه من الأهمية تبيان الفطنة والخبرة السياسية التي تمتع بها أنصار قبيلة رَبيعَة ومدي إستفادتهم من خيرات وادي العلاقي من جهة والنُظم السياسية التي كانت سائدة لدي قبائل البجة.

مشكلة الدراسة:

أن المنطقة المستهدفة منطقة ممتدة ومتباينة في أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، كما أن موقعها الجغرافي المهم جعلها هدف للكثير من الطامعين على مستوي القبائل العربية المُهاجرة أو على مستويات حكم الخلافة الإسلامية في مصر، كما أن الإختلاف الديني والحضاري بين سكان المنطقة الأصليين والقوي العربية المُهاجرة أضاف بُعداً جديداً للعلاقات المُتباينة، وقد أبرزت الدراسة العديد من الأسئلة كما يلي:

- مثل العامل الإقتصادي المحور الرئيسي في هجرة قبيلة رَبيعَة إلي منطقة العلاقي بصحراء البجة، حيث أن الذهب مثل باعث رئيسي.

- مثل النظام الوراثي في انتقال السلطة عند ملوك البجة طوق نجاة ومفتاح رئيسي في نجاح قبيلة رَبيعَة في مسعاها التأسيسي للإمارة.
- إستقرار قبيلة رَبيعَة بوادي العلاقي وإستتاب الأمن لهم فتح الباب أمام إنتقالهم إلى مناطق أخري مثل بلاد النوبة وغيرها.

منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي السردي الوصفي في جمع المعلومات والتي تميزت بالشُح والقلة في المصادر والمراجع التي تناولت هذه الإمارة.

النطاق الزمني والمكاني:

تمتد الحدود الزمانية للدراسة ابتداءً من العام132هـ/ 750م وحتى سنة 815هـ/ 1412م، أما الحدود المكانية فهي كل بلاد البجة ووادي العلاقي بأرض المعدن وبلاد النوبة جنوبي مصر.

التمهيد:

قبائل البجة وإقليمها:

يضم إقليم البجة[1]، رقعة شرق السودان، والتي تمتد بين خطى العرض14-22» شمالاً، وخطى الطول24-38 شرقاً، وهى تلك الأرض التي تمتد من الحدود المصرية من موضع بئر الشلاتين شمال حلايب إلي ميناء باضع بأريتريا في الجنوب، أما من ناحية الغرب فتشمل حدود هذا الإقليم الأراضي والتلال المحاذية لنهر النيل من الشمال حتى مدينة عطبرة، ولكن لا شأن لها بسهول النيل، ثم إنها تحوى نهر عطبرة وضفافه إلي الحدود الحبشية، أما الموقع الفلكي لإقليم البجة يبدأ من الشمال بخط وهمي من عيذاب شمالاً إلي بـلدة العـلاقي، وخط وهمي أخر يبدأ من ساحل(البحر الأحمر- القلزم)، جنوباً حتى بلدة عدوة غرباً على نهر عطبرة، أما حدوده الشرقية فهي تتمثل في ساحل البحر الأحمر الغربي، وتمتد أرض البجة على الساحل الغربي للبحر الأحمر من مرسي شعاب بالقرب من الحدود المصرية إلي رأس قصر جنوباً عند الحدود الحبشية، ومن نافلة القول بأن إقليم البجة يمتد على طول ساحل البحر الأحمر من الحدود المصرية شمالاً حتى جنوب بلاد الحبشة، وغرباً حتى مجري نهر النيل، وتقدر مساحة إقليم البجة حوالي110 ألف ميل مربع.

وقبائل البجة تاريخياً هم من أقدم الشعوب الحامية الشرقية التي إستوطنت في هذه الأراضي منذ 4000 سنة قبل الميلاد، ويعيش البجة الآن في نفس المكان الذي كانوا يعيشون فيه عندما إحتلت الأسر المصرية وادي النيل، وتقدموا عبر الشريط الضيق من مصر نحو بلاد النوبة السفلي، ومدوا نفوذهم في الصحراء المحيطة بالنيل شرقاً، وقد تمركزت قبائل البجة في هذه البقعة من الأرض منذ ألاف السنين، وأنتشرت جماعاتها وأفرادها يضربون في وديان السودان الشرقي بين جباله وصحاريه، ولعل كل الدلائل تشير إلي أن البجة يعيشون في موطنهم هذا

منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا [2].

المحور الأول: أرض المعدن[3]، ووادي العلاقي[4]:

جغرافياً وطبيعياً: كانت الصحراء الشرقية موطن وأرض لقبائل البجة، وكانت تذخر بالكثير من ألوان الحجر، وأخلاط المعادن النفيسة منذ القدم، وتركزت معظم هذه الثروة في الجزء الجنوبي من صحراء مصر الشرقية، والجزء الشمالي من صحراء البجة، فيجب الإشارة إلي جغرافيتها التي مثلت غطاء معدني كبير ساهم في قيام حضارة مصرية عريقة قامت على أستخدام المعدن[5].

وعليه تحتل الصحراء الشرقية جزءاً مهماً من القطر المصري، فهي من أقاليم مصر المهمة التي تقع فيما بين البحر الأحمر شرقاً ونهر النيل غرباً، ومن القلزم شمالاً إلي عيذاب جنوباً، وتشغل هذه المساحة نحو ربع مساحة مصر، قد بررت الصحراء الشرقية وجودها منذ القدم، وبعد أن كانت وظيفتها جغرافية فقط، صارت جيولوجية أيضاً وضمت بين جوانبها من بين محجر رخيص إلى منجم نفيس إلى حقل معدني، وقد نالت الصحراء الشرقية مكانة مهمة منذ العصر الفرعوني وذلك بسبب شهرتها بالمعادن التي أهتم بها المصريون القدماء، والرومان، والبطالمة، والعرب، والمسلمون ومن عاش بمصر في تلك العصور، وكانت السلطة المركزية في مصر تُرسل الحملات العسكرية إلى منطقة المعادن في الصحراء الشرقية من أجل إستخراج الذهب[6].

ويقع وادي العَلاقِي الآن على بعد109كلم جنوب مدينة أسوان المصرية، وكان وادي العَلاقِي دائماً ما يجتذب أنظار حكام مصر في مختلف العهود، كما جذب أنظار العرب المسلمين الذين هاجروا إليه في جماعات كبيرة وسكنوا فيه حول المناجم، ومن أشهر القبائل التي هاجرت إليه هوازن وجهينة[7].

يُعتبر وادي العلاقي أكبر الأودية التي توجد في الصحراء الشرقية، وينحدر غرباً إلي النيل، حيث يرفده حوالي الـ28 وادياً تلتقي جميعها في نظام شجري التصريف، وتستمد المنابع العليا لوادي العلاقي مياهها من منطقة تقسيم المياه بين نهر النيل والبحر الأحمر والتي تتميز بأنها شديدة الوعورة[8]، ويختلف عرض الحوض من مكان لأخر، فيبلغ في القسم الأعلى منه حوالي 90كلم، وفي القسم الأوسط يبلغ حوالي150 كلم، أما في القسم الأدنى فيبلغ حوالي 110 كلم[9].

وقد كانت هذه المنطقة سابقاً تحتل الجانب الأكبر من إقليم البجة، وليس من اليسير تحديد هذه المنطقة بصورة محققة من ناحية حدودها الجنوبية، فالمعروف أن هذه المنطقة تبدأ بخط وهمي يبدأ من البحر الأحمر إلي مدينة أسوان،

ويُعتقد أن هذا الخط يكون نقطة مابين أدفو والقصير، ونهاية الحدود الجنوبية لأرض

المعدن قد تكون في عطبرة[10].

ولما فتح المسلمون مصر سنة20هـ/641م أستعادت مناجم الذهب في الصحراء الشرقية نشاطها، وبدأت القبائل المسلمة تفد إلي صحراء مصر الشرقية طلباً للذهب، الذي جذب الكثير من تلك القبائل إلي وادي العَلاقِي، وأرض المعدن منذ العقد الرابع من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[11]، وكانت تلك القبائل تزحف إلى منطقة المعادن إما طلباً للثروة(المعادن)، أوهرباً من بطش الحكام والولاة، ومن ثم فقد كان هذا من أكبر الأسباب التي جعلت منطقة المعادن بصحراء مصر الشرقية تزدحم بعناصر السكان، فضلاً عما كان بها من السكان الأصليين من البجة[12].

سمى المسلمون تلك الصحراء بأسماء عدة منها صحراء عيذاب[13]، كذلك أطلق عليها بعض المؤرخين والجغرافيين المعاصرين أسم صحراء القُلزم[14]، في حين أطلق بعض المؤرخين والجغرافيين على النصف الشمالي من هذه الصحراء اسم صحراء القلزم، وعلى النصف الجنوبي اسم صحراء عيذاب، كما أشتهرت تلك الصحراء بصحراء العرب نسبةً للقبائل العربية الموجودة بها[15].

مثلت منطقة وادي العَلاقِي الدعامة الرئيسية والقوية لقبيلة رَبيعَة التي أعتمدت عليها في قيام أمارتها الأولي في تلك المنطقة، وقد شاركتهم في أستغلال الذهب، و الزُمُرّد، والفضة وغيرها من المعادن بعض البطون والقبائل الأخرى[16]، وفي العصور الإسلامية أصبح هذا الوادي بمثابة الملتقى الذي يجمع أجناس عديدة طامحة في الثروة، فإليه يفد أهلُ الصعيد وغيرهم من شتى البلاد[17]، وقد أشتهر في وادي العَلاقِي منجمي(علقـمة)، و(العـلقمى)، بتبرهم الكثير الذي يتصف بحُمرته، والإحمرار من صفة التبر الجيّد الذي يعرف به من الرديء[18].

يُعد وادي العَلاقِي من أكبر الدعامات الإقتصادية لممالك البجة في التاريخ القديم، وأحد أكبر المطامع الإقتصادية

للقبائل العربية قبل الإسلام وبعده، قيل عنه:» هو وادي فيه خلق كثير كالبلد الجامع[19]، وروي عنه:» بأنه وادي يجري أسفل جبل، وهو جاف لا ماء فيه ولكن الماء إذا حُفرت الأرض بحثاً عنه فإنه قريب من سطح الأرض، و به معادن الذهب والفضة، وإليه جمع طوائف من طُلاب المعادن، ووادي العَلاقِي مسافته من أسوان نحو(خمسة عشرة) يوماً بين الشرق والشمال وهو في أرض البجة، وتبعد لمسافة بين وادي العَلاقِي وعيذاب نحو(ثلاثة عشرة) يوماً، ولا يوجد فيه معدن الزُمُرّد»[20]، وقيل عنه أيضاً:» هو أكبر مناجم الذهب(التبر) وكان يقع في الصحراء شرقي نهر النيل في الصعيد بين أسوان وعيذاب»[21]، وقد قيل عنه:» أن أرض المعدن مبسوطة فيها رمال ورضراض»[22].

ومعدن الذهب في العلاقي يوجد في وسط الصحراء، لا يوجد حوله جبل، بل رمال، وبها

إلي آبار فيغسل الرمل ثم يصوله ويستخرج منه التبر ويلغمه بالزئبق ثم يسكبه في البوداق، فمن ذلك بلاغهم ومعاشهم[23]، ويوجد بالعَلاقِي أسواق و تجارات، وبها أخلاط ناس من العرب والعجم، وأكثرهم من قوم رَبيعَة من بني حنيفة من أهل اليمامة، ويعمل معهم عبيد السودان في الحفر ثم يستخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر ثم يُسكب، ومن وادي العَلاقِي إلي موضع يُقال له(الحـــل)، ثم موضع يُقال له(عـ)، ثم موضع يُقال له (كار)، وفيه يجتمع الناس لطلب التبر و به قوم من أهل اليمامة من رَبيعَة، و من العَلاقِي إلي موضع(مـــراـ)، تنزله قبائل بلي وجهينة، وأخر مواضع التبر في العَلاقِي(ـركان)، وتبعد العَلاقِي عن عيذاب أربعة مراحل[24]، ويشربون هناك من آبار عذبة(25)، وكانت تلك المياه العذبة تُستخدم أيضاً في غسل معدن الذهب الذي يستخرجونه من المناجم، وأشهر الآبار الموجودة بوادي العَلاقِي بئر تسمى بغدير المياه[26]، وتسكن القبائل اليمنية شمال العَلاقِي، والقبائل القيسية في الجنوب منه[27].

وقد كان العاملون في هذه المناجم يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر ثم يعلِّمون على المواضع التي يرون فيها شيئاً مضيئاً بعلامات يعرفونها ويبيتون حولها فإذا أصبحوا حملوا أكوام الرمل التي علَّموا عليها ويمضوا بها إلي آبار هناك فيغسلوها بالماء وأستخرجوا التبر ثم يؤلِّفونه بالزئبق ويسكبونه، ويعد من أغزر الأودية مياهاً، وتحدث به ظاهرة السيول مراراً، كما توجد به بعض الآبار[28]، ويتميز وادي العَلاقِي بجودة تبرهِ وغزارته، وقد عُثر فيه على أثار بقايا تعدينية تدل على أنه كان مركزاً لتعدين الذهب منذ القدم، كما عثر أيضاً على أثار لبقايا تجمعات سكنية ترجع إلى الزمن الحجري الحديث، وتدل على وجود أُناس كانت ثقافتهم تختلف كثيراً عن ثقافة وادي النيل، وهى تشير إلى إن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ زمن سحيق[29].

يوجد الذهب بوادي العَلاقِي في صور طبيعية مختلفة، فإما أن يكون في هيئة عروق الكوارتز، ويتخذ هذا الكوارتز لوناً ابيض غالباً، ولكنه في بعض الأحيان يكون مدخناً أو حتى أسود، ويصعب فصل هذه العروق بغير سحق تلك الصخور، وهو ما يُسمي بالمعدني[30]، أما في عروق الكوارتز التي تتخلل صخور جبل العَلاقِي، وهي عبارة عن تلال عالية تقوم بعيداً عن السهل و بها معدن الذهب والفضة[31]، كما يُمكن أن يكون في صورة رمال سائلة يستخرج منها التبر بإلتقاطه ثم غسله في آبار أعدت من أجل ذلك، هذا النوع من التبر يوجد في الجص والرمال الطفيلية التي نتجت عن تفتت الصخور المحتوية على الذهب نتيجة عوامل التعرية ثم اكتسحتها الإمطار والسيول فاختلطت برمال الصحراء، وهذا التبر عُرف بالتربة، كما يوجد في صورة نبات ينبت في بحر النيل، ولطيف هذا النبات يحمله النيل إلى أرض أسوان فتراه ظاهراً في الرمل لمن يتأمله بشاطئ بحر مصر، ويُسمي هذا النوع بالنبات، وهو يوجد في مجارى الأنهار وعلى شواطئها، وذلك نتيجة لتفتت الصخور المحتوية على الذهب، وخامة هذا الذهب

المتكون بهذه الطريقة والطريقة الثانية تسمى(خامة طفيلية) بخلاف الأولى، وقد تفنن العرب في إستخراج الذهب في كل صوره، وجعلوا لكل خامة طريقتها[32].

ولم يقتصر وجود الذهب على منطقة العلاقي بل تعداها إلى مناطق أخرى مجاورة، و قد ذكر الكثير من المؤرخين:» أن وادي العلاقي وما حوله معادن للتبر»[33]، وتوجد الكثير من مناجم الذهب حول في منطقة العلاقي وما حولها، ومن بين هذه المناجم التي يقصد إليها من وادي العلاقي، منجم يُقال له كعار[34]، وعلى بعد مرحلة من وادي العَلاقِي يوجد منجمين للتبر يعرف أحدهما بماء الصخرة، والأخر بعربة بطحا، ويقطع المسافر مرحلتين من العَلاقِي إلى مناجم بطن واح، وأعماد، والأخشاب، وكلها مواضع للتبر[35]، ومن العلاقي إلى منجم(عيذاب)، أربع مراحل وينزله قوم من عرب بلى وجهينة، وعلى بعد عشر مراحل من العلاقي يقع منجم يسمى(دح)، وينزله قوم من بني سليم وغيرهم من قبيلة مُضْرَ، ومنجم السُنطة، وآخران يقال لهما الرفق، وسختيت[36]، ومنجم بركان[37]، ولعل أكبر منطقة لاستخراج الذهب في تلك البقعة منجم الخربة، وهذه المناجم تقع على بعد سبعة(سبعة مراحل) من مدينة قِفْط[38]، وتقع هذه المنطقة بالتحديد فيما بين منطقة تُسمي كورسكو والبحر الأحمر ويوجد فيها الذهب بكثرة[39]، كذلك كان وادي العَلاقِي وما يجاورة مكاناً للتنقيب عن الذهب والأحجار الكريمة كالزُمرّد والفضة، كما يوجد الحديد، والنحاس، والفضة، التنجستون، والحجر الجيري، والرخام[40].

وقد مثل الذهب حرفة صائدي الثروات من التجار المسلمين وغيرهم، وكانت فترات هذا النشاط التعديني تتم في موجات يحدث فيها إندفاع لأفواج من المهتمين بهذا النوع من النشاط حيث تتوفر ظروف بيئية معينة من الأمن والاستقرار، وعلى الرغم إن مناطق إستخراج الذهب كانت منتشرة في المنطقة المحيطة بوادي العلاقي على مسافات مختلفة إلاَّ أن طلاب الذهب توغلوا جنوباً لإستغلال ذهب المنطقة المحاذية لبلاد النوبة، فأتجهوا إلى مناجم دهْلك، وباضع، وسواكن، وكان نتيجة لذلك خاف ملوك النوبة على مناجمهم خشية أن يغلب على أرضهم الإسلام والمسلمون ويملكونها كما فعلوا بأرض البجة[41]، وقد دخل المسلمون كذلك إلي مناجم بلاد النوبة، فقيل في ذلك:» إن بلاد النوبة أرض واسعة وإقليم كبير، وتبلغ مسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر في حدود مصر وكثيرا ما يغزوهم عسكر مصر وعندهم معادن الذهب»[42]، ومن مناجمهم أيضا مناجم مملكة(علوة)، وهى بحوزة ملك علوة نفسه وبها التبر الغزير الكثير، الذي ليس مثله في تلك النواحي غيره من المواضع المشهورة بإستخراجه[43]، كما وجدت مناجم أخرى بالأقصر وأرمنت، وكانت مناجم هذه الكور تابعة للخلافة وتحت إشرافها[44].

من نافلة القول أن هذه المعادن أجتذبت إليها جماعات عربية قامت بالعمل على أستخراجها والإتجار فيها، وأحتكر العرب هذه الصناعة، لأن البجة – فيما يبدو- لم يهتموا كثيراً بإستغلالها، وربما كان الدافع لولاة مصر على التمكين للعرب من أستغلال هذه المعادن ومشاطرتهم

أرباحها، ويظهر أن البجة قد أطمأنوا للعرب الذين عاشوا إلي جوارهم و أختلطوا بهم، فقل إعتداؤهم على المسلمين، مما أدي إلي هجرة جماعات كثيرة منهم إلي أرض المعادن بعد أن كشف عن كثير من مناجمها، وبذلك تحققت فائدة للطرفين، وأصبح البجة أكثر أرتياحاً للقبائل العربية المُسلمة، كما إن الصحراء الشرقية كانت غنية بمناجمها ذات الثروة المعدنية التي لا مثيل لها في شقيقتها الغربية، والواقع أن معادن الصحراء الشرقية فضلاً عن أحجارها الكريمة هي هدية جيولوجيتها القديمة التي أهداها إياها الخالق عز وجل وكانت هذه الثروة بمثابة المغناطيس الذي جذب الباحثين عن الذهب من القبائل العربية وغيرها على مر العصور.

المحور الثاني: أستقرار القبائل الإسلامية في منطقة بلاد البجة وأثرهم: -

شهدت بلاد البجة على مرَّ العصور هجرات مُتعدد عبرت البحر الأحمر (بحر القلزم)، قادت في محتواها العام لتحركات الكيانات العرب السامية للديار البجة الحامية، وقد تعددت الأسباب والدوافع التي قادتهم لتلك الهجرات، فبعضها مثل جانب إقتصادي، وبعضها مثل جانب أمني وسلمي، ومن أرض البجة في بعض الفترات دخل العرب المهاجرون إلي داخل بلاد السودان وأنتشروا فيه.

كان للجماعات العربية الإسلامية التي أستوطنت بلاد البجة دور كبير جداً في أنتشار الإسلام والثقافة الإسلامية بين قبائل البجة، وقد أعتنقت تلك القبائل الإسلام في الجزيرة العربية ثم وصلوا في هجرتهم إلي أرض البجة من شمال وادي النيل وعبر البحر الأحمر من الحجاز، وعاشوا بين البجة مما ساهم في إسلامهم، بعض أفراد من قبيلتي بَلِي وجُهَينَة نزحوا إلي أرض البجة بعد الفتح الإسلامي لمصر بغرض التجارة، أستطاعوا أن ينشروا الإسلام بصفة جزئية بين البجة في مُنتصف القرن السابع الميلادي[45]، كما يبدو أن جماعات من عرب هوازن قد عبروا البحر الأحمر وعملوا على نشر الإسلام بين البجة، وهم ما عُرفوا عند البجة بالحلنقة[46]، ولعل الحلنقة مثلوا أولي الجماعات المُسلمة التي أستقرت في بلاد البجة، ثم تلتها بعد ذلك جماعات أخري من حضرموت ببلاد اليمن حضرت إلي بلاد البجة في عهد دولة القائد الحجاج بن يوسف الثقفي[47]، غير أن بعض الكُتاب لم يحددوا قبيلة مُعينة نشرت الإسلام بين البجة، بل أشاروا إلي أن هنالك جماعات من المسلمين قطنوا في أرض البجة ونشروا الإسلام بينهم[48]، و قيل أن البجة أسلموا في إمارة عبد الله بن سعد بن أبي السرح[49]، ولما كثرت أذيتهم على المسلمين أرسل إليهم الخليفة العباسي المأمون بن هارون[50]، قائده عبد الله بن أبي الجهم[51]، وقيل أن عدد المسلمين ببلاد البجة كان في تزايد مستمر حتى إبتنوا لهم مساجداً خاصة[52]، وبالتالي يمكننا القول بأن ممالك البجة قد دانت للإسلام نتيجة لهجرات وافدة تنوعت ما بين دعوية للإسلام، وإقتصادية، وبعضها يبحث عن الأمن والأمان لعملية، وقد أستمرت هجرات القبائل الوافدة لأرض البجة فترات طويلة، وفي نهاية الأمر أضحي البجة من بعد مسلمين، بعد أن تركوا عبادة

الأوثان.

وقد سلكت الهجرات العربية إلي أرض البجة عُدة طرق، كان لكل واحد منها ما له وما عليه، وقد تمثلت هذه الطُرق في الآتي:

1/ الطريق الشمالي إلي مصر: على مرَّ العصور كثرت الهجرات العربية إلي بلاد السودان حيث الأراضي البجاوية، فوصلت من الشمال عبر الحدود المصرية، و أمتدت هذه الهجرات في المنطقة بين عيذاب شمالاً على الحدود المصرية السودانية حتى مصوع جنوباً[53]، وقد وصلت بعض الهجرات الإسلامية إلي مصر عن طريق صحراء سيناء مع القوافل[54]، غير أن الواضح أن الكتلة الأعظم من هذه الهجرات جاءت عن طريق بلاد النوبة بالأراضي والسهول الموصولة مع مصر، وكان فتح العرب لمصر سنة20هـ /641م يواكب في حدوثه أول هجرة بدوية كبري لوادي النيل[55]، وقد تكون جيش المسلمين الغازي لمصر كان مكون بنسبة كبيرة من رجال قبائل، وقد شهدت بلاد البجا في تلال البحر الأحمر هجرة العرب المصريين المنزوعة أملاكهم[56]، كما أن هنالك مجموعات من القبائل العربية هاجرت للسودان بحثاً عن موارد إقتصادية جديدة، وسلكت طريق الحدود بين السودان ومصر في كثير من الأحيان، لذلك نجد أن مصر مثلت رافد رئيسي للهجرة العربية إلي السودان وبلاد البجا بصورة محددة[57].

2/ الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر(بحر القلزم): البحر الأحمر بحر خطير كثير النتواءات الخافية تحت عمق قليل من الماء فترتطم السفن بهذه النتواءات، وكانت السفن لا تسير في هذا البحر إلاّ بالنهار وترسوا عند شاطئ أي جزيرة في الليل[58]، و يتفرع(البحر الأحمر)، من المحيط الهندي الذي كان يُعرف عند العرب ببحر الهند الأعظم والبحر الحبشي، ذراعان، أو شعبتان، أو خليجان أحدهما: الفرع الشرقي ويسمي بحر فارس أو بحر عُمان أو بحر البحرين أو الخليج العربي، والأخر: الفــرع الغربي، وتطل على ساحله الشرقي بلاد اليمن والحجاز وأيلة، وعلى ساحله الغربي بلاد الحبشة والسودان والعلاقي من أرض البجا وبلاد العيذاب والقصير[59]، وقد كان البحر الأحمر مخوفاً لما فيه من شعاب بارزة ورياح معاكسة ولهذا كانت الملاحة فيه بالنهار فقط فأما الليل فلا يُسلك، وكان نظام هبوب الرياح فيه يجعل الملاحة من الشمال إلي الجنوب فقط في فصل من السنة، ومن الجنوب إلي الشمال في الفصل الأخر، ولهذا أحتفظ نهر النيل الذي يسير موازياً لهذا البحر بأهميته الكبيرة بأعتباره طريقاً من طُرق الملاحة النهرية[60].

ولعل السبب في هذه السمعة السيئة للبحر الأحمر في كونه بحر مُخيف وغدار يرجع إلي سوء بناء السفن نفسها، فقد كانت ألواح من الخشب تُخاط بالقنب والقنيار وهو قشر النارجيل، وكانت الأخشاب لا يتم تثبيتها بالمسامير وذلك لأن البحارة كانوا يعتقدون بأن حجر المغنطيس موجود في القاع، فإذا سارت السفينة من فوقه أجتذب المسامير فتتفكك السفينة، ومياه البحر

الأحمر ذات نتواءات خطرة تحت الماء[61].

فلا غرابة أن ظلت أفريقيا ذات صلة قديمة بالحضارة العربية قبل الإسلام بقرون، فهي جغرافياً موصولة براً وبحراً بالأمة العربية، فكان البحر الأحمر ممراً دائماً بين الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، كما كانت الرياح الموسمية بين الخليج العربي وشق أفريقيا وسيلة طبيعية ومثالية للتعامل التجاري[62]، لذلك لم يكنْ عبور البحر الأحمر، في كلِّ جزء من أجزائه، أمراً صعباً في يوم من الأيام، وكانت بلادُ اليمن وما يليها، جنوباً وشمالاً، مصدراً لهجرات عدّة أثّرت تأثيراً بالغاً فيَّ الهضبةِ الحبشيةِ وأعالي النيلِ الأزرقِ ونهرِ أتبره وبلاد أرتريا وسواحلِ السودانِ الشرقية[63]، وقد كان هنالك أتصال مباشر ما بين شبه الجزيرة العربية و بلاد السودان الشرقي، حيث أن البحر الأحمر لم يكن عائقاً أمام هذا التواصل، فإن لم يتم النزوح عبر البحر الأحمر يتم عن طريق سيناء وصولاً إلي الساحل الغربي للبحر الأحمر[64].

كانت القوافل التجارية وقوافل الحُجاج تأتي من مناطق الحجاز المختلفة بين موانئ جدة وينبع وما جاورهما من مرافئ قديمة لتحل في المناطق التي على غربي البحر الأحمر مثل عيذاب وسواكن وعقيق وغيرها من المراسي الأخرى التي تقذفهم إليها الأنواء والرياح[65]، وهنالك تقليد سوداني عريق يؤكد أن قبائل معينة هاجرت مباشرة بعبور البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية إلي السودان[66].

وقد وصل المسلمون إلي بلاد البجا عن طريق البحر الأحمر، فوجدوا مناخها شبيهاً بمناخ الجزيرة العربية وافر الكلأ والماء فأستوطنوا فيه، وأستقر معظمهم على الساحل الشرقي، فأخذوا يختلطوا بالسكان المحليين من البجا وغيرهم وتزاوجوا معهم مما ساهم بصورة كبيرة في أنتشار الدين الإسلامي، ولم يتوقف أغلب المسلمين ويستقروا على الساحل فقط، بل أنتشروا إلي الجنوب تدريجياً على إمتداد إقليم البجا برمته إلي بُعد بلغ حدود الحبشة[67]، وقد رُوي عن رحلة بعض المسلمين عبر هذا الطريق:» ثم سافرنا في هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح بعد ذلك وصدتنا عند السبيل التي قصدنا، ولم نزل في أهوال حتى خرجنا في مرسي يُعرف برأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن، فنزلنا به ووجدنا بساحله عريش قصب على هيئة مسجد وبه كثير من قشور بيض النعام مملوءة ماء فشربنا منه وطبخنا، ورأيت في ذلك المرسي عجباً، وهو خور مثل الوادي يخرج من البحر فكان الناس يأخذون الثوب ويمسكون بأطرافه ويخرجون به وقد إمتلأ سمكاً، كل سمكة منها قدر ذراع ويعرفونه بالبوري فطبخ منه الناس كثيراً وإشتروا»[68].

غير أن نسبة الهجرات الإسلامية لأرض البجا كانت في زيادة كبيرة عبر البحر الأحمر، وذلك بسبب ما تحتويه بقاعها من المعادن الكثيرة[69]، ومن نافلة القول أن البحر الأحمر مثل معبر مهم جداً للهجرات العربية لبلادي السودان والبجا في حقب تاريخية مُختلفة، كما أنه من خلال

السرد السابق يتضح أنه لم يكن من الصعب عبور البحر الأحمر، وبالتالي زاد من أمر التواصل بين ضفتيه.

3/ الطريق الغربي من المغرب عبر الصحراء: ويعتبر هذا الطريق من الروافد المهمة جداً للهجرات العربية، حيث هاجر المسلمون من الحجاز إلي مصر ومنها إلي شمال أفريقيا حيث بلاد المغرب، وقد وصلت القبائل العربية المُهاجرة إلي بلاد النوبة والبجا قادمةً من الغرب عبر بلاد المغرب، فوجدوا في بلاد السودان مناخاً شبيهاً بمناخ الجزيرة العربية وافر الكلأ والماء فأستوطنوا فيه[70]، وقد أتفق الكثير من المؤرخين والباحثين أن من ضمن القبائل العربية المُهاجرة إلي السودان قبائل جاءت عبر طريق بلاد المغرب، وأستطاعت أن تدخل في تكوين بعض القبائل السودانية[71]، ولعل هذا الطريق على الرغم من المشقة التي به إلاّ أنه مثل أحد الروافد الرئيسة لهجرة القبائل العربية لبلاد السودان وبلاد البجا[72]، وبالتالي نجد بأن تعدد هذه الطُرق ساهم بقدر كبير جداً في ضخامة أعداد الوافدين.

المحور الثالث: قبيلة رَبيعَة: -

قبيلة رَبِيعَة تُعد من أكبر القبائل العدنانية, فهي تنسب مع قبائل مُضَّر[73]، وأنمار[74]، وإياد[75]، إلى نزار بن معد بن عدنان[76]، وهم من مشاهير العرب المُستعربة، وقد سموا بالعرب المُستعربة أو المتعربة[77]، وقبيلة رَبِيعَة هي أحد الشعبين الرئيسيين اللذين ينقسم إليهما جذم العرب العدنانية إلى جانب قبيلة مُضَّر، ويقال لهم العرب الربعية[78]، وكانت قبائل رَبِيعَة وسط وشرق وشمال الجزيرة العربية فسكنت عبد القيس[79]، المناطق الشرقية من الجزيرة العربية، وأستقر بنو حنيفة[80]،في اليمامة، وأستقر بنو تغلب في بلاد العراق وشرقي الأردن وبلاد الشام[81]، ويرد أسم قبيلة رَبِيعَة في الأخبار القديمة عادةً كمقابل لأسم «مضر» الذي تنسب إليه قبيلة قريش وكنانة وبنو تميم، حتى روي عن أحد أنصار مسيلمة الكذاب الذي أدّعى النبوة سنة 10هـ/631م، أنه قال:» كذاب رَبِيعَة خيرٌ من صادق مُضَّر»، إذ أن مسيلمة كان من بني حنيفة من بكر بن وائل من رَبِيعَة، وتذكر المصادر انحياز رَبِيعَة إلي القبائل اليمانية في الحروب القبلية التي أنتشرت في العالَم الإسلامي أبان خلافة الأمويين[82]، كما أنه على الرغم مما يفترض من أصل مشترك بين قبائل رَبِيعَة، فإن حروباً طاحنة قد قامت بينها أشهرها حرب البسوس[83]، بين بكر بن وائل وتغلب بن وائل، وقد كانت قبيلتي بكر وتغلب تمارسا حرفة الرعي في أودية بلاد الشام والعراق من قبل الإسلام ثم نزحتا شمالاً إلى الجزيرة الفُراتية شمال بلاد العراق وعرفت المنطقة الجنوبية منها باسم «ديار رَبِيعَة»، بينما عرفت المنطقة الشمالية باسم «ديار بكر»[84]، ولتحقيق دراسة توثيقية أشمل وأكمل نتناول الآتي:

1/ هجرة قبيلة رَبِيعَة إلي مصر في العهد الإسلامي: بدأت قبيلة رَبِيعَة تشق طريقها إلى مصر منذ الفتح، حيث جاءت أعداد قليلة منها ضمن جيش الصحابي الجليل سيدنا

عمرو[85]، بن العاص(رضي الله عنه)، وذُكر:» أن قبيلة»عَنزة»[86]، كان لها بمصر حوالي عشرة منازل وكلها بالفسطاط، ولهم فيها مسجد[87]، وقد توالت هجرات قبيلة رَبيعَة إلى مصر حين أرسل الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد[88]، حملة عسكرية بقيادة(خالد الشيباني)[89]، للقضاء على(عبد الله السري)[90]، وكان أغلب هذا الجيش من قبيلة رَبيعَة[91]، كما هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى صعيد مصر الأعلى، وكانوا قبل ذلك ينزلون باليمامة، فلما نزل عليها(بنو الأخيضر)[92]، خلت العرب منها إلي مصر، وأستقر فريق منهم حول(بلبيس)[93]، من الجوف الشرقي, أما الغالبية منهم فقد واصلوا رحلتهم جنوباً إلى الصعيد الأعلى ومعهم أسرهم[94].

كما كان بصعيد مصر أولاد الكنز، وأصلهم من قبيلة رَبيعَة، وكانوا ينزلون اليمامة وقدموا لمصر في خلافة الخليفة العباسي المتوكل على الله(232-247هـ/847-861م)[95]، في عدد كبير، وأنتشروا في تلك النواحي، ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا في بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها[96].

2/ هجرة قبيلة رَبيعَة إلي بلاد البجة: نزلت قبيلة رَبيعَة في صحراء البجة جنوبي مصر، ولا يعرف عما إذا كانت تلك الهجرة قد تمت عن طريق عبور البحر الأحمر من جهات ميناء ينبع إلي ميناء عيذاب، أم عن طريق سيناء ثم جنوباً حتى ريف مصر ثم إلي صحراء البجة، ومنها إلي أرض وادي العلاقي حيث مناجم الذهب[97]، وقد كانت منطقة البجة في بلاد السودان هي وأول منطقة تنزل فيها قبيلة رَبيعَة عند هجرتها من الجزيرة العربية، ثم تابعوا هجرتهم إلى وادي العلاقي بعد ذلك إلي جوار النهر، ثم أندفعوا جنوباً بعد ذلك[98]، وقد هاجرت قبيلة رَبيعَة هجرة كبري في زمن الخليفة العباسي المتوكل على الله، إلى منطقة المناجم في أرض البجة[99].

وقد رُوي أن قبيلة رَبيعَة أتخذت من منطقة «وادي العلاقي» مقراً لها، وقد تكاملت قبائل رَبيعَة وقبائل مُضَّر بوادي العلاقي، وهم جميعاً أهل اليمامة، وذلك في سنة 288هـ/901م[100]، وقد كثرت قبيلة رَبيعَة بوادي العلاقي حتى ذُكر أنه في سنة332هـ/944م، كان كل البشر الذين بأرض المعدن من أفراد قبيلة رَبيعَة[101]، وقد أستفادت رَبيعَة من كثرتها بوادي العلاقي فأشتدت شوكتهم على غيرها من القبائل الإسلامية[102]، وقد أستولت قبيلة رَبيعَة على معدن الذهب بالعلاقي فكثرت أموال أفرادها، وأتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة، فأختطوا قرية لهم تُعرف بـ(النماس)[103]، وحفروا بها آبار[104].

وأخيراً فكر قادة قبيلة رَبيعَة في تقوية نفوذهم بأرض البجة، حيث عمدوا لمصاهرة البجة، فتزوج رؤساء قبيلة رَبيعَة من بنات رؤساء البجة، وقد كانت عادات البجة تنص على أن العرش ينتقل بعد وفاة الملك إلي أبن البنت، أو أبن الأخت (وهو ما يُعرف بالنظام الأمومي)، مما ترتب

على هذا الزواج أبعاد اقتصادية، كما لها أثر ديني وسياسي بإنتقال الحكم تدريجياً إلي قبيلة رَبِيعَة، فضلاً عن أنتشار الإسلام بين البجة والسودانيين العاملين في مناجم الذهب، والأهم تمكينهم من السيطرة على مناجم الذهب لبناء دولة قوية تمد القبائل المُسلمة الموالية لها بالغذاء، خاصةً عندما ضاق الحال بالقبائل المُسلمة في مصر حين قطع الخليفة المُعتصم بالله أعطياته لهم، كما أن قبيلة رَبِيعَة كانت ترمي من وراء مُصاهرة البجة أن تجد لها حليف قوي تركن إليه ضد سائر القبائل المُسلمة، خاصةً بعد صراعها مع قبيلة مُضَّر[105].

أخذت قبيلة رَبِيعَة تُضيِّق الخناق على غيرها من القبائل الإسلامية الأخرى، وذلك من أجل الإستحواذ على الذهب، الذي كان قد أوقع بين المسلمين المنافسة والمنازعة والحروب، وكانت سياسة المُصاهرة التي قامت البجة و رَبِيعَة حكيمة ومفيدة لهما، ولم تكن تثير مخاوف ولاة مصر، خاصةً في أنهم لم يتدخلوا في أمر الأموال التي كانت تجبي لصالح الخلافة العباسية، فأستطاع هذا الحلف العيش بسلام[106]، وبعد أن أستقرت قبيلة رَبِيعَة بين البجة، أستطاع بعض أعضائها حكم مملكة البجة، ومع ذلك تعايشت رَبِيعَة مع رعاياها لتكون(بني كنز)[107]، ولم يمض وقت طويل حتى آل العرش البجاوي لقبيلة رَبِيعَة[108]، وقد شهدت فترة القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وصول مجموعات أخري من القبائل العربية الباحثة عن الذهب وبالذات من قبيلة رَبِيعَة التي تزاوجت مع البجة بكثافة، ثم الكواهلة في القرن الثالث عشر[109].

وعليه شهدت الفترة التي تصاهرت فيها قبيلة رَبِيعَة مع البجة رخاء، وأستقرار، وسلم، وأمن، ونشاط تجاري مُتميز، مما أدي إلي إنتشار الإسلام في ربوع ممالك البجة المختلفة من عيذاب إلي دهلك، فأخذت الوفود الإسلامية من جماعات وأفراد تشق طريقها في أرض البجة دون أن تصادف أي إعتداء من البجة[110]، وتذكر معظم المصادر أن قبيلة رَبِيعَة كانت لها صلات قوية مع قبيلة الحدارية البجاوية إلي درجة إطلاق صفة العرب عليهم[111].

وقد أسهمت قبيلة رَبِيعَة في بث الأمن والسلام في صعيد مصر وصحراء البجة، إذ أنها أستطاعت أن توقف غارات البجة على النواحي الشرقية من صعيد مصر، بل منعتهم من ذلك[112]، وكنتيجة طبيعية لإستقرار قبيلة رَبِيعَة بين قبائل البجة أستطاعت أن تنشئ مُجمع تجتمع إليه يُعرف بالعلاقي في رمال وأرض مستوية وفي بعضها جبال ما بينها وبين أسوان، وأموال هذا المعدن تقع إلي مصر، وهو معدن تبر لا فضة فيه، وهو بأيدي رَبِيعَة وهم أهله خاصة[113].

ومن نافلة القول نجد أن قبيلة رَبِيعَة أستفادت من مكانتها وسط قبائل البجة وساهمت بقدر كبير جداً في نشر الدين الإسلامي، في شرق السودان أولاً ثم أنتقلوا إلى باقي مناطق السودان المُختلفة مُرتكزين على أساسهم المتين الذي أسسوه وسط قبائل البجة.

3. بطون قبيلة رَبِيعَة التي سكنت في أرض المعدن(المناجم): أستطاعت قبيلة رَبِيعَة أن تكون إمارة قوية في أرض البجة، مستفيدةً من الثروات الكبيرة في أرض البجة، ثم أخذت تأتي بهجرات

لبقية بطون القبيلة من الجزيرة العربية لأرض البجة، وأهم بطون قبيلة رَبِيعَة القادمة:

(أ) بنو عِجْل [114]: وهم بطن من بطون قبيلة رَبِيعَة التي أقامت في مناجم مصر وعملت بها، وقد هاجر بنو عجل إلى مصر مع باقي رَبِيعَة في هجرتم الكبرى زمن الخليفة المتوكل العباسي[115]، كانت منازلهم قديماً تقع في اليمامة إلى البصرة، وأيضاً كانت لهم دولة بالعراق[116]، وأتجهوا إلى أرض المناجم واتخذوا منجم للتبر عَملوا به، وهو منجم يُسمي العجلى يُنسب إليهم، وهو في طريق مدينة فقط[117].

(ب) بنو حنيفة [118]: هم من بطون قبيلة رَبِيعَة التي سكنت أرض المناجم وعملت بها[119]، وتركزت هجرة بنو حنيفة في المنطقة الجنوبية من الصحراء الشرقية فيما بين النيل وبحر القلزم، التي أنتقلوا إليها بالعائلات والذرية، وأبتنوا هناك أكثر من بلدة لهم، كما نزلت جماعة أخرى منهم بأسوان، وأبتنوا بظاهرها بلدة المحدثة، لتصبح قريبة من مناجم وادي العلاقي، وأختص هذا البطن من رَبِيعَه برئاسة وادي العلاقي وأرض المناجم مراراً، فمن بني حنيفة هؤلاء شيخ رَبِيعَة أشهب، الذي لعب دوراً كبيراً في التصدي للمناجم[120]، ولم تقتصر مشيخة قبيلة رَبِيعَة في وادي العلاقي على أشهب فحسب، بل كان منهم أيضاً إسحاق بن بشر، وقد ترأس قبيلة رَبِيعَة فترة من الزمن وحدث بينه وبين بني يونس أحد بطون قبيلة رَبِيعَة حروب حول زعامة القبيلة ومنطقة المناجم أنتهت بمقتله، وتم أختيار أبن عمه الشيخ أبي يزيد بن إبراهيم بن مسروق[121]، خلفاً له[122].

(ت) بنو يونس: هم بطن من بطون قبيلة رَبِيعَة في وادي العلاقي،غير أن بنو حنيفة لم يقبلوا بفكرة أن يشاركهم بني يونس في أستخراج الذهب والزمرد في المناجم، فجرت بينهم حروب أنتهت بهزيمة بنو يونس، وبذلك ظل بنو يونس في ثغر عيذاب حتى طردوهم منه بنو حنيفة في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومن ثم رحل بنو يونس من الثغر إلى الحجاز[123].

(ث) بنو يشكر[124]: هاجروا مع قبائل رَبِيعَة إلى أرض المناجم وأتخذوا من المناجم منجماً عُرف بأسمهم وهو منجم»الشكري» وهو منجم تبر لا فضة فيه[125].

(ج) بنو أكلب [126]: ثم هاجروا إلى مصر وأقاموا بها ومنها نزحوا إلى أرض المناجم، واليهم ينسب منجم الكلبي[127]، وربما نسب هذا المنجم إلى بني كلاب وهم فخذ من ضبيعة بن رَبِيعَة، وقد هاجروا إلى مصر وأقاموا بها، وكان يخدمون الملك الأشرف موسي[128]، من بني أيوب ويصحبونه، وقد أظهروا على آل رَبِيعَة في أيام الملك الظاهر بيبرس[129]، الذي قدّمهم على باقي قبائل رَبِيعَة[130].

(ح) بنو شيبان[131]: وقد جاء فريق منهم إلى مصر في سنة 207هـ / 822م مع القائد خالد الشيباني الذي أتى إلى مصر بأمر من الخليفة العباسي المأمون من أجل الاستيلاء على مصر من يد الوالي عبيد الله السري[132]، ويرى البعض أن فريقاً من بني شيبان نزلوا أرض المعادن مع أبناء عمومتهم من بني قيس بن ثعلبة[133]، إلى وجود حي أبن بني قيس بن ثعلبة في أرض المناجم، وترأس هذا الحي من بني قيس رجل يدعى محمد بن صريح، وكون هذا الحي من بني قبيلة رَبِيعَة حلفاء لهم في أرض المعادن[134].

المحور الرابع/ تأسيس قبيلة رَبِيعَة لإمارتهم في أرض البجة:

1/ أهم الأحداث التي ساهمت في أرتقاء قبيلة رَبِيعَة لقيادة البجة في الأتي: -

أ/ هجرة العُمري (135)، إلى المناجم وإصطدامه بقبيلة رَبِيعَة: بعد نجاح حملة القُمِّي(136)، في صد حملات قبائل البجة.

وتأمين المسلمون في أرض المعدن، كثر المهاجرون إلى هناك[137]، بعد ذلك أستخلف القُمِّي شيخ رَبِيعَة أشهب[138]، مكانه على المناجم، وعاد القُمِّي إلى بغداد، ومنذ ذلك الوقت صارت الزعامة في وادي العلاقي لأشهب شيخ قبيلة رَبِيعَه، فأصبح مسئولاً عن تدبير شئون المناجم، ويبدو أن أشهب شيخ رَبِيعَة حاول الإستقلال بالمنطقة إلاَّ أنه وجد معارضة من بعض رجال القبائل العربية الأخرى المقيمة في وادي العلاقي، والذين وشوا به عند القُمِّي شاكين من جورهِ[139]، فقام القُمِّي بحبس أشهب مدة ثم أطلق سراحه ربما خوفاً من قبيلته، وقد حذر البعض القُمِّي من نية أشهب تجاهه فرد قائلاً:» لئن يلقي الله بدمى أحب إلى من ألقاه بدمه»، إلاَّ أن أشهب ورجاله من قبيلة رَبِيعَة لم يغفروا للقُمِّي هذا العمل وتحينوا الفرصة ليتخلصوا من السلطة المركزية، وذلك بقتل القُمِّي الذي يمثل السلطة المركزية من قبل الخليفة العباسي المتوكل علي الله، وقد تم لهم ذلك في سنة245هـ/859م، ومنذ ذلك الوقت خلا الأمر لقبيلة رَبِيعَة في أرض المعدن، وأصبحوا هم سادة المنطقة بدون منازع، حيث زال منذ ذلك الوقت أمر السلطان-الخلافة- بالعلاقي[140]، وأختلطت قبيلة رَبِيعَة بقبائل البجة، فقل شر قبائل البجة على قبيلة رَبِيعَة والقبائل الإسلامية، وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به[141]، ومن أشهر الذين سمعوا عن أرض المعدن وبريقها وهاجروا إليها العُمري، وقد سمع عن المناجم في صعيد مصر و التي ذاع صيتها في العالم الإسلامي، فأشترى عبيداً للعمل في المناجم وسار إلى أسوان، على سبيل التجارة، ثم دخل في أرض المناجم ونزل على حي من مُضَّر، وقد كانت هجرة العُمْري لأرض البجة في سنة 255هـ/ 869م، حيث وصل وتمركز في أرضهم بالقرب من المناجم، وأستأنف العمل بها حتى صارت المواد التموينية التي تحمل إلى قبيلته من المقيمين

معه من مُضَّر وغيرهم حوالي ستين ألف راحلة، هذا غير الجلاب (السفن) التي تُحمل من القلزم إلى عيذاب إليهم[142]، وتعتبر هجرة العُمري لأرض البجة من أضخم الهجرات العربية إلى هذه الأرض في زمن الوالي أحمد بن طولون[143]، الذي كان يريد إرسال حملات عسكرية بقيادة القبائل العربية لتأديب النوبة والبجة جنوبي مصر[144].

ويبدو أن وصول العمري إلى أرض المناجم مصدر أضحي شؤم لقبيلة رَبيعَة التي سبق أن سيطرت على المناجم، ولكن وجود شخص قرشي أمثال العُمري قد يسبب لها المتاعب وحرمها من المكاسب التي حققتها، خاصة بعد أن ذاع صيته عقب أنتصاراته على النوبة والبجة، فلهذا عمد أمراء ورؤساء قبيلة رَبيعَة منع العُمري من دخول المنطقة بالقوة بعد عودته من حروبه ضد النوبة وذلك خوفاً على مصالحهم، مما أدى ذلك إلى قيام حرب بين حلف العُمري مع المُضَّرين ضدّ قبيلة رَبيعَة أنهزم فيها العُمري وأنسحب جنوباً إلى موضع عرف بأسم الشنكة[145]، فأحتله وأقام به[146].

يتضح مما سبق أن النزاع القبَلي قد دبت جذوره في أرض المعدن، وظهر ذلك جلياً في تعصب قبيلة رَبيعَة والعُمري وقبيلة مُضَّر، وعلى رغم أن قبيلة رَبيعَة ومُضَّر قبيلتين عدنانيتين إلاَّ أنهما يعدان عنصرين قبَليين لكل منهما بطون، ولهما نزعاتهما القبَلية، ومن هنا لم يكن التعصب القبَلي ليأخذ النطاق الأوسع فقط كعدناني وقحطاني بل كان يدب في البيت الواحد نفسه.

ب/ حرب قبيلة رَبيعَة ضد العُمري بأرض البجة: كانت بداية النزاع الذي شب بين قبيلة رَبيعَة وحلف العُمري أن بعض أفراد قبائل البجة حليفة رَبيعَة قاموا بقتل إبراهيم المخزومي[147]، وكان قد خرج ليمتار(الميرة)[148]، من عيذاب، فأعترضه البجة وقتلوه ومن معه، فغضب لذلك العُمري وكتب إلى رؤساء قبيلة رَبيعَة يسألهم الإنصاف من زعماء قبائل البجة أو التخلية بينه وبينهم فرفض رؤساء قبيلة رَبيعَة، وتخاذلوا مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين[149]، غضب العُمري من رفض رؤساء قبيلة رَبيعَة أخذه القصاص من قبائل البجة، فأستدعى العُمري رجال قبيلته(مُضَّر) ودعاهم إلى حرب قبيلة رَبيعَة فتخلوا عنه ورفضوا الدخول معه في حرب ضد قبيلة رَبيعَة، وقام بنو هلال وهم بطن من مُضَّر بعبور النيل إلى الغرب، في حين قام بنو تَميْم شرقي النيل وأعتزلت (الغاربة)[150]، وبذلك تخلت قبيلة مُضَّر عن العُمري بعد أن قلدته أمرها[151]، بعد تلك الإنتصارات التي حققها العُمري حدث أن وقع خلاف بين أبناء قبيلة رَبيعَة أنفسهم، فأستغل العُمري ذلك الخلاف وقتل أشهب شيخ قبيلة رَبيعَة، إلاَّ أن أتباع العُمري من مُضَّر لم يوافقوا على تصرف العُمري بقتله لشيخ قبيلة رَبيعَة، ولذلك اعتزم شيخ قبيلة مُضَّر ويدعى محمد بن هارون على قتل العُمري فقتلة غدراً[152]، وبذلك أنتهت أسطورة العُمري الذي كان يسعي إلي توحيد القبائل الإسلامية، وأستطاع هزيمة قبيلتي النوبة والبجة،

وقد كان يتطلع إلي تكوين مملكة إسلامية بأرض البجة والسودان إلاَّ أنه مات، وبموته تفرقت القبائل الإسلامية التي التفت حوله[153]، وبمقتل العُمري أنتهي طموحه لإقامة لبنات أول إمارة إسلامية سُنية بمنطقة شمال شرق السودان.

2/ إقامة رَبيعَة أول إمارة عربية في وادي العلاقي: بعد مقتل العُمري قويت شوكة قبيلة رَبيعَة وقبيلة البجة، مما دفع ذلك قبيلة رَبيعَة إلي أن تحارب القبائل التي وقفت إلي جانب العُمري للإنتقام منها لما سببته لها من هزائم، هذا فضلاً عن محاربتها سائر القبائل الإسلامية الأخرى التي لم تساندها إبان حربها ضد العُمري، فحرمتهم من الذهب حتى أصبحت السيادة في وادي العلاقي والمناجم المحيطة تحت قبضة قبيلة رَبيعَة وحلفائها، فلذا أستطاعت قبيلة رَبيعَة السيطرة على الحياة الإقتصادية في منطقة البجة[154]، فعمدت قبيلة رَبيعَة لتوطيد علاقتها مع البجة وتوثيقها بشتى السبل، الأمر الذي مكنها من بسط نفوذها على المنطقة الواقعة بين عيذاب شرقاً وأسوان غرباً، كما أختطوا قرية لهم تُسمي(المُحدثة)[155]، بعد ذلك أنشأت قبيلة رَبيعَة الكثير من المناطق العُمرانية بعد أن وثقت صلاتها بالبجة، وقد ساهمت تلك المناطق العُمرانية في أستقرار المسلمين جنباً إلي جنب مع البجة وبالتالي ساعد ذلك الأمر على إسلام البجة[156].

كانت قبائل البجة تشن غارات مُتكررة على القرى الشرقية فخربوها، فقامت قبيلة رَبيعَة بمنعهم من ذلك حتى كفوا عنها، ولعل ذلك يدل على السيطرة الكبيرة لقبيلة رَبيعَة على قبائل البجة، كما أن قبيلة رَبيعَة قد عمدت إلى طرد القبائل العربية الأخرى، ومن بينهم بني يونس[157]،وإن كانوا من أحدى بطونها إلاَّ أن قبيلة رَبيعَة رفضت أن يقاسمها أحد في أرض المناجم، وحدث أن نشب بينهم نزاع من أجل الزعامة في أرض المعدن فأستقلته قبيلة رَبيعَة وقامت بطردها فرجعت إلى الحجاز مرة أخرى[158]، بعد ذلك بدأت قبيلة رَبيعَة في تفعيل أمر الحُكم في ديار البجة، بعد أن خلا الأمر لإسحاق بن بشر[159]، الذي قاد حروب بينه وبين بعض أفراد قبيلته، أنتهت بمقتله، مما دفع برؤوس قبيلة رَبيعَة أن يفكروا في حل نهائي للقضاء على هذه المنازعات حتى لا تتعرض إمارتهم للخطر، وبالتالي يفقدوا أرض المعدن ومناجم الذهب التي كافحوا طويلاً من أجلها وأنتهي بهم الرأي إلى أن يؤمروا رجلاً من قبيلة رَبيعَة من خارج منطقة وادي العلاقي، فأختاروا أبن عم إسحاق المقتول، وهو الشيخ محمد بن علي[160]، وبذلك أطفأت قبيلة رَبيعَة نار الفتنة بين أبناء قبيلتها، وأستتب الأمر لهم في وادي العلاقي والمناطق المجاورة له[161]، وبعد وفاة الشيخ محمد علي، تولى رئاستهم بعده ولده أبو المكارم هبة الله[162]، بن الشيخ أبي عبد الله بن على، الذي يُعرف (بالأهوج المطاع)[163]، وقد كان له دور كبير في العصر الفاطمي في أرض المناجم، والتي أعتنت بها الدولة الفاطمية في مصر أكثر من غيرها[164]، ولعل كثير من المؤرخين إعتبروا بأن الأهوج المطاع هو المؤسس الحقيقي لهذه

الإمارة.

وقد كان قبيلة رَبِيعَة ببلاد البجة دور كبير جداً في نشر الإسلام والدعوة الإسلامية بين البجة والنوبة في شمال السودان، وذلك لموقعها الإستراتيجي وقربه من الممالك الأخرى،بالإضافة إلي الإتصال المُستمر بينها، وكان هذا الإتصال يتم عبر الهجرات المتواصلة لعرب رَبِيعَة إلي بلاد النوبة، إما نتيجة للحرب التي كانت مع دولة الخلافة بمصر، وإما بسبب تحالفهم مع قوات دول الخلافة لمحاربة دولة المقرة المسيحية[165]، ونلاحظ بأن قبيلة رَبِيعَة توسعت في علاقاتها مع قبائل البجة، فأصبح لديهم أسر حاكمة في بلاد البجة وفي وادي العلاقي وفي بلاد النوبة كذلك.

3/ أسباب أختيار قبيلة رَبِيعَة لوادي العلاقي إمارة لهم: هنالك عُدة أسباب إجتمعت جعلت قبيلة رَبِيعَة تتخذ من وادي العلاقي إمارة لهم هي:

(أ) أن منطقة وادي العلاقي أغنى أراضي المعادن بالذهب والزمرد وتشير الوثائق البردية المصرية القديمة على أن هذه المنطقة كانت أهم مصدر للذهب منذ أيام المصريين القدماء[166]، وظلت كذلك حتى فترة متأخرة من العصور الإسلامية، إذا أنها كانت بمثابة أكبر مدينة للباحثين عن الذهب[167].

(ب) أن منطقة وادي العلاقي كانت تحتل مركزاً متوسطاً ومهماً في منطقة المعادن ومنها تتفرع المسالك والدروب المؤدية لباقي المناجم في صحراء مصر الشرقية، وقد كانت العلاقي مركزاً تجارياً[168].

(ت) سهولة الحصول على عبيد السودان لإستخدامهم في حفر المناجم، وكانوا يشترون من النوبة أو من البجة المعروفين بالزنافج، ومثال لذلك ما اشتراه العُمري من عبيد النوبة للعمل في المناجم.

(ث) وفرة مياه الآبار في منطقة العلاقي، والتي كانت تكفي لشرب السكان والعمال في المناجم.

(ج) تشابه مناخ العلاقي مع مناخ وبيئة الجزيرة العربية التي أتت منها القبائل الإسلامية الباحثة عن الذهب، لذلك أقبل أهل الحجاز خاصة للإقامة بمنطقة العلاقي[169].

(ح) وفرة المراعي والكلأ في منطقة العلاقي أيضاً كانت دافعاً للمسلمين للإتجاه جنوباً والإستقرار في تلك المنطقة[170].

(خ) قُرب منطقة المناجم في وادي العلاقي من موانئ البحر الأحمر ووقوعها على الطرق التجارية الواصلة بين تلك الموانئ ومصر العليا، حيث كان وادي العلاقي معبراً مهماً يصل كل من قوص وأسوان بموانئ البحر الأحمر الإفريقية وخاصة مينائي باضع وعيذاب، وكانت المعادن تصدر من خلال تلك الموانئ إلى دول البحر المتوسط[171].

(د) أن بُعد وادي العلاقي عن السلطة المركزية في مصر شجع قبيلة رَبيعَة وغيرها من القبائل على الانزواء في تلك المنطقة الغنية بالمعادن وإستغلالها دون أن يدفعوا الضرائب التي عليهم للدولة إلاَّ قليلاً[172].

مما سبــق يمكننا القول بأن تلك الأسبـاب مُجتمعة هي التي دفعت قبيلة رَبيعَة إلي الإستقرار في منطقة وادي العلاقي وأرض المعدن وسط قبائل البجة، وبالتالي سهلت لهم تلك الأسباب إقامة إمارتهم في تلك المناطق، كما أن تلك الأسباب دفعت الكثير من القبائل العربية للهجرة لبلاد البجة غير أن قبيلة رَبيعَة سبقتها في المكانة.

4/ علاقات إمارة رَبيعَة الفاطميين والأيوبيين: وتعزز نفوذ قبيلة رَبيعَة في الصعيد بإستيلاء الأمراء الفاطميين على مصر سنة 357هـ وقد ساهم زعيم قبيلة رَبيعَة أبو المكارم هبة الله بن محمد في إلقاء القبض على أبي ركوة الأموي[173]، وإعترافاً من الحاكم الفاطمي بمكانة زعيم رَبيعَة منحه لقب كنز الدولة، وأعترف بإمارته على الصعيد رسمياً، وهكذا بقيت قبيلة رَبيعَة تتسيد صعيد مصر وبلاد البجة وشمال السودان عدة قرون من الزمن، وفي أواخر عصر الدولة الفاطمية أرسل نور الدين زنكي[174]، الذي كان جده من موالي السلاجقة، ثم ملك الشام والجزيرة من 569/541هـ وهو عم صلاح الدين الأيوبي[175]، أرسل أخاه شيركوه لمساعدة الخليفة الفاطمي العاضد بالله[176]، في مواجهة الغزوات الصليبية، فلما قتل شيركوه –قتله صلاح الدين نفسه- تسلم ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الكردي منصب الوزارة في مصر[177].

وكان في مصر إضافة إلي الجيش الكردي والتركي بزعامة صلاح الدين، جيش آخر من السودانيين يقدر عدده بخمسين ألف مقاتل يقودهم مؤتمن الخلافة، وكان صلاح الدين يريد التخلص منه ليستفرد بحكم مصر، فوقعت بين الطرفين حرب دامية أستخدم فيها صلاح الدين أساليب غير أخلاقية لهزيمة أعدائه، ففر السودان إلي بلادهم، فتتبعهم صلاح الدين بجيش يقوده أخوه توران، وكان لابد أن يمر هذا الجيش ببلاد إمارة رَبيعَة، فوقف أبناء كنز الدولة الربعي على الحياد من هذا الصراع، وحقق توران نصرا ساحقا على جيش السودان[178].

فأكرم صلاح الدين قادة جيشه هذا بإقطاعهم أراضي إمارة رَبيعَة في الصعيد، ولم يقف الربعيون ومن معهم من العرب مكتوفي الأيدي، وهم يرون هذا الكردي يسلب منهم أراضيهم وممتلكاتهم، فاشتعلت الحرب بين العرب بقيادة أبناءكنز الدولة الربعيين وجيوش صلاح الدين، تمكن فيها صلاح الدين من دحر العرب وإخضاع إمارة رَبيعَة لسلطته، وبالرغم من ذلك فقد بقي الربعيون يتولون حكم إمارتهم في بلاد البجة والصعيد حتى عام 815 هـ تقريباً[179].

ومن نافلة القول إن أكثر تلك المناجم بأرض المعدن كانت تنتسب إلى قبيلة رَبيعَة وبطونها، ولعل كثرة أعداد أفراد وبطون قبيلة رَبيعَة كانت سبب في تفوقها على سائر القبائل الإسلامية

في منطقة المناجم بوادي العلاقي، الأمر الذي جعل لها وزنها السياسي لدى حكام المسلمين، فتحالفوا معها وأمدتهم قبيلة رَبِيعَة من جانبها بالهدايا من كنوز الذهب والزُمَّرد والجواهر النفيسة التي مُلئت بها قصورهم.

كما أنه يمكننا القول بأن قبيلة رَبِيعَة العربية مثلت نموذجاً واضحاً ومُشرفاً على مدي التصاهر الذي تم ما بينهم وبين البجة والنوبة، فعاد هذا التصاهر بالخير على كل الأطراف، حيث أوجد لقبيلة رَبِيعَة موطأ قدم في شرقي وشمال السودان بعد نزوحهم من شبه الجزيرة العربية، وقويت قبيلة رَبِيعَة بالبجة على القبائل العربية الأخرى التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، وقويت شوكة قبائل البجة المُسلمة بقبيلة رَبِيعَة على بقية قبائل البجاوية التي لم تعتنق الإسلام.

النتائج التي توصلت إليها الدراسة: -

١/ الدافع الأول لقبيلة رَبِيعَة هو الإستفادة من خيرات وادي العلاقي وأرض المعدن، ونجد أن ذلك الدافع أتضح جلياً من خلال التتبع التاريخي للموضوع.

2/ جعلت قبيلة رَبِيعَة من وادي العلاقي مُرتكزاً رئيسياً لإنطلاقتهم إلى مناطق أخري بالسودان كالوسط والشمال، مستفيدين من تسيدهم على ممالك البجة.

3/ إمتازت العلاقات السياسية لقبيلة رَبِيعَة مع دولة الخلافة الإسلامية في مصر بالتذبذب والعداوة المُتكررة، والتعامل على أساس المصالح والفائدة.

4/ النظام الأمومي في الحكم لدي البجة هو المرتكز الرئيسي الذي إرتكزت عليه قبيلة رَبِيعَة، فتزوج رجال رَبِيعَة من نساء البجة وسرعان ما وصلوا لكراسي عرش ممالك البجة.

التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

* يحتاج هذا الموضوع وجُل المواضيع التاريخية التوثيقية المُتعلقة بتاريخ قبائل البجة بشرقي السودان إلى مزيد من الإجتهاد وذلك من أجل الوصول لواقع تاريخي أشمل.

الحواشي والهوامش: -

(Endnotes)

1. البجة: أتفق كثير من المؤرخين أن أسم البجة لم يكن هو الإسم السائد الذي أطلق على سكان هذه المنطقة، بل أن هذا الإسم كان عُرضة للتغيير والتبديل بحسب تغيير الأمم التي كان لها إتصال بالبجة، ولكن هذه الأسماء على الرغم من تغيراتها لكنها لم تغير حقيقة أن هذا الشعب هم سُكان هذه المنطقة من شرق السودان، والبجة هم سُكان الصحراء الشرقية، وهم في المشهور بادية بني كوش بن حام، وأنهم عرفوا عند الكتاب الرومان بإسم البلامس، وقد ظن البعض أنهم البُقة(Buka)، المدونون على الآثار المصرية القديمة، أو البقيته(Bugaitae)، المدونون في آثار مملكة أكسوم الحبشية"، البجة هم الأمة التي تسكن

في شمال شرقي السودان بين عيذاب شمالاً إلي مصوع جنوباً، ومصطلح البجة أطلقه فراعنة مصر على سكان المنطقة الواقعة شمال أريتريا إلي الحدود السودانية المصرية عند بئر منطقة الشلاتين شمالاً، ومن شرق نهر النيل إلي ساحل البحر الأحمر، ومصطلح بجا عند الفراعنة يعني المحـاربون، ونجد أن مُـسمي البجاة أو البجة هو الإسم الحديث للقبائل القديمة التي كانت معروفة لقدماء المصريين تحت أسم ميجا أو ميجوى، وقد أطلق الكُتاب القدماء منذ القرن الأول الميلادي على سكان الصحراء الشرقية أسم البَلِيمين(Blemmyes)، حيث ذُكر في القرن السادس الميلادي أنهم يسكنون المنطقة الممتدة من حدود مصر إلي أكسوم، بينما ذكر كوزمس التاجر المصري الذي عاش في نفس الفترة بأن سُكان هذه المنطقة أسمهم بجا(Bege)، ولا يستبعد أن يكون المسميان لجنس واحد وهم البجة، وقد أستوطن البَلِيمين بعض جهات النوبة العليا جنوبي المحرقة منذ زمن البطالمة، وأضاف الرحالة البرتغالي الفارز إلي وجود جماعة في تلك المنطقة تسمي البلونيون(Bellones)، ولا يستبعد أن يكونوا هم و البَلِيمين جنس واحد، كما أنه من الضروري أن نشير إلي أن المؤرخون العرب في العصور الوسطي لم يكونوا أول من أطلق أسم البجة أو البجاة على سكان الصحراء الشرقية وما يليها إلي أطراف الحبشة، وكانت لهذه التسمية أصول تاريخية قديمة، وإن لم تكن ثابتة ولا مطردة على مدي العصور، من هذا يتضح أن مسمي البجة هو أسم لشعب قديم أطلقه عليهم قدماء المصريين وهو يعني المحاربين الأقوياء، ولعل ذلك يرجع للمضايقات التي تعرضوا لها من هؤلاء البجة، وعلى الرغم من تطور هذا الإسم في كثير من الأحيان إلاّ أننا نجده قد أستقر على مصطلح البجة أو البجة.

عوض عبد الجليل أبوبكر: تطور علاقات قبائل البجة بالدولة الإسلامية من فتح مصر حتى نهاية دولة المماليك)20هـ/641م حتى923هـ/1517م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة البحر الأحمر، السودان، 1435هـ/2013م، ص71-72.

2. المرجع السابق، ص9-10.
3. المعدِن: بكسر الدال، ويعنى في لغة العرب منبت الجواهر من الذهب والفضة والحديد، وغير ذلك من فلزات الأرض، ومعدن كل شيء أصله ومبدوء، والعرب تقول أكدي المعدن إذا قل ما فيه من الجواهر، أطلق العرب على الموضع الذي يستخرجون منه المعادن أسم المعدِن.

محمد بنَ مكرم بن علي أبو الفضل أبن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000م، 12جزء، ج4، ص284.

4. وادي العلاقي: بفتح العين المهملة، واللام المُشددة، ثم ألف وقاف مكسورة، وهو وادي

ينتهي حدّه في أرض البجة ما بين الحبشة وأرض مصر والنوبة.

الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء: تقويم البلدان، طبع بباريس، دار الطباعة السُلطانية، عام1940م، ص121.

5. صفى علي محمد: مدن مصر الصناعية، ط1، دار المعارف المصرية، مصر، 1983م، ص235.
6. المرجع نفسه، ص237.
7. نعوم شقير: تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، بدون طبعة، دار الجيل، لبنان، 1981م، ص81.
8. عبد المجيد أحمد وعبد المنعم حسن: وادي العلاقي جغرافيته وإمكانات تنميته، مقالة علمية منشورة بمجلة رسائل جغرافية (علمية مُحكمة)، قسم الجغرافيا-كلية العلو الإجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة 290، يوليو 2004م، ص6.
9. 9محمد الحسين محمد: منطقة وادي العلاقي في جنوب صحراء مصر الشرقية «دراسة في الجيومرفولوجية التطبيقية «رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2002م، ص 23.
10. أبو القاسم محمد بن علي الموصلي أبن حوقل: صورة الأرض، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دت، ص152.
11. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، د ط، دن، القاهرة، مصر، 1963م، ص316.
12. أحمد حسانين التمكي: صحراء مصر الشرقية في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قنا، مصر، 1995م، ص2.
13. صحراء عيذاب: ترجع تسميتها بصحراء عيذاب نسبةً إلى ميناء عيذاب الشهير على البحر الأحمر، والذي بلغ درجة كبيرة من الشهرة وذيوع الصيت لما حققه من مكانة تجارية كبيرة فضلاً عن مكانته كطريق للحجاج المصريين والمغاربة إلى الحجاز في تلك العصور؛ لذلك نسبت الصحراء المجاورة إليها فعرفت بصحراء عيذاب.

سراج الدين أبي حفص عمر أبن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب «الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان»، طُبع بمطبعة

مصطفي الباني الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر،1341هـ، ص54.

14. صحراء القلزم: نسبة إلى مدينة القُلزم الشهيرة على رأس البحر الأحمر والتي خربت وحل محلها مدينة السويس في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، إلاّ أن أسمها ظل يطلق على هذه الصحراء.

محمد عبد النعيم محمد عبده: صحراء مصر الشرقية في العصر الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة, 1416هـ/1995م، ص25.

15. المرجع السابق، ص25.
16. تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي(ت845هـ1441-م): البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، القاهرة، مصر، 1942م، ص45-46.
17. سراج الدين بن الوردي: مصدر سابق، ص45.
18. أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الجوهرتين العتيقتين من الصفراء والبيضاء) الذهب والفضة)، تحقيق أ.د أحمد فؤاد باشا، دار الكُتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر،1430هـ/2009م، ص123.
19. سراج الدين بن الوردي: مصدر سابق، ص45.
20. محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس «مأخوذة من كتاب نُزهة المُشاق في إحراق الأفاق»، طُبع بمدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، سنة1893م، ص23.
21. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص21.
22. عبد الرحمن بن محمد أبن خلدون (ت808هـ/1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م، 7 أجزاء، ج2، ص91.
23. أبو القاسم محمد بن علي الموصلي أبن حوقل: كتاب المسالك والممالك، طُبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، سنة1873م، ص40.
24. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، طبعة مطبعة ليدن المحروسة، بمطبع بريل 1890-1891م، ص133، كل الأسماء بين القوسين هي أسماء مناطق وردت من غير نقط في النسخة الأصلية.
25. وليام أدامز: النوبة رواق أفريقيا، ترجمة محجوب التجاني، ط1، شركة الفاطمي، القاهرة،،2004م، ص486.
26. شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1963م، 8أجزاء، ج5، ص274.
27. جمال حمدان: شخصية مصر، د ط، دار الهلال، القاهرة، مصر، 1981م، ج2، ص253.
28. المرجع نفسه، ص256-257.

29. محمد رجائي الطحلاوي: ثروة دولة الكنوز في وادي العلاقي، د ط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2009م، ص110.
30. منصور بن بعرة الذهبي الكاملي: كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبد الرحمن فهمي، القاهرة، مصر، 1966م، ص150.
31. الشريف الإدريسي: مصدر سابق، ص40.
32. منصور بن بعرة: مصدر سابق، ص152.
33. أحمد بن أسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص334.
34. منجم كعار: هو منجم خاص بقبيلة رَبِيعَة يجتمع الناس إليه لطلب التبر، وهو على بُعد مرحلة من العَلاقِي.
الشريف الإدريسي: مصدر سابق، ص28.
35. منصور بن بعرة: المصدر السابق، ص153-154.
36. السختيت: هو دُقاق التراب، ويبدو إن هذا الموضع من التبر يوجد في الرمال السائلة وليس في الجبال، وهو يستخرج عن طريق التقاطه.
عبد الفتاح الصعيدي: الإفصاح في فقه اللغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1992م، ص557.
37. بركان: هو أخر منجم لإستخراج التبر، وهو خارج وادي العلاقي، ويصله المسافر في ثلاثون مرحلة.
المرجع نفسه، ص557.
38. مدينة قفط: هي كلمة أعجمية، وهي مدينة بصعيد مصر إلي أسوان من الشرق، وتقع جنوب بلده قنا ب 20 كيلو متر وشمال مدينة الأقصر بـ 40 كيلومتر، هي من أقدم المدن حيث بناها الملك قفطاي في عصر الإضمحلال الأول ق.م، ثم زادت أهميتها في عصر الدولة الحديثة وكانت مورد أساسي ودعم في حرب أحمس ضد الهكسوس، وكانت ممراً لطريق القوافل، والغالب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند، وقد أشتهرت بالتجارة والصناعة من قديم الأزل، وسكنها العرب بعد الفتح الإسلامي.
أمينة عبد الفتاح السوداني: المناجم والمحاجر في مصر القديمة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2000م، ص140.
39. إبراهيم محمد المقفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة للنشر، بيروت، 2002م، ص564.
40. المرجع نفسه، ص565.
41. أحمد بن أسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص120.

42. أبو القاسم بن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص54.
43. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط4، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1983م، 6أجزاء، ج6، ص147.
44. محمد الطحلاوي: مرجع سابق، ص110.
45. عبد الرحمن ذكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية في أفريقيا العربية، د ط، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، القاهرة، 1961م، 29.
46. مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2011م.
47. الحجاج بن يوسف الثقفي: هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، الثقفي، ولد في منازل ثقيف بمدينة الطائف، في عام الجماعة 41هـ، وكان أسمه كليب ثم أبدله بالحجاج، نشأ في الطائف، وتعلم القرآن والحديث والفصاحة، ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه، يعلم الفتية القرآن والحديث، ويفقههم في الدين، لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا، على الرغم من تأثيره الكبير عليه، فقد اشتهر بتعظيمه للقرآن، وقد كانت الطائف تلك الأيام بين ولاية أبن الزبير، وبين ولاية الأمويين، لكن أصحاب أبن الزبير تجبروا على أهل الطائف، فقرر الحجاج الإنطلاق إلي الشام، حاضرة الخلافة الأموية المتعثرة، التي تركها مروان بن الحكم نهباً بين المتحاربين، رحل إلي بلاد الشام وعمل في شرطتها فقربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه، ورفعه بين زملائه، رأى فيه روح بن زنباع العزيمة والقوة الماضية، فقدمه إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان داهية مقداماً، جمع الدولة الأموية وحماها من السقوط، فأسسها من جديد، وكان عبد الملك بن مروان قد قرر تسيير الجيوش لمحاربة الخارجين على الدولة، فضم الحجاج إلي الجيش الذي قاده بنفسه لحرب الزبير ولم يكن أهل الشام يخرجون في الجيوش، فطلب الحجاج من الخليفة أن يسلطه عليهم، ففعل، فأعلن الحجاج أن أي رجل قدر على حمل السلاح ولم يخرج معه، أمهله ثلاثاً، ثم قتله، وأحرق دارهِ، وأنتهب ماله، ثم طاف بالبيوت باحثاً عن المتخلفين، وبدأ الحجاج بقتل أحد المعترضين عليه، فأطاعه الجميع، وخرجوا معه، بالجبر لا الاختيار، تولي لعبد الملك بلاد الحجاز والعراق، وقضي على الثورات التي واجهت الأمويين وأبَلِي فيها حسناً، وبعد وفاة عبد الملك سنة86هـ أقره الخليفة الوليد بن عبد الملك على كل ما كان له في خلافة والده على الرغم من أعتراض أخيه سُلَيمان بن عبد الملك وأبن عمه عمر بن عبد العزيز وذلك لسوء تصرفات الحجاج وقسوته على معارضيه، أصيب الحجاج في أخر عمره بمرض سرطان المعدة وتوفي في بمدينة واسط بالعراق في العشر الأواخر من رمضان

سنة95هـ/714م.

أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي أبن كثير: كتاب البداية والنهاية، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، 18 جزء، ج9، ص138.

48. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت سنة346هـ): أخبار الزمان ومن أبادهه الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ط1، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، 1938م، ص127.

49. عبد الله بن أبي السرح: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأسمه الحُسام بن الحارث بن حُبيب بن جَذيمة أبن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي أبو يحيى العامري عامر قريش، ولِي إمرة مصر بعد عزل عمرو بن العاص سنة خمس وعشرين من قبل عثمان بن عفان، وجاءه الكتاب بولايته وهو الفيوم، فجعل لأهل الجواب جُعلاً فقدموا به مصر، وسكن الفسطاط ومكث أميراً على مصر مُدة خلافة عثمان بن عفان كلها، وهو أخو عثمان لأمه، وسيدنا عثمان قد شفع له يوم الفتح حين كان الرسولr، قد أهدر دمه.

جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي أبن تغري بردي 813-874هـ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (12جزء)، ج1، د ط، المؤسسة المصرية، القاهرة، 1956م، ص79.

50. المأمون بن هارون الرشيد: هو سابع خلفاء بني العباس، ولد عام170هـ/ 786م، شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول، بعد أن توفي والده هارون الرشيد عام194هـ/809م، في خراسان، وصي بأن من يخلفه أبنه الأمين ومن بعده المأمون، غير أن الأمين بعد أن أستتب له الأمر عمل على أخذ البيعة من بعده لأبنه موسى مخالفاً وصية والده، وكان المأمون في خراسان وعندما علم بما قام به أخوه الأمين كون جيش من أهل خراسان وتوجه به لحرب الأمين، وقد أستمرت الحرب بينهما أربعة سنوات حتى أستطاع المأمون محاصرة بغداد والتغلب على الأمين وقتله عام198هـ/813م ظافراً بالخلافة لنفسه، تفردت خلافة المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة، وطب، ورياضيات، وفلك، وأهتمام خاص بعلوم اليونان، وقد أسس الخليفة عام215هـ/830م، جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، وأخترع في عهده آلة الإسطرلاب، وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وأهتم بالفلك، والعلوم، والترجمة، توفي المأمون عام218هـ/833م بطرسوس.

أحمد بن إسحاق اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م، ج2، ص324.

51. عبد الله بن الجهم: هو مولي أمير المؤمنين المأمون، وموفده لحرب البجا، هو أحد أكثر قواد المأمون قوة وحنكة ومقدرة عسكرية.

يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط1، دار الفكر المُعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1402هـ/1982م، ص57.
52. تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج1، ص366.
53. محمد صالح ضرار: تاريخ شرق السودان (ممالك البجا قبائلها وتاريخها)، د ط، مكتبة أبكس، القاهرة-مصر، 1412هـ/ 1992م، 2جزء، ج1، ص100.
54. ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، ط2، دار التوبة، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2001م، ص73.
55. وليام أدامز: مرجع سابق، ص485.
56. المرجع نفسه، ص485.
57. جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1991م، ص136.
58. حسين مؤنس: أبن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، مصر،1980م، ص94.
59. السيد عبد العزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر. 1993م، ص2-3.
60. آدم متز: مرجع سابق، ص288.
61. حسين مؤنس: مرجع سابق، ص94.
62. محي الدين صابر: قضايا الثقافة العربية في السودان، ط1، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1982م، ص11.
63. يوسف فضل حسن: الوجود العربي في بلاد البجا صفحة من سجل التمازج العرقي والثقافي في السودان، مقالة نُشرت بمجلة جامعة البحر الأحمر، مجلة علمية محكمة، نصف سنوية، العدد الأول، يونيو2011م، ص13.
64. محمد صالح ضرار: مرجع سابق، ج1، ص100.
65. ضرار صالح ضرار: مرجع سابق، ص73.
66. وليام أدامز: مرجع سابق، ص485.
67. جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص136.
68. محمد عبد الله اللواتي أبن بطوطة(ت703هـ/1403م): رحلة أبن بطوطة (تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1322هـ/1979م، ص296.
69. الشاطر البصيلي عبد الجليل: تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط، د ط، القاهرة،

1972م، ص157.

70. شوقي بشير عبد المجيد: هجرة القبائل العربية للسودان، مقالة نُشرت بصحيفة الإنتباهة، العدد 1835، يوم الإثنين 7جمادي الأولي 1432هـ/11أبريل2011م، ص7.

71. جمال زكريا قاسم: مرجع سابق، ص136.

72. وليام أدامز: مرجع سابق، ص487.

73. قبيلة مُضَّر: بضم الميم وفتح الضاد المعجمة، وهى تنسب مع قبيلة رَبِيعَة إلى نزار بن معد بن عدنان وهما الصريحان من نسبه، ولقبت بمُضَّر الحمراء، ومن ينتسب إليها يقال له المُضَّرى، وأمتاز المُضَّريون بالتفوق العددي حيث كانوا أهل الكثرة والغلبة بالحجاز من سائر بني عدنان وكانت لهم رياسة مكة والحرم، وقد كانت منازلهم كانت باليمامة شرقي شبه الجزيرة العربية، غير أنها غادرتها إلى مصر مع قبيلة رَبِيعَة تحت ضغط بنو الأخيضر، وسكنوا بين النيل وبحر القلزم، وأن قدومهم إلى مصر كانوا ضمن جيش عمرو الذي فتح مصر، واختط مساكنها بالفسطاط.

حمَّاد الأمين المُجلّس: تُحفة الألباب في شرح الأنساب، تعليق: الشيخ أحمد مُختار الجنكي الشنقيطي، ط1، إدارة أحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر، 2003م، 6أجزاء، ج2، ص141.

74. قبيلة أنَّمار: هي أحدي قبائل الجزيرة العربية، وهي ترجع في نسبها إلى أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، وينقسم نسلهم إلى (بنو خثعم وبنو بجيلة).

شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص229.

75. قبيلة إياد: هي قبيلة عربية ضخمة، تنسب إلى جدّها الأعلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان. وأولاد إياد هم: زُهر، ودُعْمِيّ، ونُمارة، وثعلبة، وتفرّع من نسلهم سائر إياد، وكانت إياد تنزل في أول الأمر تهامة إلى حدود نجران مع أبناء أنمار، ثم فارقت أنمار إخوتها رَبِيعَة، ومضر، وإياداً، فكثرت إياد وبطونها فأخذت تعتدي على أبناء رَبِيعَة ومضر، فوقعت الحرب بينهم، ودارت الدائرة على إياد، مما دفعها إلى الارتحال عن مواطنها الأصلية، فارتحل قسم منها إلى البحرين وخالطوا قبائلها، وارتحل قسم آخر إلى بلاد الشام واستقروا بذي طوي، أما القسم الأكبر فتوجه إلى العراق فنزلوا الأنبار.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د ط، دار الجيل، بيروت، لبنان،١٩٦٩م، 5 أجزاء، ج1، ص201،202.

76. نزار بن معد بن عدنان: هو نزار بن معد بن عدنان، ويرتقي نسبه إلي سيدنا إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، وهو الجد الثامن للنبي (صلي الله عليه وسلم)، وله من الأولاد مُضَّر، ورَبِيعَة، وإياد، وأنَّمار.

حماد المجلس: مرجع سابق، ج2، ص152 وما بعدها.

77. العرب المستعربة أو المتعربة: سموا بذلك لأنهم أنضموا إلى العرب العاربة(القحطانيون)، وتعلموا منهم اللغة العربية.

شهاب الدين القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق، ج3، ص336.

78. أبو مروان عبد الله بن عبد الرحمن الداخل الأندلسي البلنسي (ت 208 هـ): تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تحقيق: السيد محمد مهدي الموسوي الخرساني، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص63.

79. قبيلة عبد القيس: هي تُنسب إلى عبد القيس بن أقصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن رَبِيعَة بن نزار بن معد بن عدنان.

حماد المجلس: مرجع سابق، ص164.

80. بنو حنيفة: هم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن رَبِيعَة، وهي قبيلة عربية قديمة سكنت إقليم اليمامة في الجزيرة العربية، وقد صنفها عُلماء الأنساب كفرع مسيحي من بني بكر، شاركت مع أخواتها من بني بكر في حرب ذي قار ضد الفرس.

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ): تاريخ الطبري "تاريخ الرُسل والملوك"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، 12جزء، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1977، 16 جزء، ج2، ص518-519.

81. جواد علي: مرجع سابق، ص206.

82. حماد المجلس: مرجع سابق، ص168.

83. حرب البسوس: هي حرب قامت بين قبيلة تغلب بن وائل وأحلافها ضد بني شيبان وأحلافها من قبيلة بكر بن وائل بعد أن قتل الجساس بن مرة الشيباني لكليب بن رَبِيعَة التغلبي ثاراً لخالته البسوس بنت منقذ التميمية، بعد أن قتل كليب ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرمي، وقيل إن الحرب استمرت عشرون عاماً، وبعضهم قال أربعون عاماً.

جواد علي: مرجع سابق، ج1، ص260.

84. المرجع نفسه، ص256.

85. عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي، ويُكني أبا عبد الله وقيل أبو محمد، وكان(رضي الله عنه)، من شجعان العرب وأبطالهم ودُهاتهم، وقد أرسلته قريش للنجاشي ليُسلم إليهم المهاجرين الذين وصلوا إليه، فخرج من عند النجاشي مهاجراً إلي النبي(صلي الله عليه وسلم)، وأعلن إسلامه بين يديه يوم خيبر, وقيل أنه أسلم عند النجاشي ثم هاجر إلي النبي(صلي الله عليه وسلم)، وقيل أن إسلامه كان في شهر صفر سنة ثمان قبل الفتح

بستة أشهر، وبعد إسلام أرسله النبي(صلي الله عليه وسلم)، أميراً على سرية ذات السلاسل إلي أخوال أبيه العاص بن وائل، فسار في ذلك الجيش وهم ثلاثمائة، فلما دخل بلادهم أستمد النبي(صلي الله عليه وسلم)، فأمده، ثم أستعمله النبي(صلي الله عليه وسلم)، على عُمان و ظل فيها حتى وفاة النبي(صلي الله عليه وسلم).

في خلافة سيدنا أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)، تولي إمارة بلاد الشام، وفي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، تولي فلسطين، ثم سيره سيدنا عمر إلي مصر ففتحها سنة20هـ و تولي أمر ولايتها وظل عليها حتى توفي سيدنا عمر، ثم ظل عليها في خلافة سيدنا عثمان(رضي الله عنه)، لمدة أربعة سنوات أو نحوها، ثم عزله عنها وأستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فأعتزل سيدنا عمرو في فلسطين، وكان يأتي إلي المدينة أحياناً ويطعن في سيدنا عثمان، ولما قُتل سيدنا عثمان سار عمرو، إلي سيدنا معاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه)، وعاضده فشهد معه صفين، وكان ممثله في حادثة التحكيم، ثم تولي مصر مرة أخري في خلافة سيدنا معاوية وظل والياً عليها حتى وفاته في سنة43هـ في ليلة عيد الفطر المبارك، وصلي عليه أبنه عبد الله بن عمرو بن العاص، ودُفن بالمقطم.

محمود شلبي: عمرو بن العاص «فاتح فلسطين ومصر وشمال أفريقيا والسودان»، ط1، دار الجيل، بيروت،1997م، ص12-15.

86. قبيلة عَنزة: بشد العين وكسر النون، وهم بنو عَنزة بن أسد بن رَبيعَة بن نزار بن معد بن عدنان، وهي قبيلة عربية عدنانية من أعرق وأكبر القبائل العربية حيث تنتشر في عدد من الدول العربية، وهي إحدى بطون رَبيعَة، وأشهر أفرعهم بنو جلان، وبنو هزان، وبنو هميم.

أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت562هـ): الأنساب، تحقيق رياض مراد، ط1، مكتبة أبن تيميه، القاهرة، مصر، 1984م، 15جزء، ج11، ص357.

87. أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري: فتوح مصر وأخبارها، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1411هـ/1991م، ص116.

88. هارون الرشيد: هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، وأمّه أمّ ولد يُقال لها الخيزرانة، تولي الخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه موسى الهادي، وهو لأربعة عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة170هـ وأستمر في الخلافة حتى سنة170هـ.

يوسف العش: مرجع سابق، ص57.

89. خالد الشيباني: هو أحد أمراء العصر العباسي، ولاه الخليفة العباسي المأمون ولاية مصر 206هـ/821 م وأضطر إلى محاربة عبيد الله بن السراي الذي كان قد أستقل بالفسطاط عاصمة مصر بالوجه القبلي وجزء من الوجه البحري، أسر خالد في المعركة بينه وبين عبيد

الله بن السري ولكن عبيد الله أكرمه وخيره بين المقام في مصر أو الرحيل حيث شاء، فاختار الذهاب إلى مكة عن طريق القلزم، ثم ولاه الخليفة المأمون الموصل، ولما ثارت أرمينيا أنتدبه الخليفة الواثق بالله لها، ولكنه مات قبل بلوغها.

عبد الكريم السمعاني: المصدر السابق، ص322.

90. عبيد الله السري بن الحكم: والي مصر في العهد العباسي في خلافة المأمون، وقد أستقل عبيد الله بحكم الفسطاط عاصمة لمصر في ذلك الوقت، كما أضاف إليها الوجه القبَلِي وجزء من الوجه البحري، وقام بمحاربة خالد بن يزيد الشيباني الذي ولاه المأمون على مصر عام206هـ/821 م، وأستطاع أن يهزم جيش الشيباني يأسره في المعركة، ولكن عبيد الله أكرمه وخيره بين المقام في مصر أو الرحيل حيث شاء، فاختار الذهاب إلى مكة عن طريق القلزم.

الحافظ أبن كثير: مصدر سابق، ج6، ص231.

91. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص106.

92. بنو الأخيضر: كانت اليمامة من بين ولايات جزيرة العرب التي تدين بالطاعة للعباسيين حتى منتصف القرن الثالث الهجري حين أستولي عليها في أيام المستعين بالله العباسي محمد بن الأخيضر بن يوسف بن على بن أبى طالب (رضي الله عنهم جميعاً)، وأتخذ الحضرمة حاضرة له، وأقام باليمامة دولة علوية عرفت بأسم دولة بني الأخيضر، وأستقل بها عن الخلافة العباسية، التي كانت قد بدأت في مظاهر الضعف والانحلال.

محمد جمال الدين سرور: سياسية الفاطميين الخارجية، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ت، ص55.

93. بلبيس: مركز ومدينة بلبيس هي من أقدم مدن مصر وكانت تعتبر في العصور الأولي لمصر كمدخل ومعبر للوافدين على مصر، وهي أول مدينة بني فيها مسجد في أفريقيا وهو مسجد سادات قريش، وهي أيضاً أول مدينة تستقبل الملك الصالح أيوب عندما حكم مصر، وتطورت في عهده.

تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، المصدر السابق، ص128-129.

94. ((تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ1441-م): المواعظ والإعتبار بذكر الخُطط والآثار، د ط، تحقيق الدكتور محمد زينهم ومديحه الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر،1998م، 7 أجزاء، ج1، ص80.

95. المتوكل على الله: هو أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد عام207هـ/ 822م، تولي الخلافة خلفاً لأخيه الواثق، وأمه أم ولد تركية أسمها "شجاع"، وتمت مبايعته بالخلافة لست بقيت من شهر ذي الحجة

سنة232هـ، وقد نهي المتوكل الناس عن الكلام في القرآن، وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان بني المتوكل في خلافته قصوراً أنفق عليها الأموال منها قصر الشاه وقصر العروس وقصر البديع، وأستمرت خلافته أربعة عشر سنة و تسعة أشهر وتسعة أيام، يُعَدُّ عهد الخليفة المتوكل هو بداية عصر ضعف الدولة العباسية وإنحلالها، والذي أنتهي بسقوطها بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدي التتار سنة 656هـ/ 1258م.

أحمد بن أسحاق اليعقوبي: مصدر سابق، ج2، ص346.

96. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، المصدر السابق، ص110.

97. ضرار صالح ضرار: مرجع سابق، ص97.

98. شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، 2006م، ص84.

99. المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج1، ص80.

100. أبو القاسم أبن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص53.

101. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين، جزئيين، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، 1948م، ص187.

102. عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني: نص الأسواني عن بلاد النوبة والبجة، (مخطوط)، تحقيق/ عزت أندروس، موسوعة تاريخ أقباط مصر، القاهرة، مصر، باب البجة، د ط، 1996م، ص4.

103. النماس: هي قرية أوجدتها قبيلة رَبيعَة بأرض البجة.

تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص44.

104. تقي الدين المقريزي: الخُطط، ج1، مصدر سابق، ص199.

105. أبو الحسن المسعودي: المصدر السابق، ج3، ص330.

106. ضرار صالح ضرار: مرجع سابق، ص136.

107. بني كنز: هم أحد فروع سكان النوبة اليوم، ويقيمون بالنوبة وبخاصة في وادي حلفا، يعود أصلهم إلى عرب قبيلة رَبيعَة، وقد تزاوجوا بدرجة متفاوتة بالنوبيين، وقد بدأت قصة الكنوز مع أستقرار فرع من قبيلة رَبيعَة حول أسوان في منطقة عيذاب بجنوب الصحراء الشرقية بمصر، في المنطقة المعروفة ببلاد المعدن، أقام عرب الكنوز هذه الدولة في بلاد النوبة الشمالية التي تمتد من جنوب أسوان في مصر حتى جنوب دنقلا في السودان.

سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1995م، ص52.

108. وليام أدامز: مرجع سابق، ص488.

109. أ. پول: تاريخ قبائل البجة في شرق السودان، ترجمة د/ أوشيك آدم، د ط، د ت، الخرطوم، ص20.

110. ضرار صالح ضرار: مرجع سابق، ص135.

111. حذيفة الصديق عمر: تاريخ السودان الوسيط، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، 2005م، ص32.

112. ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص135.

113. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص106 107-.

114. بنو عِجْل: بكسر العين المهملة، وسكون الجيم، وهم بنو عجل بن لجيم بن صعب بن بكر وائل بن رَبيعَة.

عبد الكريم السمعاني: مصدر سابق، ج9، ص198.

115. سلام شافعي محمود: المرجع السابق، ص325.

116. مروان البلنسي: مصدر سابق، ص107.

117. شهاب الدين القلقشندي: صبح الأعشى، مصدر سابق، ج1، ص339.

118. بنو حنيفة: هم بنو حنيفة بن لجيم، بن صعب بن على بن بكر بن وائل.

المصدر نفسه، ص339.

119. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص333.

120. تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ): المُقفى، مخطوط بدار الوثائق المصرية، تحت الرقم 1675، 5أجزاء، ج4، ص412.

121. أبي يزيد بن إبراهيم: يرجع نسبه إلى مسروق بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن ثعلبة الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن جعنب بن معد بن عدنان.

تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص45.

122. المصدر نفسه، ص45-46.

123. محمد عبد النعيم: مرجع سابق، ص91.

124. بنو يشكر: هم بطن من بطون قبيلة رَبيعَة التي هاجرت إلى أرض المناجم وعملت بها، بنو يشكر بن بكر بن وائل، كانت لهم رئاسة قبيلة رَبِيعَة قبل الإسلام، ومنها أنتقلت إلي كليب بن رَبيعَة.

مروان البلنسي: مصدر سابق، ص108.

125. محمد عبد النعيم: مرجع سابق، ص91-92.

126. بنو أكلب: وهم بطن من رَبِيعَه، وكانت ديارهم تقع بين اليمامة والبحرين والعراق.
عبد الكريم السمعاني: مصدر سابق، ج11، ص413.

127. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص44.

128. الملك الأشرف موسي: أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، الملقب الملك الأشرف مظفر الدين، أحد ملوك الدولة الأيوبية، ولد بالقاهرة سنة 578هـ، وتوفي بدمشق سنة635هـ.
قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي: الأيوبيون والمماليك" التاريخ السياسي والعسكري"، ط 2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1996م، ص74.

129. الظاهر بيبرس: ولد في عام620هـ/1221م، لُقب بأبي الفتوح، سلطان مصر، والشام، ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بدأ مملوكاً يُباع في أسواق بغداد والشام وأنتهي به الأمر كأحد أعظم السلاطين في العصر الإسلامي الوسيط، لقّبه الملك الصالح أيوب في دمشق بركن الدين، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر، حقق خلال حياته العديد من الإنتصارات ضد الصليبين والمغول، توفي سنة676هـ/ 1277م.
جمال الدين بن تغري بردى: مصدر سابق، ج9، ص62-63.

130. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص49.

131. بنو شيبان: بفتح الشين وسكون الباء ومن ينسب إليهم يقال له الشيباني، وهم ينتمون إلى ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن رَبِيعَة.
عبد الكريم السمعاني: المصدر السابق، ص413.

132. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص336.

133. بني قيس بن ثعلبة: هم بني قيس من ثعلبة بن عكاية بن صعب بن على بن بكر بن وائل.
تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص412.

134. المصدر نفسه، ص412.

135. العُمْري: هو عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله الناسك بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوى القرشي ولد بالمدينة المنورة، يعود نسبه إلى عمر بن الخطاب من قبيلة قريش من ولد عدنان، تلقى علومه في المدينة المنورة ثم ارتحل إلى مصر وجالس بعض أهل العلم فيها ثم عاد إلى القيروان واتصل بأمراء الأغالبة، ولقي منهم الترحاب والمعونة وعاد إلى مصر عام 241هـ، وكان عالماً بالحديث والأدب.
تقي الدين المقريزي: المُقفي، مصدر سابق، ص404.

136. القُمِّي: هو محمد بن عبد الله القُمِّي من ولد الصحابي الجليل سيدنا أبو موسي

الأشعري(رضي الله عنه)، وينسب إلى بلدة تُسمي قُم ببلاد فارس، وهى بلدة بين أصبهان وساوه وأكثر أهلها الشيعة، كان قائداً شجاعاً من ولاة العصر العباسي, تولى خفارة الحُجاج في كثير من السنين ولما دخل عنبسة بن إسحاق الضبي مصر والياً عليها سنة 238هـ جعله على الشرطة, وسافر إلى بغداد, وقد ضج أهل الصعيد من البجة، فولاه الخليفة العباسي المتوكل على الله حربهم سنة 241هـ فهزمهم, ثم رجع إلى بغداد ومعه سلطانهم(على بابا) فعفا عنه الخليفة المتوكل.

عبد الكريم السمعانى: مصدر سابق، ج4، ص542.

137. تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج1، ص196.

138. أشهب: هو أشهب الحنفي شيخ قبيلة رَبِيعَة.

سلام شافعي محمود: مرجع سابق، ص52.

139. أبو القاسم بن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص54.

140. المصدر نفسه، ص54-55.

141. تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج1، ص196.

142. أبو محمد بن عبد الله بن محمد البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت، ص64.

143. أحمد بن طولون: هو أمير مصر، ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام، ولد سنة220 هـ835- م، كان والده من أتراك القبجاق، وقد أدخل الخليفة العباسي المعتصم بالله الأتراك إلى عصب الدولة العباسية، وولأهم المناصب الكبرى في الدولة، وآل إليهم حكم الولايات العباسية، وكانت مصر من نصيبهم، وبعد المعتصم بفترة كان الحكم بها من نصيب الوالي باكباك التركي الذي كان زوجاً لأم أحمد بن طولون، وأتى به إلى مصر، ثم آلت من بعده إلى الوالي التركي برقوق الذي كان أبا زوجة أبن طولون، وجعل كل منهما أبن طولون نائباً له للقيام بأمر مصر، فتولاها في سنة 254 هـ/868 م، وعين والياً على بلاد الشام بالإضافة إلى مصر، ثم أعلن قيام الدولة الطولونية مستقلة في مصر وبلاد الشام بعد ذلك بخمسة أعوام، وتعاقبت أسرته على حكمها لثمانية وثلاثين عاماً.

المصدر نفسه، ص16.

144. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص252.

145. الشنكة: هو أسم منجم للذهب بأرض البجة، كانت تُسيطر عليه القبائل الإسلامية.

أمينة عبد الفتاح السوداني: مرجع سابق، ص113.

146. تقي الدين المقريزي: المُقفى، مصدر سابق، ج4، ص415.

147. إبراهيم المخزومي: هو أخ العمري من أمه.
المصدر نفسه، ص415.
148. الميرة: هي الطعام الذي يُجمعه أو يدخره الإنسان للسفر ونحوه، وجمعه ميرات وامير.
عبد الكريم السمعاني: مصدر سابق، ج4، ص542.
149. تقي الدين المقريزي: المُقفى، مصدر سابق، ص416.
150. الغاربة: ربما قصد بالغاربة أصحاب المطالب الذين يأتون من المغرب للاتجار في المعادن من أصحاب المطالب في وادي العلاقي.
أبو الحسن المسعودي: مصدر سابق، ج2، ص25.
151. كان العُمري دارساً للحديث وعلوم الأدب والشعر، فسجل انتصاراته من خلال أشعاره، ومنها: -
وبعد رجـــال قتـــــلت مُضَّريـــة.....عليها جباب الخز بـالدم يُلت
فإن لم تشـور عـــــاجلاً بدمائـهم.....فنسوا أنكم منكم يحق تخلت
جزا مُضَّراً شـــرا الجزاء عند أخيـــهم..... كـــما قلتـه أمرها ثم ولت
وكانت تَـمِيْم مرة خنـــــــدقيـــة.....فأصبحت تَمِيْم عن قريش تخلت
تقي الدين المقريزي: المُقفى، مصدر سابق، ج4، ص413.
152. ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والإجتماعية والثقافية(21-358هـ/641-969م)، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1996م، ص123-124.
153. المرجع نفسه، ص125.
154. إبراهيم المقفى: مرجع سابق، ص565.
155. المحدثة: هي أول قرية بنتها قبيلة رَبِيعَة، وهي بظاهر أسوان، وقد كانت داراً ل رَبِيعَة، ومُضَّر، وتَمِيْم.
تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص44.
156. المصدر نفسه، ص 44-45.
157. بني يونس: هم من فرع لقبيلة رَبِيعَة أيضاً، وقد قدموا من اليمامة إلى عيذاب وأقاموا بها مع باقي قبائل رَبِيعَة في هجرتهم الكبرى زمن الخليفة العباسي المتوكل بالله.
تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج2، ص106.
158. أبو القاسم بن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص53.
159. إسحاق بن بشر: هو زعيم قبيلة رَبِيعَة في منطقة وادي العلاقي، حيث قام ببسط

سُلطانه على بلاد البجا وأرض المعدن وأخضع القبائل العربية لنفوذه، وحدث بينه وبين بني يونس أحد بطون رَبِيعَة حروب حول زعامة القبيلة ومنطقة المناجم انتهت بمقتله، وتم أختيار أبن عمه خلفاً له وهو الشيخ أبى يزيد بن إبراهيم بن مسروق.

تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ص46.

160. الشيخ محمد بن علي بن محمد: يرجع نسبه إلى مسروق بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن ثعلبة الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن جعنب بن معد بن عدنان، وهو حفيد الشيخ أشهب مؤسس إمارة رَبِيعَة في وادي العلاقي وأرض المعدن.

تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص45-46.

161. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص235-236.

162. أبو المكارم هبة الله: هو أبو المكارم هبة الله بن أبو يزيد محمد بن إسحق بن إبراهيم بن مسروق بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة، الملقب بكنز الدولة هو أحد مؤسسي دولة الكنوز في بلاد النوبة في أيام الدولة الفاطمية في مصر.

تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص46.

163. ربما سُمي بذلك الإسم نسبة لشدة بأسه وقوة شخصيته، وتطلعه.

164. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص336.

165. ARKEELL.A.J.: HISTORY OF SUDAN FROM THE EARLIST TIME TO 1821.LONDON 1961. P39.

166. أبو الحسن المسعودي: مصدر سابق، ج5، ص33-34.

167. ممدوح الريطي: مرجع سابق، ص126.

168. آدم متز: مرجع سابق، ص214.

169. أحمد بن إسحاق اليعقوبي: كتاب البلدان، مصدر سابق، ص333-334-335.

170. سلام شافعي محمود: مرجع سابق، ص325.

171. تقي الدين المقريزي: الخُطط، مصدر سابق، ج1، ص195.

172. سلام شافعي محمود: المرجع السابق، ص325.

173. أبي ركوة الأموي: الذي ثار على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 397هـ.

174. نور الدين زنكي: هو الملكُ العادلُ أبو القاسم نور الدين محمود بن عماد الدِّين زَنْكِي(511-569هـ/ 1118-1174م)، وهو أبن عماد الدين زنكي بن يُلقَّب بالملك العادل، ومن ألقابه الأخرى ناصر أمير المؤمنين، تقيّ الملوك، ليث الإسلام، كما لُقِّب بنور الدين الشهيد رغم وفاته بسبب المرض، وهو الابن الثاني لعماد الدين زنكي، حكم حلب بعد وفاة

والده، وقام بتوسيع إمارته بشكل تدريجي، كما ورث عن أبيه مشروع محاربة الصليبين. شملت إمارته معظم الشام، وتصدى للحملة الصليبية الثانية، ثم قام بضم مصر لإمارته وإسقاط الفاطميين، والخطبة للخليفة العباسي في مصر بعد أن أوقفها الفاطميون طويلاً، وأوقف مذهبهم، وبذلك مهَّد الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي لمحاربة الصليبيين وفتح القدس بعد أن توحّدت مصر والشام في دولة واحدة، تميَّز عهده بالعدل وتثبيت المذهب السنّي في بلاد الشام ومصر، كما قام بنشر التعليم والصحة في إماراته، ويعده البعض سادس الخلفاء الراشدين.

علي محمد الصلابي: نور الدين زنكي شخصيته وعصره، ط1، دار الأندلس الجديدة، القاهرة، 2008م، ص15-11.

175. صلاح الدين الأيوبي: الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب532-589هـ/-1138 1193م، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التي أستمرت 262 سنة، قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين الأوروبيين في سبيل أستعادة الأراضي المقدسة التي كان الصليبيون قد أستولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من أستعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين.

الحافظ بن كثير: ج8، مصدر سابق، ص423-426.

176. العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولد في شهر محرم سنة 546 هـ، وبويع لثلاث عشرة من شهر رجب سنة 555 هـ وعمره يومئذ تسع سنين.

تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي(ت845هـ1441-م): إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، (3أجزاء)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ج2، ص103. 1999.

177. على الصلابي: مرجع سابق، ص19-20.

178. قاسم عبده وعلي السيد: مرجع سابق، ص86.

179. تقي الدين المقريزي: البيان والإعراب، مصدر سابق، ص412.

الأصل الأكسومي الحميرى للأسرة الملكية في مملكة المقرة (رؤية نقدية تحليلية)

د/ عوض أحمدحسين شبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

المستخلص:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم ملاحظات حول أطروحة الأصل الأكسومي الحميري لملوك المقرة(500-1500م) وذلك بالإستعانة بنتائج الدراسات الآثارية التي تناولت حضارة ما بعد مروي، النقوش التي خلفها ملوك أكسوم وأشارت إلى أمتداد نفوذهم إلي سودان وادي النيل، كما اهتمت بالأشارات الواردة في المصادر العربية حول أصول ملوك المقرة، فضلا عن الروايات الشفاهية لبعض الأسر في دنقلا-عاصمة المقرة- التي تزعم بأنهم من السلالة الملكية التي حكمت في دنقلا.

إعتمدت هذه الدراسة علي المنهج التاريخي التحليلي وبعض المناهج المساعدة لأن موضوع الدراسة قد يجنح أحيانا للتطرق لعلوم آخري مثل الإجتماع واللغة من أجل مناقشة مستفيضة للأطروحة المذكورة وخلصت إلي القول بأن الأصل الأكسومي الحميري لملوك المقرة قد تسندها عدة شواهد آثرية وتاريخية ولكن تحتاج لمزيد من الدراسات والبحوث.

Abstract

This paper presents observations on the thesis which advocates the himyaric - Aksumite origin of the kings of Makuria (5001500- A.D) and that by re-reading,in the light of the new archaeological data and evidences, during the period which following the decline of Meroe kingdom in the 4th century AD and through some Aksumite descriptions and the historical references mentioned in the himyaric sources and cultural heritage of the area of the study specially Public literature, which tackled this topic in addition to the oral traditions of some families living in the area of Dongola the capital the kingdom of Makuria, the family claim that they belong to the royal dynasties in the village around the old Dongola. This paper relined on historical analytical methods as a basic approach besides some other methods because the paper sciences specially the social and linguistic ones, for sake of proving this hypothesis to analyse it as accordance to the obviousness methods and to the discussion that there are some evidences which make the himyaric Aksumite origin looks acceptable.

تمهيد

إن موضوع أصول الأسر الملكية في سودان وادي النيل مثار خلاف -وما زال- بين الباحثين، بدءا بأصول مؤسسي مملكة نبتة في القرن العاشر ق. م، حيث برزت ثلاث آراء أو نظريات حوله،

الأولى: تقول بأن أصلهم مصري، والثانية: تذكر أن أصلهم ليبي، والثالثة: ترى أن أصلهم محلي.

أما الأصول الجغرافية والإثنية لملوك مملكة المقرة (500-1500م)-إحدى الممالك الثلاث التي قامت بعد انهيار مملكة مروي وعرفت باسم الممالك النوبية المسيحية- فإن المشهور في الدراسات السودانية أن هذه الممالك تأسست نتيجة هجرات بشرية من الغرب نحو النيل عرفّوا باسم النوبة أو النوباي، وبدأت هذه الهجرات منذ القرن الثالث قبل الميلاد وإستمرت خلال القرون التالية، وشكلت مهدداً كبيراً لمملكة مروي التي إنهارت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي(يستغنى عنها بذكر التاريخ في الأعلى)، وأصبح هؤلاء النوبيون هم سادة سودان وادي النيل.

وعلى النقيض من هذه أم آراء هناك أطروحة - لم تجد حظها من النقاش- تزعم أن ملوك المقرة لهم صلة بالأسرة الملكية الأكسومية وأن هذه الصلة تمتد للأصل الحميري لهؤلاء الملوك.

وهذه الدراسة تحاول أن تقدم بعض الملاحظات الأولية حول الأطروحة الثانية - الأصل الأكسومي العربي - وذلك بإعادة قراءتها مرة أخرى وفق التطورات السياسية الإقليمية والعالمية التي صاحبت نهاية مملكة مروي، وتمثلت بصورة واضحة في محاولة مملكة أكسوم - القوى الإقليمية الجديدة - بسط سيطرتها على سودان وادي النيل، إلى جانب أطماع الإمبراطورية الرومانية في شمال وشرق أفريقيا كمدخل ننطلق منه لمحاولة تقديم بعض الأضاء اتحول هذه الفترة - فترة ما بعد مروى - والوقوف على أصول الأسرة الملكية المقرّة من خلال الأطروحة المقترحة.

إن المصادر الأساسية لهذه الدراسة تتمثل في نتائج الدراسة الآثارية التي تناولت حضارة ما بعد مروي، والنقوش التي خلفها ملوك أكسوم وتناولت امتداد نفوذهم السياسي لسودان وادي النيل، كما أهتمت الدراسة بالإشارات التي أوردتها المصادر العربية حول أصول ملوك المقرة، وقد أعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي مع الاستعانة ببعض المناهج المساعدة لأن موضوع الدراسة يجنح أحياناً إلى التطرق لبعض العلوم الأخرى مثل الاجتماع واللغة في سبيل التحقق من الأطروحة موضوع الدراسة.من خلال المحاور التالية:

1. نهايات مملكة مروي.
2. النفوذ الأكسومي في سودان وادي النيل.
3. الأصل الحميري لملوك المقرة.
4. النتائج والتوصيات.(هذه لا تعد محورا)

1. نهايات مملكة مروي:

تقع مدينة مروي في الضفة الشرقية لنهر النيل ما بين الشلالين الخامس والسادس شمال

قرية كبوشية الحالية بحوالي أربعة أميال وعُرفت هذه المدينة في الوثائق المصرية باسم بدوي (Bedewi) ووردت في النصوص المروية باسم مزوي (Mazewi) وقراءها الأغريق مروي،وظهرت مروي على مسرح الأحداث السياسية مع بروز الدولة الكوشية الثانية في نبتة في القرن التاسعق.م، حيث دلت الشواهد التاريخيةعلى أن هذه المدينة كانت مأهولة بالسكان منذ تلك الفترة وأن فرع من الأسرة الملكية في مروي كان يتبع الحكومة المركزية في نبتة منذ بداية ظهور البيت الحاكم في نبتة، وهنالك من يعتقد أن المقر الملكي لملوك كوش كان أصلاً في مروي؛ومنذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، أصبحت مدينة مروي من أهم المراكز السياسية في سودان وادي النيل حيث اشتهرت هذه الفترة عند الباحثين بفترة مملكة مروي والتي شهدت تطورات كبيرة في مجال الإدارة والعمارة والفنون وكذلك تعدين الحديد، واستخدمت في هذه الفترة أبجدية جديدة عرفة بالكتابة المروية واستمرت مروي في قوتها السياسية وازدهارها الإقتصادي حتى القرن الرابع ق.م، مع بعض فترات الضعف التي كانت تعتريها من حين لآخر، ثم بدأت في التدهور والاضمحلال نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية ساهمت في ذلك منها الإنقسامات الداخلية والتنافس على العرش مما أضعف السلطة المركزية للمملكة، فشجع ذلك بعض أمراء المقاطعات على الإستقلال والخروج من مظلة المملكة، كما عانت المملكة من الانهيار الاقتصادي بفقدان اتصالاتها الخارجية وخاصة مع مصر بعد انسحاب الرومان من النوبة السفلى كل هذه العوامل جعلت المملكة عرضة للفوضى السياسية بين القوى المحلية المتصارعة عليها، وكذلك تعرضت المملكة لهجمات قبائل الصحراء الشرقية وتوغل مجموعات برية كبيرة عرفت بالنوبا من جهة الغرب، وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية والسياسية القاسية التي مرت بها المملكة تعرضت لسلسلة من الحملات من مملكة اكسوم عجلت بالقضاء على مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي[1].

إن المعلومات التي توضح لنا ملامح التطورات السياسية في الإقليم الشمالي في الفترة التي تلت سقوط مملكة مروي مستمدة بصورة أساسية من الكتابات والمدونات القديمة والآثار حيث يتبين لنا من خلالها أن النوبة السفلى شمال الشلال الثالث شهدت صراعاً كبيراً بين مجموعتين رئيسيتين هما: البليميون والنوباديين، وكانت الغلبة فيها للنوباديين بقيادة ملكهم سيلكو (Silco) في منتصف القرن الخامس الميلادي[2],ويتضح لنا ذلك من خلال نقشه الذي زعم فيه أن سلطاته امتدت إلى مناطق واسعة في سودان وادي النيل من غير تحديد دقيق لتلك المناطق (أنظر: ملحق رقم(1)، ولكننا نظن أن حدود سلطاته امتدت حتى الشلال الثالث جنوباً حدود مملكة نوباتيا المسيحية في القرن السادس الميلادي والتي هي - في تقديرنا- الإمتداد السياسي والجغرافي للمملكة التي أسسها الملك سيلكو والمعروفة بنوباتيا، أما جنوب الشلال الثالث الحدود الشمالية لمملكة المقرة، يبدو أنها كانت بشكل من الأشكال تحت النفوذ

الأكسومي، حيث وجد نقش أكسومي مخدوش مكتوب بالحروف الحبشية القديمة أو السبئية على الحائط الخارجي في معبد الملك تهارقا بالكوة جنوب الشلال الثالث[3]، مما يشير إلى وصول النفوذ الأكسومي إلى تلك المناطق، وسنحاول فيما يلي إعادة قراءة نقش الملك عيزانا (ملحق رقم (2)، وذلك بطرح بعض الأسئلة وقراءتها في سياق نتائج الدراسات الأثرية الحديثة علنا نجد ما يؤيد ما ذهبنا إليه في هذه الفرضية.

يحاول معظم الدارسين الذين تناولوا موضوع نهاية مملكة مروي اختزال الدور الأكسومي أحد أهم القوى السياسية الإقليمية آنذاك، في الحملة التي قادها الملك عيزانا وقضى بها على مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي - كما هو مشهور - مما يجعلنا نطرح عدد من الأسئلة التي تحتاج للإجابة والتفسير في ظل ما هو متوفر من معلومات منها:

أ. هل من المقبول نظرياً- على الأقل من الناحية السياسية،- أن الملك الأكسومي عيزانا بعد تكبده الكثير من الخسائر البشرية والمادية في هذه الحملة، أنه عاد أدراجه دون أن يجني ثمارها.

ب. هل كانت هذه الحملة موجهة في الأساس للقضاء على مملكة مروي؟ أم ضد بعض القوى السياسية التي كانت تحاول السيطرة على إرث المملكة المنهارة؟

ج. هل كانت هناك قوى سياسية متحالفة مع مملكة أكسوم؟ وكانت الأخيرة تدعمها لتكون ذراعها التي تخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية في المستقبل في سودان وادي النيل؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها لابد لنا في البداية من الإشارة إلى الدور العالمي في المنطقة - في الفترة موضوع الدراسة - والمتمثل في الإمبراطورية الرومانيةالتي سيطرت على مصر، وتحالفت مع الأكسومين ثم حاولت الإمتداد جنوباً لتأمين الحدود الجنوبية لمصر من الناحيتين السياسية والتجارية، وكانت من نتائج هذه السياسة أن وقعت عدد من الحروب بين الرومان ومملكة مروي امتدت لفترات طويلة وانتهت أخيراً باتفاقية عام (21/20م) التي جعلت الحد الجنوبي للرومان عند بلدة المحرقةعرفها في الهامش قديما وحديثا)، ولكن معاودة قبائل الصحراء الشرقية وخاصة البليميين هجماتهم ضد الرومان والتي تزايدت وتيرتها في منتصف القرن الثالث الميلادي، اضطر الرومان إلى الإنسحاب شمالاً حتى الشلال الأول عند مدينة أسوان وذلك عام (297م)(4)؛ بينما تذكر نصوص ملوك أكسوم أن البليميين كانوا من ضمن الشعوب التي كانت من رعايا مملكة أكسوم منذ القرن الثاني للميلاد (ملحق رقم (2-3))، ويبدو أن النفوذ الأكسومي امتد إلى هذه المناطق منذ فترة مبكرة، مما يشير إلى أن مملكة مروي بدأت تفقد قبضتها على أطرافها تدريجياً، خاصة المناطق الشرقية، ولكن إذا سلمنا بهذا الأمر لماذا لم تحسم مملكة أكسوم هذه الفوضى السياسية وتوقفت غارات البليميون على الرومان الذين تربطهم بها علاقات سياسية وتجارية وثقافية مميزة؟،

النفوذ الأكسومي في سودان وادي النيل:

تشير الأدلة التاريخية إلى أن العلاقة بين المملكتين المروية والاكسومية كانت - في الغالب - سلمية حيث تربطهما المصلحة التجارية المشتركة منها ما جاء في كتاب «دليل الملاحة في البحر الأحمر» والمشهور اختصاراً (Periplus) خطه بحار أغريقي مجهول في القرن الأول الميلادي، ذكر فيه أن مملكة أكسوم كانت حلقة الوصل في تجارة العاج ما بين مينائها أدوليس على ساحل البحر الأحمر وبين المناطق الواقعة على النيل[5]، ويبدو أن التنافس التجاري والمحافظة على المكاسب الاقتصادية بين المملكتين للسيطرة على تجارة أفريقيا قد أفرز نوعاً من سوء التفاهم بين الطرفين أدى إلى بعض المناوشات منها ما ورد في نقش صخري بجبل قيلي في منطقة البطانة يصور انتصاراً للملك المروي شركارير (Sherkrer) على أعداءه، ويري هنتزا (Hintze) أن هولاء الأعداء هم الأكسوميين[6] بالرجوع الى الهامش 6 في المصادر والمراجع لا نجد ذكرا ل Hintze انما المصدر هو محمد ابراهيم بكر فكيف يجوز هذا؟}، ولدي ميل لهذا الرأي لأن القوة العسكرية الوحيدة القادرة على حرب المرويين في الشرق هم الأكسوميين، وأن الحروب بين المرويين والرومان حلفاء الأكسوميين قد أغرتهم بالتدخل في حدود مملكة مروي وربما بإيعاز من الرومان، أو أن الأكسوميين رأوا ضعفاً في الدولة المروية نسبة لانشغالها في حروبها مع الرومان مما أدى لفقدانها السيطرة على المناطق الشرقية من المملكة، لذا أرادت مملكة أكسوم ملء الفراغ السياسي في هذه المناطق وخاصة أن البليميين كانوا يثيرون الكثير من الفوضى وعدم الاستقرار مما يؤثر على التجارة الدولية.

من الواضح أن الأكسوميين كانوا يضعون أمامهم هدفاً إستراتيجياً في علاقتهم مع مملكة مروي وهو سلامة الطرق لتجارة الوارد والصادر في أفريقيا، لذا نلاحظ أن متى ما ضعفت مروي في السيطرة على التجارة تدخلت أكسوم، منها ما جاء في النص الإغريقي على لوح من حجر البازلت الذي وجد في مروي وعثر عليه سايس (Sayse)يحمل الرقم (508) بمتحف الخرطوم وهو تخليداً لذكرى أحد ملوك أكسوم قبل غزو الملك عيزانا، حيث ورد في النص آرس (Ares) إله الحرب عند الإغريق[7]، ويرجح فوزي عبد الرازق بيلي أن هذا النص يعود للعقد الأول من القرن الرابع الميلادي في فترة حكم الملك (ألاعميدا) والد عيزانا أحد ملوك أكسوم الأقوياء الذي حقق توسعاً كبيراً نحو الغرب على حساب مملكة مروي التي كانت تعاني من الضعف والتفكك، مما تسبب في إضطراب سير التجارة الأفريقية مع أكسوم، لذا انتهت دوافعه للقضاء على قوة مروى والسيطرة عليها[8].

ولعل من أشهر الوثائق نقش عيزانا ملك أكسوم المكتوب باللغتين الجعزية والإغريقية، والذي أشار فيه إلى أنه جاء أساساً لمحاربة النوبة وهي إحدى الشعوب التي كانت متواجدة بكثرة في سودان وادي النيل وأصبح لها نفوذ سياسي واجتماعي، وورد كذلك في النقش سيطرته على كاسا

(كوش) (ملحق رقم «2»)،وتعددت التحليلات لهذا النقش وأصبح أحد المحاور التي ينطلق منها معظم الدارسين لتصور درامي لنهاية مروي، ولكن من خلال قراءة متأنية للنقش يبدو أن هذه الحملة كانت موجهة لتأديب بعض الشعوب التي كانت تثير الفوضى داخل الإمتداد السياسي لمملكة أكسوم والتي كانت من ضمنها مملكة مروي،فقد ورد في نقش جعزي بالكتابة السبئية يعود إلى بداية الربع الثاني من القرن السادس الميلادي- وجد ضمن نقوش أخرى عام 1968م في مدينة أكسوم-: «أنا كالب آلا أصبح ابن تازينا رجل لزب، ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبا وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضرموت وكل أعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودريت (Drebt) ولبد تفي (Tfy) خادم المسيح الذي لم يهزمه أحد...» (ملحق رقم «3»).ويشير هذا النقش بوضوح إلى مناطق نفوذ مملكة أكسوم في عهد الملك كالب، وما يعنينا بصورة مباشرة في هذا النقش إضافة النوبة جغرافية أو سكاناً ضمن المناطق الخاضعة لمملكة أكسوم لأول مرة رغم أن الملك عيزانا أورد في نقشه - كما بينا سابقاً- بأنه حارب النوبة وأنتصر عليهم مما يجعلنا نقول - ربما بشيء من الاطمئنان- أن النوبة والسودان النيلي حتي الشلال الثالث كانت داخل دائرة نفوذ الملك عيزانا بصورة من الصور كما أشرنا اليه-، وظلت خاضعة لمملكة أكسوم حتى فترة حكم الملك كالب - أي تاريخ النقش في الربع الثاني للقرن السادس الميلادي - وهي الفترة التي ظهرت فيها بعض الكيانات السياسية وتطورت فيما بعد وعرفت بالممالك النوبية المسيحية في منتصف القرن السادس الميلادي.

من جانب آخر نستنطق هنا نظرية آثارية ما زالت في بواكيرها تقول:إن بعض القلاع والحصون الموجودة على النيل في منطقة المنحنى تشبه إلى حد كبير التصميمات المعمارية الأكسومية وخاصة القلاع المبنية من الحجر الأسود، ويُعتقد أن قلعة الضيقة كانت مدينة أكسومية، فضلاً عن بعض المؤثرات الثقافية الأكسومية في المنطقة مثل وجود رسومات لنجمة داؤود، وسمكة وثلاثة نجمات، ومعلوم أن السمك هو شعار المسيحية الأول[9]، ورغم أننا لا نستبعد التأثيرات المعمارية والثقافية المتبادلة بين الطرفين فإن هنالك ثمة ما يجعلنا نقول على ضوء المعطيات والإشارات التي قدمناها أن ملوك أكسوم ربما قد أوكلوا إدارة الأمور السياسية في بعض المناطق التي كانت تسيطر عليها مملكة مروي لمجموعات تدين بالولاء ومن الجائز أن مملكة أكسوم كانت لها صلة بالأحداث التي جرت في تلك الفترة مثل دعم حلفاءها وخاصة المناطق الشمالية من الكيانات القبلية والسياسية وكانت النواة الأولى لتشكيل الممالك النوبية.

وهناك بعض الشواهد الثقافية تشير إلى الاثر الاكسومي في سودان وادي النيل مثل رواية لأسرة الكشكشاب -آخر ملوك دنقلا عل حسب الروايات الشفاهية -هو حسن كشكش بن نقد الله بن أنباس،وأنباس حسب روايات الأسرة تعني أسد، وعند البحث في أصل هذا الاسم أتضح أن أحد أباطرة الحبشة هو الإمبراطور داويت الثاني (1507-1540م) كان يحمل لقب (أنباسا سنجد

(Anbasa Segad) الذي يعني باللغة الأمهرية الذي تنحني أو تسجد له الأسود فبحسب قاموس اللغة الأمهرية، فالأسد يعني أنباسا، ونجد هذا الاسم في أحد أسماء ملوك المقرة المتأخرين وهو كود أنباسا، وتكتب أحياناً كرنبس، فربما كان هذا الاسم مكوناً من مقطعين أحدهما أنباس. أما عن تركيب مقاطع الاسم الأول من اسم الملك كود أنباس أن كو تعني في اللغة الدنقلاوية النوبية «الأسد»، وترادف الأسماء في الثقافة النوبية معروف وشائع،إن وجود اسم حبشي في أسماء ملوك المقرة قرينة ترجح وجود علاقات مشتركة بين ملوك المقرة والحبشة وربما كانت تاريخية سياسية أو دينية[10]، ونضيف ملاحظة أخرى وهي التأثير الحبشي مثل اقتباس بعض الرموز والشارات الملكية مثل خاتم الملك سليمان-أشرنا إليه-، وكذلك هناك بعض الروايات التاريخية* تفيد بأن منطقة الدُفار - جنوب العاصمة دنقلا - كانت تقطنها مجموعات حبشيةورغم ضعف هذه الروايات إلا أن بعض الرواة يدعمونها ببعض الأدلة الثقافية التي لا تزال تمارس في المنطقة حتى اليوم مثل استخدم كلمة «سي سي» والتي تقال للعرسان حبشية الجذور، إضافة الي ذلك فإن بعض أسماء المناطق قد ترجع لأصول حبشية مثل اسم الدُفار وتعني القوى[11]، وكذلك اسم دبة ربما تكون لها صلة بكلمة دبرا (Debra) التي تعني دير في اللغة الحبشية[12]، وأيضاً اسم دنقلا - عاصمة مملكة المقرة - ربما مأخوذة من الكلمة الأمهرية دنقل التي تعني العذراء، ويبدو أن هذا الربط مقبول لأن مدينة دنقلا كانت مركزاً مسيحياً مهماً إلى جانب كونها عاصمة سياسية؛ وقد نجد لهذه الإشارات صدي في أراء بعض الباحثين مثل الأب ج. فانتيني الذي يقول بالأصل الواحد لملوك أكسوم والمقرة وذكر وجود بعض التقاليد المشتركة للأسرة الأكسومية المالكة والأسرة النوبية المالكة[13] دون أن يشير الي هذه التقاليد.

الأصل الحميري:

الصلات بين شبه الجزيرة العربية وسواحل البحر الأحمر الأفريقية قديمة جداً، والمعلومات وافرة لكنها تحتاج للمراجعة والتحليل والتدقيق،ولا يتسع لها المجال في هذه الدراسة الموجزة، لذا سنكتفي باستعراض خلاصة دراستين اهتمتا بهذا الموضوع، الأولى لأحمد الياس حسين بعنوان: «السودان.. الوعي بالذات وتأصيل الهوية»، والتي تعرض فيها بالنقد والتحليل لمعظم الروايات التي وردت في المصادر اليونانية والرومانية والمصادر العربية المبكرة والدراسات الحديثة، وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن فقر سواحل البحر الأحمر السودانية كانت سبباً في عدم تكون مستوطنات عربية ومراكز تجارية كبيرة، بينما كانت سواحل شرق أفريقيا الواقعة على المحيط الهندي الغنية تساعد في تزويد الساحل بإحتياجاته، لذا فأن العرب قد أنشئوا فيها عدد من المراكز التجارية، كم كان تأثيرهم كبير على السواحل الحبشية مقارنة بالسودانية، وقد سهل مضيق باب المندب العبور بين ساحلي البحر الأحمر، وخاصة في عهد دول مملكتي سبأ ومعين حيث وردت الكثير من الأدلة الأثرية التي تؤكد هذه الهجرات في هذه الفترة فضلاً

عن العلاقة بين اللغتين الحبشية والعربية اللتان تنتميان إلى مجموعة اللغات السامية. ويري أن معظم الهجرات العربية إلى سودان وادي النيل كانت تتم عن طريق العبور من سواحل اليمن إلى الحبشة أولاً، ثم إلى السودان، إما عبر تحركات سلمية من أجل الاستقرار والتجارة، أو تحركات من أجل الغزو[14]. {ما رأيك أنت كباحث في ما ذكره أحمد الياس؟}

ومن وجهة نظر أخرى يستعرض مكمايكل (H. A. Mac Mcheeal) في كتابه: «تاريخ العرب في السودان» أقوال بعض القدماء ونتائج بعض الدراسات الآثارية التي تشير إلى أن التواصل بين جانبي البحر الأحمر على امتداده كان حميماً، وأن التجارة كانت مزدهرة مع موانئ مصر والسودان والحبشة منذ عهد قديم، وكان التجار يذهبون بتجارتهم حتى النيل عن طريق وادي حمامات الذي يمتد من الشرق إلى الغرب بين البحر الأحمر وطيبة، وترتب على هذا التواصل والتداخل بالتأكيد امتزاج هذه المجموعات مع بعضها، ومما يؤيد هذا القول بعض النقوش الصخرية، والإنتشار الواسع للأصداف البحرية التي جلبت من ساحل البحر الأحمر في مقابر الأسرات في مصر العليا والنوبة، وتشير كذلك بعض المدونات التاريخية إلى أن العلاقات بين الجانبين لم تقتصر على التجارة فقط بل تخللتها غزوات قطحانية وحميرية لوادي النيل نتج عنها خلال فترات متلاحقة وجود مستعمرات للحميريين الذين استقروا في بلاد النوبة، ولعل إنتشار عبادة الشمس في المستعمرات الحميرية في الحبشة وفي ذات الفترة عبادته في معبد تالمس (كلابشة) في بلاد النوبة والتي استمرت حتى إنتشار المسيحية في القرن السادس الميلادي، أوجدت نوع من التقارب بين المجموعتين مما سهل عملية التمازج بين الحميريين والشعب القاطن في بلاد النوبة، وقد ذهب بعض الكتاب - مثل بليني وجوبا - إلى أبعد من ذلك إلى القول بأن سكان وادي النيل من أسوان وحتى مروي كانوا من العرب، ويعلق على هذا القول بأنه قد يكون فيه نوع من المبالغة ويضيف رواية تقول المتأخرين من الحميريين قد شنوا غارة في العقود الأولى للعهد المسيحي على بلاد البجة بحثاً عن الزمرد ([15]).

نستخلص من هذين الاستعراضين أن هناك شبه اتفاق على تسرب مجموعات عربية حميرية إلى سودان وادي النيل في فترات متباعدة وخاصة بعد انهيار مملكتي معين وسبأ وتدفق الهجرات البشرية من جزيرة العرب إلى شرق إفريقيا وإن كنا نلاحظ تركيز أحمد الياس على الهجرات عبر البحر الأحمر وإشارات مكمايكل المتكررة إلى إنتقال بعض المجموعات العربية إلى مصر عبر صحراء سيناء منذ القدم ثم إنتقالها عبر النيل جنوباً إلى بلاد النوبة، ونلاحظ أن بعض المصادر العربية التي تناولت تاريخ الممالك النوبية أشارت بوضوح لأصول ملوك المقرة فقد أورد المسعودي: « وملوكهم النوبة تزعم إنها من حمير، وملكهم يستولي على معدن ونوبة وأرض علوا...»[16]،ويقول ابن سليم الأسواني: « أعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل، فالنوبة هم المريس المجاورون لأرض الأسلام. وبين أول بلدهم وبين أسوان

خمسة أميال ويقال: أن سلها جد النوبة، ومقري جد المقرة من اليمن. وقيل النوبة ومقري من حمير...»[17]، وكذلك أورد ياقوت الحموي: « وملوكهم يزعمون أنهم من حمير، ولقب ملكهم كابيل، وكتابته إلى أعماله وغيرهم من كابيل ملك مقري ونوبة».[18]، وفي فرضية لدي فيلارد يقول: « ليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع في أصلها إلى جنوب الجزيرة العربية، إذ عبر الحميريون البحر الأحمر واستقروا في السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم مثل: كوة، دراو، سبا، ولا يستبعد أن تكون الأخيرة حرفت إلى سوبا عاصمة علوة»[19].

إن هذه الإشارات الصريحة للأصل الحميري لملوك المقرة في المصادر العربية إضافة للاستنتاجات والفرضيات التاريخية المطروحة حول هذا الموضوع- والتي لم تجد اهتماماً كبيراً من الباحثين - تقودنا لربطها - بحذر شديد - الأول بالنفوذ الأكسومي في سودان وادي النيل وعلاقة ملوك المقرة بالأسرة الأكسومية الحاكمة، حيث يرى محمد إبراهيم بكر أن مملكة أكسوم التي قامت في الجزء الشمالي للمرتفقات الأثيوبية كانت نتيجة لهجرات من جنوب الجزيرة العربية تشمل السبئيين على الأرجح في أواخر الألف الأخيرة قبل الميلاد، ثم أصبحت في بداية القرن الأول الميلادي مركزاً تجارياً مهماً ورائداً في شمال شرق أفريقيا وأزدهرت فيها العمارة الدينية والمدنية، واشتهرت فيها عبادة القمر التي انتقلت إلى أكسوم من سبا [20]، وهذه الإفادة قد تقدم لنا إضاءة أولية حول إمكانية الربط بين الأصل العربي الحميري لملوك المقرة والأصل الأكسومي، وتفتح آفاق جديدة لمزيد من الفرضيات التاريخية.

الخاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة والتي خلصت إلى نتيجة اساسية وهي بأن أطروحة الأصل الأكسومي العربي لملوك مملكة المقرة قد تؤيدها شواهد تاريخية متعددة تحتاج لمزيد من البحوث -على غير المعتاد - سنكتفي بطرح بعض التساؤلات، التي ربما تفتح أبواباً للبحث والدراسة.

أولاً: شاع عند الباحثين في تاريخ السودان وصف الفترة التالية لسقوط مروي وحتى قيام الممالك النوبية (350-550م) بالفترة الغامضة ومؤخراً بحضارة ما بعد مروي، وهذا الوصف يشمل كل الجغرافية السياسية لمملكة مروي دون وضع إعتبار للتطورات السياسية والإجتماعية والإقتصادية لكل الأقليمية للمملكة، فمثلاً في سودان وادي النيل وفي الشمال في إطار الجغرافية السياسية التي قامت فيها مملكة نوباتيا لاحقا، شهدت صراعاً بين البليميين والنوباتيين كانت الغلبة في النهاية للنوباتيين، أما جنوبها وفي إطار الجغرافية السياسية التي قامت فيها لاحقاً المملكتين الوسطى المعروفة بالمقرة، والجنوبية المعروفة بعلوة، كانت على الغالب مسرحاً للصراع بين المجموعات المحلية والأكسوميين ترجحت فيها كفة المملكة الأكسومية، مما يطرح تساؤلاً عن الوضع السياسي فيها،هل كانت هذه المنطقة تحت الوصايا السياسية والاقتصادية المباشرة أو غير المباشرة للمملكة الأكسومية، ثم تراخت فيما بعد القبضة الأكسومية فظهرت هاتان المملكتان من خلال تفاعل بعض العناصر الأكسومية النشطة أو الموالية لها، والتي ربما تبوأت مراكز إجتماعية وإقتصادية متقدمة في تلك الفترة ؟.

ثانياً: بناءً على الفرضية السابقة، ما هي المجموعة التي حكمت مملكة المقرة بدعم من الأكسوميين؟ وهل كانت مجموعات محلية لها صلة بالأسرة الملكية المروية وموالية للأكسوميين؟ أم هم من نفس المجموعات العربية الحميرية التي قدمت إلى شرق إفريقيا بعد إنهيار سد مأرب وكان لها دور في تأسيس مملكة أكسوم وواصلت بعضها هجرتها حتى استقرت في سودان وادي النيل، ثم وجدت دعماً من الأكسوميين بعد امتداد نفوذهم إلى هذه المناطق لاحقاً؟ أم هي خليط متصاهر من المجموعتين؟

ثالثاً: في نهاية هذه الخاتمة نتقدم بتوصيتين:

الأولى: مقترح بتسمية الفترة ما بين عامي (350-550م) بالفترة الأكسومية بدلاً من حضارة المجموعة الغامضة أو حضارة ما بعد مروي، لأن السمة البارزة فيها -على حسب تقديرنا- تنامي النفوذ الأكسومي خاصة في الشرق والوسط.

الثانية: إجراء مزيد من الدراسات حول هذه الأطروحة والبحث في الذاكرة الشعبية للأسر والعائلات الموجودة حول دنقلا عاصمة مملكة المقرة - والتي تزعم صلتها بالأسرة الملكية المقرية - والتي ربما تحمل معلومات مفيدة حول هذه الفترة، وهذا الموضوع.

المصادر والمراجع:

1-لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

1. عمر حاج الزاكي، مملكة مروي - التاريخ والحضارة، ط2، (السودان: سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السدود، إصدارة رقم (7)، 2008م).
2. Kirwan, L.P «The Decline and Fall of Meroe» Kush,8,1960.PP163-169.

2-لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع:

سامية بشير دفع الله، نوبة النيل، أصولهم ودورهم في تاريخ السودان القديم، ط (الخرطوم: در المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2017م).

3. نفس المرجع، ص 152.
4. محمد إبراهيم بكر، تأريخ السودان القديم،(القاهرة: دار المعارف، 1983م)، ص 201-2019.
5. نفس المرجع، ص 215-220.
6. Hinte,Preliminary Report of the Butana Expenditon,1958,Kush Vii (1959) p189ff. fing 2,porter-Moss Vll, p272.
7. نفس المرجع، ص 2015. الأب، ج. فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم، 1987م)، ص 39.
8. فوزي عبد الرازق بيلي مكاوي: «مملكة أكسوم، دراسة لتاريخ المملكة السياسية وبعض جوانب حضارتها»، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1974م، ص 65.
9. على عثمان محمد صالح، عالم آثار (بروفيسير)، مقابلة بمكتبه، قسم الآثار، جامعة الخرطوم، بتاريخ 19 يوليو 2016م.
10. عينات من عمق تاريخ السودان، الحلقة (1): (ملوك المقرة)، موقع السلالات العربية على شبكة الانترنت.
11. عوض أحمد حسين شبا، الدُفار المملكة المنسية، دراسة غير منشورة.
12. أو - جي، كروفورد، مملكة الفونج السنارية، ترجمة: البشير الصادق البشير، ط1 (الخرطوم: سلسلة كتاب سنار، ضمن فعاليات عاصمة للثقافة الإسلامية، 2017م».
13. الأب، ج. فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم، 1987م)، ص 39.
14. لمزيد من التفاصيل راجع: أحمد الياس حسين، السودان الوعي بالذات وتأصيل الهوية، ج1، (الخرطوم، 2008م).

15. هارولد م. مكمايل، تاريخ العرب في السودان بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد على ديدان، ط1، (أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012م)، ص 21-31.
16. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على الحسيني الشافعي (ت346هـ/ 956م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، في مصطفى محمد مسعد، المكتبة العربية السودانية العربية - مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، (الخرطوم: من مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972م) ص 50.
17. ابن سليم الأسواني، عبد الله أحمد بن سليم الأسواني (ت 386هـ/996م) كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، في: مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 98-99.
18. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحبشي الحموي المولد، (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، في: مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 166.
19. مصطفى محمد مسعد، المرجع السابق، ص 99.
20. محمد ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص214.

الملاحق:

ملحق رقم (1)

نقش الملك سلكو

« أنا سلكو ملك النياطيين، وكل الأثيوبيين ذهبت إلى Talmis (كلابشة)، Taphis وحاربت البلميين مرتين وأعطاني الأله النصر، وبعد الثلاث مرات انتصرت مرة أخرى (عليهم) وأحتللت مدنهم، وثبت نفسي هناك مع جيوشي، وفي المرة الأولى هزمتهم وعقدت معهم سلاماً، وحلفوا لي بأوثانهم، وصدقت إيمانهم، لأني اعتقد أنهم رجال أمناء، ثم عدت إلى أقاليمي العليا، وعندما أصبحت ملكاً لم أتخلف عن الملوك الآخرين، ولكني كنت في مقدمتهم (بأعمالي)، فأولئك الذين يبحثون عن القتال معي فأنني لم أتركهم يقعدون في بلادهم، إلا بعد أن خضعوا لي، لأني أسد في البلد الأسفل (وغزال؟) في البلد العلوي. وحاربت البلميين من أبريم Telelis مرة. ثم (حاربت) النباطيين الآخرين في البلد العلوي (الجنوبي)، واكتسحت بلادهم لأنهم سعوا إلى القتال معي.

أما سادة البلاد الأخرى الذين تقاتلوا معي فأنا لم أتركهم يقعدون في الظل، بل في الخارج تحت الشمس. بدون أن يشربوا قطرة ماء في داخل بيوتهم، لأنهم كأعداء لي، فأنني أخذت نساءهم وأطفالهم».

(نقلا عن: بكر، 1983م: 226).

ملحق رقم (2)

نقش باللغة الجعزية (عن حرب عيزانا للنوبا وكاسو)
بعد عام 330م (؟) تقريباً

1. بارادة سيد السماء الذي في السماء وعلى الأرض القدير على كل شيء (موجود).
2. عيزانا، ابن الا أعميدا، رجل هالن، ملك أكسوم و
3. حمير وريد ان وسبأ وصالحين وسيامو وبجة و
4. كاسو، ملك الملوك، ابن الا أعميدا (25)، الذي لا يقهر من الأعداء
5. بارادة سيد السماء، الذي جعل مني سيدا، الذي إلى الأبد، هو الكامل
6. بحكم الذي لا يقهر من الأعداء، لن يقف أمامي عدو وليس خلف سوف يلحقني عدو، بأرادة سيد الجميع، قمت بحرب ضد النوبا لأن الناس النوبا ثاروا
7. وقد جاهروا بذلك. وأنهم (الأكسوميين) سوف لا يعبرون نهر تيكازي (26) قال الناس
8. النوبا.وكانوا معتادين على مهاجمة الناس المانجورتو والخاسة (27) والباريا والسود
9. وقاموا بالحرب ضد الناس الحمر(28) ومرتين وثلاث (مرات) حنثوا بتعهداتهمو
10. قتلوا جيرانهم بدون سبب كاف، ونزعوا ملابس وسرقوا أمتعة نوابنا ورسلنا الذين
11. أرسلتهم لكي يسألوهم عن سرقاتهم، وسرقوا منهم
12. أسلحتهم الخاصة للدفاع عن أنفسهم. ونظراً لأني قد أرسلت اليهم
13. تحذيرات، ولأنهم لم يسمعوا لي ورفضوا أن يمتنعوا عن أعمالهم السيئةأطلقوا اللعنات على
14. عندئذ أعدوا أنفسهم للهرب، لقد قمت بالحرب ضدهم وظهرت عليهم ارادة سيد
15. الأرض، وقد حاربتهم على نهر تيكاري عند قلعة كيما لكي. وعندئذ أخذوا الهرب ولم
16. يأخذوا في الوقوف، وقد تتبعت الهاربين لمدة 23 يوماً.
17. أقل (البعض) وأسجن (آخرين) وأستولى على الغنائم أينما ذهبت والسجناء و
18. الغنائم أحضرها لي رعاي الذين ساروا في البلاد وبصفة رئيسية لقد أحرقت مدنهم
19. (سواء) تلك التي بنيت من اللبن أو تلك التي بنيت من البوص، وقد حمل (جنودي) طعامهم، ونحاسهم وأيضاً حديدهم و
20. نحاسهم (الأصفر) (؟) ودمروا تماثيلهم (صورهم) ومنازلهم (معابدهم) ومخازن طعامهم وأشجار القطن(29)
21. أغرقوهم في نهر سيدا وكان هناك (رجال) كثيرون ماتوا في المياه،
22. عددهم غير معروف لي، وقد أغرق (الجنود) سفنهم في النهر بينما كانت مكدسة بالناس
23. سواء النساء أو الرجال، وقبض على أثنين من الرؤساء 2-- اللذين
24. جاءا كجواسيس يركبان الأبل (30)، وكان اسماهما

25. يساكا Yasaka - - وبوتالي Butale وقبضت على أنجابيني Angabena ذات أصل نبيل وهؤلاء ماتوا، الرؤساء
26. داناكو Danako داجالي Dagale، أناكو Anako، هواري Hawari كاركارا Karakara، وسيدهم (كاهنهم) الذي
27. أصابوه (الجنود) وأخذوا منه تاجاً من الفضة (3) وخاتماً من الذهب الرؤساء
28. الذين ماتوا كانوا خمسة 5-- وأحد الكهان 1-- ووصلت إلى كاسو وحاربت معكرة وجعلت سجناء من أهلها عند
29. ملتقى نهري سيد وتيكازي، واليوم التالي لوصولي أرسلت
30. غارة على البلاد، جيش ماحازا وجيش هارا وجيش داماوا Damawa وفالحا وسيرا
31. أعلى النهر سيدا، المدن التي بنيت من اللبن وتلك التي بنيت من البوص، أسماء المدن التي
32. بنيت من اللبن كانت علوة 1- - (و) دارو 1-- وقتلوا وقبضوا على سجناء وأغرقوا (أناس) في
33. الماء وعادوا سالمين ومسموعي الكلمة، بعد أن أرعبوا أعداءهم وهزموهم بأرادة سيد
34. الأرض وبعد ذلك أرسلت جيش هالن وجيش لاكن و
35. جيش ساباراتSabarat وفالحا وسيرا أسفل نهر سيدا (ضد) مدن النوبا الذي قد (صنعوا)
36. من البوص 4-- مدن 1-- نبويس المدن التي بنيت من اللبن التي أخذنا كانت تابيتو 1-- و
37. فيروتوي 1--. ووصل جنودي عند حدود النوبا الحمر (31) وقد عادوا سالمين مسموعي الكلمة
38. وبعد أن قبضوا على سجناء وقتلوا النوبا وأخذوا الغنائم منهم بارادة سيد
39. السماء - وقد زرعت (أقمت) عرشا في تلك البلاد في مكان يلتقى فيه نهري
40. وشيكازي في مقابل المدينة ذات المنازل اللبن التي... الجزيرة، أن الأشياء التي أعطاني
41. سيد السماء هي: رجال أسرى 214 وسيدات أسرى 415 ومجموع الأسرى 629
42. رجال قتلوا 602 وسيدات وأطفال قتلوا 156 ومجموع الذين قتلوا 700 و
43. 58 مجموع السجناء والذين قتلوا 1387 والغنائم أبقار 10.500
44. و60 وأغنام 51.050 وقد زرعت (أقمت) عرشاً هنا في ساد وبارادة
45. سيد السماء، الذي ساعدني وأعطاني السلطة
46. هل يجب أن يجعل سيد السماء مملكتي قوية مثلما جعلني انتصر اليوم على أعدائي
47. هل يجب أن يهزم لي أينما أذهب، ومثلما أنتصر لي هذا اليوم وشتت لي
48. أعدائي (سوف أحكم) الناس بالحق والعدل، وسوف لا أظلمهم، سوف يحافظون (على)

49. هذا العرش الذي أقمته لسيد السماء الذي جعلني ملكا
50. (و) الأرض التي تحمله إذا وجد أي إنسان الذي سوف يحركه أو يهدمه أو يكسره فانه هو
51. زذريته، سوف يطردون ويشتتون من الأرض وسوف يطردون وقد أقمت
52. هذا العرش بارادة سيد السماء

(نقلاً عن: مكاوي)

ملحق رقم (3)

نقش الملكْ كالب ألا أصبح

نقش جعزي بالكتابة السبئية عن حروب الملك كالب حوالي بداية الربع الثاني من القرن السادس الميلادي، وقد عثر على هذا النقش عام 1968م في مدينة أكسوم، وقام بدراسته العالم روجيه شنيدر (R. Schneider)، ووضح الملك كالب في النقش حدود مملكته قائلاً: « أنا كالب، ألا أصبح، ابن تازيتا رجل لزن، ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبأ وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضر موت وكل إعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودربت (Drebt) ولبلد تفي (Tfy) خادم المسيح الذي لم يهزمه أحد...».

(نقلاً عن: مكاوي: 97)

أنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتها في العهد السعودي...

د/ أحلام علي أحمد أبو قايد
الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى كلية الشريعة قسم التاريخ

المستخلص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

تكمن أهمية هذا البحث المرسوم (أنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتها في العهد السعودي) في كون هذه المهنة – الطوافة – قد ظهرت وتطورت وتأصلت مفاهيمها. ثم ازدهرت على مر العصور واستقرت وزادت لحرص ملوك المملكة العربية السعودية على الاهتمام بها وتسهيل أمور الحجاج لأداء مناسكهم.

وتكمن أهداف هذا البحث في النقاط التالية:

1. أن المطوف ارتبط بعرى وثيقة بالحاج، وهذا الارتباط من بداية عهد الطوافة وحتى هذا العصر.
2. اختلفت الظروف عن السابق وتأثرت العلاقة بين المطوف وحجاجه بأسباب منها ما وصلت إليه المملكة العربية السعودية من تقدم مزدهر.
3. حرص ملوك المملكة العربية السعودية على الاهتمام بهذه المهنة لما فيها من علاقة وثيقة بخدمة ضيوف الرحمن.

أما المنهجية المتبعة فقد اعتمدت الباحثة على التقصي في جمع المعلومات والرجوع إلى المؤسسات المعنية بهذه المهنة.

وقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج والتوصيات يذكر منها:

1. أن الطوافة مهنة قديمة عرفت ومن ثم تم إقرار عدد من التنظيمات لها خاصة في العهد السعودي الزاهر.
2. تكوين الهياكل الإدارية لمؤسسات الطوافة والتحديث في مجال تقنية وميكنة الأعمال بما يتفق مع معطيات العصر الحديث.

ومن التوصيات:

1. العمل على إيجاد مراكز خاصة للباحثين وتزويد المكتبات بمؤلفات عن النقلة الحضارية التي مرت بها مهنة الطوافة.
2. التعاون من قبل الجهات المختصة بوزارة الحج ومؤسسات الطوافة لمساعدة الباحثين في مثل هذه المجالات البحثية.

هذا ولله الحمد والمنة،،،

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the worlds, peace and prayers be upon the most honorable of the prophets and messengers, Muhammad, upon his family and companions:

The importance of this research (Tawafah regulations, stages and institutions in the Saudi era) lies in the fact that this profession (Tawafah) has emerged, developed and originated its concepts, then flourished settled and increased throughout the eras because the kings of Saudi Arabia cared about them and facilitating the pilgrims' affairs to perform their rituals.

Objectives of the research:

1. The Mutawaf was closely connected with the pilgrim, this connection is from the beginning of the Tawaf era until this era.
2. The current circumstances differed from the previous, the relationship between the Mutawaf and his pilgrims was affected, among other reasons is the prosperous progress achieved by the Kingdom of Saudi Arabia.
3. The kings of Saudi Arabia are keen on taking care of this profession because it has a close relationship with the service of the guests of Alrahaman.

Methodology of the research: the researcher relied on investigation to collect data and referred to the institutions concerned with this profession.

Results of the research:

1. The Tawafah is an ancient profession that was known then organizations were approved for it, especially during the prosperous Saudi era.
2. The formation of administrative structures and modernization for Tawafah institutions in the field of technical and mechanization of works in accordance with the data of the modern era.

Recommendations of the research:

1. To find special centers for researchers and providing libraries with literature reviews about the civilized shift of the Tawafah profession.
2. Cooperation by the competent authorities in the Ministry of Hajj and Twafah institutions to assist researchers in such research areas.

Praise and gratitude to Allah

التمهيد:

أوضاع المطوفين قبل ضم الحجاز:

للحديث عن الحج وتنظيماته لابد من الحديث عن الطوافة[1] والمطوفين، فقد كانت الطوافة في زمنها الأول تشريفًا وتكليفًا[2]، تشريفًا للمطوف الذي يقوم بخدمة وفود بيت الله الحرام والترحيب بضيوف الرحمن يسهر على راحتهم ويحرص على تقديم كل ما يحتاجونه أثناء إقامتهم في بلد الله الآمين ويرشدهم إلى مناسكهم ويوضح لهم ما خفي عليهم من أمور دينهم[3].

وتكليفًا لمن يتشرف بالانتماء إلى الطوافة، ويحكي لنا التاريخ كيف كانت القوافل تسير تحت حماية أمير الحج الذي كان يبذل الهدايا والإكراميات والمكوس إلى من يستطيع أن يمهد له طريقه حتى يصل سالمًا إلى مكة المكرمة[4].

وبمجرد أن تطأ قدم الحاج أرض مكة المكرمة تهدأ نفسه وتقر عينه برؤية الكعبة المشرفة يكون المطوف قد هيأ له وسائل الراحة ووفر له الطمأنينة فيلقاه بشوق الأخ لأخيه بعد طول عناء[5]، فأي علاقة تنشأ بين الحاج والمطوف ؟[6] أنها علاقة إنسانية روحانية تبقى في ذاكرة الحاج طوال حياته يتحدث بها لأهله وذويه وأصحابه وجماعته وأهل بلدته ويأتي ذكر المطوف دائمًا بالثناء الحسن والذكرى العطرة [7].

ولم تكن هناك رسوم محددة قديمًا يدفعها الحاج، بل كانت هناك أريحية وكرم وما تجود به نفسه للمطوف وجماعته ولمن قام بخدمته[8][9].

حيث تتواتر الروايات بأن الحجاج عندما يفدون إلى مكة المكرمة كانوا يلقون عناية خاصة واهتمامًا زائدًا من المطوفين الذين يسخروا أنفسهم وأولادهم وأهلهم لخدمة ضيوف الرحمن[10].

وكانت الإكرامية مجزية، بل تفوق أحيانًا ما كان يتوقعه المطوف، وكانت النفوس صافية ودائمًا تتواجد القناعة والرضى بالمقسوم، وكان المطوف متجاوب ومتفهم لنفسيه الحاج[11].

وبمرور الزمن،توسعت قاعدة المطوفين الذين يقومون بخدمة ضيوف الرحمن وعرف الحجاج في كل مكان أن بمكة المعظمة مطوفين تخصص كل منهم في جنس معين[12].

واستمر هذا المفهوم قائمًا يعمل بموجبه المطوفون قرونًا عديدة في ظل الحكم القائم في تلك الفترات في الحجاز[13].

جهود الملك عبد العزيز في العناية بالطوافة والمطوفين

سوف نوضح المراحل التي مرت بها الطوافة قبل ضم الحجاز على يد الملك عبدالعزيز[14]- يرحمه الله-وما آلت إليه بعد ضمها من أنظمة وتطورات أدت إلى ماوصلت إليه هذه المهنة في هذا العصر. ومن ثم ظهور ما عرف بالمعلمانية[15] وأسباب ظهور هذه الطائفة وأثر ظهورهم على المجتمع المكي.

أنظمة الطوافة ومراحلها قبل العهد السعودي

كانت الطوافة شرفًا يحظى به القضاة والعلماء ثم الأعيان والوجهاء من أهل مكة المكرمة سكان البلد الحرام[16].وكانت بيوتهم مفتوحة لاتغلق طوال العام لمن يرغب في الإقامة بجوار البيت الحرام ولطلب العلم[17]،فكان المطوف يحث الحاج المقيم على التفقه في الدين والعلوم الشرعية وتعلم اللغة العربية[18].ومن هذا المنطلق فإن مهنة الطوافة لم تكن فقط لخدمة الحاج في ما يختص باستكمال حجة بل زاد على هذا الأمر ترغيبه في زيادة تحصيله العلمي

والديني واللغوي لذلك تعتبر مهنة الطوافة تكليفًا لمن يقوم بخدمة وفود بيت الله الحرام والترحيب بها[19].

وتشريفًا لمن ينتمي إليها وما يتصل بها من أعمال، ولهذا السبب تحديدًا كان القضاة والعلماء يمتهنون هذه المهنة ذات الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى[20].

وبمرور الزمن توسعت قاعدة المطوفين الذين يقومون بخدمة ضيوف الرحمن وعرف الحجاج في أقطارهم أنه بمكة المشرفة كثيرًا من المطوفين الذين ينتظرون قدومهم[21].

وكان اختيار المطوف يتم من قبل الحاج نفسه حيث يسأل عنه في موانئ الدخول إلى الأراضي المقدسة ينطق باسم مطوف معين فيكون من يعينه الحاج[22].

ثم جاءت حقبة من الزمن كان أمراء مكة من الأشراف يخصون بعض من يتودد إليهم أن يتقرب إليه بطلب التخصص في بلد أو أكثر من البلاد الإسلامية فينعمون عليه في إحدى البلدان ويسلمونه بيده وثيقه تسمى«فرمان»[23]وهي التي عرفت لاحقًا باسم(التقارير)[24]،بحيث إذا قدم حاج أو أكثر من تلك البلدان المخصصة له لا يسأل الحاج عن مطوفه ولكن يسأل أولاً عن اسم بلده فإذا نطق باسم البلد اكتفى بذلك وسلم للمطوف المتخصص فيها أي صاحب التقرير[25]،وكانت تلك التقارير تلغى أحيانًا ويسري العمل بها أحيانًا أخرى[26].

وقد أنقسم المطوفون قبل العهد السعودي إلى ثلاثة أقسام:

الطائفة الأولى:

طائفة المختصين بحجاج أندونيسيا والملايو والفلبين وسيام، وقد عرف المكيون هؤلاء الحجاج باسم (حجاج جاوا)[27] وكذلك أطلق على مطوفيهم(مشايخ جاوا)(28). والملاحظ وجود تقاليد وأعراف معينة لهذه الطائفة مستمدة من بيئاتها، ويُنصب عليهم من طرف الإمارة شيخ يسمى (شيخ مشائخ الجاوا) [29].

الطائفة الثانية:

وهم مختصون بالهنود ولهم شيخ يسمى رئيس مطوفي الهنود، وداخل في عدادهم الباكستانيون، والأفغانيون وأهل بورما لأنهم يتكلمون اللغة الأردية [30].

الطائفة الثالثة:

وهم المختصون بسائر أقاليم المسلمين من غير الطائفتين السابقتين، وهؤلاء المطوفون المختصون بتطويف سائر المسلمين ولهم شيخ يطلقون عليه (شيخ المطوفين) [31]. وشيئًا فشيئًا، ويومًا بعد يوم تطورت تلك الخدمات إلى عمل منظم ومهنة لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما يمكن تسطيره[32].

كما تطور نظام الإكرامية مثله مثل نظام تخصيص فئات الحجاج لفئات خاصة من المطوفين، فمنذ أن تولى أشراف مكة سدة الحكم عام 430هـ / 1038م وحتى عام 1343هـ / 1924م كان

نظام الإكرامية وما تجود به نفس الحاج قائما، ثم ما لبثت أن أصبحت تعريفة الحجاج في حكم القانون فنشرت في الجريدة الرسمية (الحجاز) [33]، حيث خصص جنيه عثماني أجرة لسكن مكة للمجاورين وجنيه عثماني إكرامية مطوف لعموم أجناس الهند، وجنيهان عثماني على الداغستاني إكرامية مطوف وأجرة خيمة في عرفات ومنى ومبيت بمكة[34].

وخمسة ريـال مجيدي على حجاج مصر والشام والمغرب وريـال مجيدي على حجاج الصعيد وغزة والعراق[35].. وهكذا استمرت الأمور على هذه الحال حتى دخول الملك عبد العزيز- يرحمه الله- إلى الحجاز عام1343هـ /1924م حيث أجرى-يرحمه الله- بعض التعديلات والتغيرات المهمة في هذا المهنة.

أنظمة الطوافة ومراحلها في العهد السعودي

وبدخول الأراضي المقدسة تحت حكم وإدارة الحكومة السعودية في عام 1343هـ/1924م أبقت الحكومة السعودية الحال على ما كان عليه من التقارير[36]. وقد أدرك الملك عبد العزيز – يرحمه الله – ببعد نظره وثاقب رأيه الدور الذي يقوم به المطوفون أثناء تشرفهم بخدمة حجاج بيت الله الحرام فأقر مهنة الطوافة في أهلها معلنًا ذلك في أول بلاغ نشر في جريدة أم القرى عام 1343هـ/1924م نصت المادة الرابعة منه: «كل من كان من العلماء في هذه الديار أو موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذو راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل إن لم نزده فلا ننقصه شيئًا إلا رجلاً أقام الناس عليه الحجه أنه لا يصلح لما هو قائم عليه فذلك ممنوع مما كان له قبل، وكل من كان له حق ثابت في مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقصه شيئًا »[37].

وفي بداية العهد السعودي جرى إقرار عدة تنظيمات لأعمال الطوافة والمطوفين، حيث صدر الأمر السامي بالموافقة على نظام وكلاء المطوفين ومشايخ الجاوا وإنفاذه في1365/10/21هـ الموافق 1945/12/29م[38]، وصدر الأمر السامي الكريم برقم (7267) وتاريخ 1367/11/3هـ الموافق 1947/2/5م بإنفاذ نظام المطوفين العام[39]، ولذلك تعرض نظام المطوفين في كثير من موادة للتعديل بهدف حل المشاكل الأسرية والعائلية بين الشركاء وغيرهم[40].

وفي العهد السعودي أيضًا أصدر أول تسجيل لمهنة الطوائف على « حفائظ النفوس » وذلك في عام 1368هـ / 1948م أي بعد صدور نظام المطوفين بسنة واحدة والذي جاء في بعض موادة أن على المطوفين أن يثبتوا مهنتهم من رئاسة المطوفين بموجب خطاب رسمي في حالة طلبهم السفر إلى الخارج[41].

وقد مرت الطوافة في العهد السعودي بعدة مراحل وهي:

١- المرحلة الأولى: مرحلة الروحانية المطلقة:

وهي المرحلة التي كان المطوف فيها مرشدًا روحيًا وعالمًا دينيًا يستفتيه الحجاج في كل

شؤونهم ويرشدهم إلى أمور دينهم[42].

2- المرحلة الثانية: مرحلة التخصص:

وتتصف بالعلاقة التي كانت تربط الحاج بالمطوف في هذا الجيل بالصفة الدينية والصفة الدنيوية معًا فهو الواعظ الديني وهو الدليل الذي يساعد الحاج في أمور دينه ويعينه في شئونه[43].

3- المرحلة الثالثة: مرحلة الانتشار (من عام 1350هـ/ 1930م) قامت حكومة المملكة العربية السعودية منذ سنة 1343هـ / 1924م، بجهود كبيرة في سبيل النهوض بمستوى الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن وعلى رأسها خدمة الطوافة، وقد عملت جاهدة على تنظيم وسائل أدائها[44].

ويمكن القول أنه ابتداء من عام 1350هـ / 1930م وما تلاها من أعوام بداية مرحلة الانتشار حتى أصبح للمهنة نقباء ونظام خاص بها، ففي 1367/11/3هـ الموافق 1947/1/5م صدر الأمر السامي رقم (7267) بالموافقة على نظام المطوفين العام والذي يتضمن العديد من المفاهيم المتعلقة بالطوافة والمطوف منها[45]:

1. الطوافة هي عبارة عن وظائف معينة يؤديها كل مطوف وهو دليل الحاج في مناسكه وجميع ما يتعلق بالحج وهو بذلك المسؤول الأول عن الحاج.
2. الطوائف الثلاث: هي طائفة المطوفين وطائفة مطوف الهنود وطائفة مشاريخ الجاوى.

رئيس الطائفة هو من تعينه الحكومة ويسند إليه أي الرئاسة على أحدى الطوائف الثلاثة[46].

3. التقارير الكريمة سواء كانت قديمة أو حديثة نافذة المفعول ومرعية الإجراء.

التقارير الصادرة من ولاة الأمر لأشخاص معينين في بلاد معينة تكون معتبرة وفعاله[47].

وتميزت هذه الفترة بانتشار الهيئات الإدارية التي تساهم في زيادة كفاءة أعمال المطوفين وخدماتهم المقدمة إلى الحجاج[48],ومن أهم ملامح التميز،كثرة عدد المطوفين، ووضع الأطر والمعايير،وأهم الهيئات التي انتشرت في هذه الفترة هيئة أمناء المطوفين.

وهي مكونة من عشرة أعضاء[49].وفي بادي الأمر كان يتم تعيينهم بترشيح من رئيس المطوفين ثم أصبح اختيار الأعضاء يتم بالانتخاب، علمًا بأنه لم تكن هناك فترة زمنية لها،وفي حالة نقص عدد أفراد الهيئة بوفاة أحدهم أو طلب أحد الأعضاء الأعفاء من عضويته، يعاد انتخاب وتشكيل هيئة جديدة[50].

وبجانب هذه الهيئة كان هناك العديد من الهيئات منها:

هيئة أمناء مشايخ الجاوا، وهيئة أمناء مطوفي الهنود والباكستان وغيرهما. ومن الهيئات التي مارست دورًا بارزًا في هذه الفترة هيئة تمييز قضايا المطوفين[51].

وكان المطوفون في هذه المرحلة يعملون على ترسيخ أقدامهم في مهنة الطوافة بالجهد والعرق والسهر والسفر إلى العديد من دول العالم لمتابعة حجاجهم وزيارتهم في قراهم وبيوتهم[52].

وبحثًا عن وسائل لإصلاح أحوال الطوافة فقد عقد بمقر مجلس الشورى في مكة صباح يوم 1383/7/1هـ الموافق 1963/7/18م اجتماع هام لبحث مشاكل المطوفين ونظام رؤساء الطوائف، وتم اختيار لجان فرعية تمثل جميع الطوائف لدراسة المشروعات المقترحة لتحسين أحوال المطوفين[53].

وفي عام 1398هـ/ 1977م صدر قرار صاحب السمو الملكي نائب رئيس مجلس الوزراء رقم (6788) وتاريخ 1398/4/14هـ الموافق 1977/4/14م[54] بالموافقة على التحسينات التالية في مجال الطوافة:

1. يعطي المطوف الحجاج الذين يسألون عنه في حدود متوسطه المعتمد له في السنوات السابقة وفي نفس المجموعة المخصصه فيها.وحسب برامج التوزيع المعتمدة.
2. إلغاء إلزامية السكن.. أو ماأطلق عليها السكن الإجباري للحاج وعدم ربط الحاج بأجرة السكن التي كان يدفعها مقدمًا في السفارة السعودية في بلده وترك الحرية له في اختيار السكن الذي يناسبه وعلى قدر استطاعته.
3. تثبت المطوف على متوسطه بحيث إذا زاد العدد الموزع عليه أو نقص عن العدد المحدد له كمتوسط لايعني زيادة ولاينقص العدد[55].

وهكذا تطورت مهنة الطوافة في العهد السعودي حتى وصلت إلى ما آلت إليه في الوقت الحالي.

ظهور المعلمانية وأثرها في مجتمع مكة

يقصد بالمعلمانية المعلم الذي توفرت فيه شروط المعلمة وهي مهنة يصبح فيها الذي يخدم الحجاج تحت إشراف المطوف على مدى سنوات متتالية دون انقطاع مطوفا بموجب نظام المطوفين[56].

وهناك تعريف وفق نظام المطوفين في المادة العشرين نصها كالتالي: (الصبي[57]طالب المعلمانية هو الذي يباشر أعمال الطوافة المعتمد عليه في طواف الحجاج وفي تأديتهم مناسكهم، عدا مشايخ الجاوى فإن الصبي طالب المعلمانية منهم هو الوكيل الشرعي الذي يحل محل الشيخ ويقوم بجميع أعماله) [58].

وفي العهد السعودي لم يعرف عن الملك عبد العزيز – يرحمه الله – أنه منح المعلمانية أو أنعم على أي مطوف في بلد أو خصص إقليميًا لأحد ما[59]،ويذكر عن الملك عبد العزيز أنه أصدر أمرًا بإلغاء التقارير الصادرة بعد عام 1310هـ/1892م تلك التي منحت في عهد ما قبل الأشراف

نظرًا لما طرأ عليها من العبث والتزوير لتنظيم المهنة ومعطياتها، وسار على نهجه أبناؤه الكرام حتى يومنا هذا[60].

وطالب المعلمانية (الطوافة) لا يسوغ إجابة طلبه إلا بالشروط التالية[61]:

1. أن يكون الطالب للمعلمانية مولودًا بالمملكة ومقيمًا بمكة ومن غير المستحقين.
2. أن يكون حسن السيرة والسلوك.
3. أن يكون حسن القراءة والكتابة حائزًا لشهادة مدرسة ابتدائية على الأقل، أو مايعادلها من الوثائق العلمية، حافظًا للمناسك على المذاهب الأربعة[62].
4. أن يكون انتسابه لشخص من الطائفة مسجلاً لدى رئيس الطائفة منذ ابتداء خدمته.
5. أن يكون عاملاً لدى مطوف إحدى عشرين سنة متوالية، على أن كل سنة لايرد فيها حجاج لمستخدمه لا تحتسب من المدة المذكورة، وتحتسب له المدة التي خدمها لدى مستخدمه إذ توفي وعليه أن يتم المدة لدى ورثته إن كان له وارث أو لدى شخص أخر[63].
6. أن يكون ثبوت ذلك كله على يد رئيس الطائفة وهيئته.
7. أن يكاتب عمه إذا كان من أصحاب التقارير، أو من يحل محله فيه على عدم استحقاقه للسؤال الوارد له منها والتي تركها لعمه، على شرط أن تكون البلدان المقررة غير مشاعه حين المكاتبة، ويستمر حكم المكاتبة فيما إذا أشيعت تلك البلدة بعد المكاتبة[64].
8. أن لا يصير معلمًا إلا بعد صدور القرار اللازم بشأنه من رئيس الطائفة المنتسب إليها وهيئته وتمييزه ورفعه للمقام وصدور الموافقة الكريمة واتخاذ الإجراءات المتبعة.
9. كل طالب للمعلمانية يجب على الرئيس المحال عليه أن يستوضح من رؤساء الطوائف الأخرين عما إذا كان هناك ما يمنع إجابة الطلب[65].
10. الصبي المتنقل لدى المطوفين لايسوغ إخراجه معلمًا إلا إذا كان انتقاله من عمه الأول إلى عمه الثاني برضاء الطرفين، وبمقتضى مكاتبه تجري لدى رئيس الطائفة وهيئته [66].

وفي عام1385هـ / 1965م أصدر الملك فيصل[67] بن عبد العزيز- يرحمه الله- قرارًا من مجلس الوزراء رقم (159) وتاريخ 1385/3/27هـ الموافق 1965/2/20م بقفل باب المعلمانية والتصديق عليه وإنفاذه، وذلك عندما وردت الكثير من البرقيات من أبناء الطائفة ترغب في الحد من إلحاق الآخرين لهذه المهنة حتى لا يتدنى مستوى الخدمة المقدمة لضيوف الرحمن[68].

ونظرًا لورود بعض الطلبات من المتقدمين لطلب المعلمانية واستيفائهم للشروط وفقًا لنظام المطوفين العام فقد صدر مرسوم ملكي جديد برقم (13) وتاريخ 1398/3/4هـ الموافق 1977/3/9م بفتح باب المعلمانية من جديد ومنحها لكل من تتوفر فيه الشروط السابق ذكرها[69].

وللمعلمانية أثر واضح في المجتمع المكي، حيث أدى ظهورها إلى بروز العديد من أسماء

العوائل وانضمامهم إلى قائمة المطوفين وأسر الطوافة[70]. وبالتالي أدى هذا إلى ضرورة تواجد مؤسسات تضم أسر الطوافة وتفندها حسب نوعيات الحجاج القادمين من بلد من البلدان حتى لا يحصل لبس واختلاط ومشاكل بين تلك الأسر وورثت أبناء الطائفة والأسر الجديدة التي انضمت إلى قائمة المطوفين بعد ظهور نظام المعلمانية وفتح بابه لكثير ممن عمل في هذا المجال لفترات طويله وأصبح بعد ذلك مطوفًا بموجب نظام الطوافة العام[71].

مؤسسات الطوافة وأسرها

لقد حظي هذا البلد المقدس بتحمل مسؤولية تقديم الخدمات المتكاملة لحجاج بيت الله الحرام منذ وصولهم إلى البقاع المقدسة وحتى عودتهم لبلادهم، ومن هذا المنطلق ظلت الرعاية الكريمة الشاملة للقادمين لأداء الحج موضع اهتمام ولات الأمر في المملكة العربية السعودية منذ عهد المؤسس الأول الملك عبد العزيز آل سعود – طيب الله ثراه – وقد كان للتنظيم دوره في دعم تلك الرعاية والاهتمام بشؤون الحج.

المؤسسات التجريبية لارباب الطوائف

نظرًا لتوفر الأمن والاستقرار بالمملكة العربية السعودية ونتيجة للتطور في وسائل المواصلات وزيادة أعداد الحجاج عامًا بعد عام،ورغبة من الحكومة السعودية في أن تنقل مهنة الطوافة من العمل الفردي إلى العمل الجماعي بتحويل مهنة الطوافة إلى مؤسسات عامة صدر المرسوم الملكي الكريم في عام 1398هـ / 1977م ليكون عمل الطوافة بأيدي قيادة جماعية تواكب الخدمات التي تقدمها الدولة من أجل رعاية الحجيج[72].ومن ثم قامت عدة لجان في إطار لجنة وزارية على أعلى المستويات لإبراز مشروع المؤسسات في صورته التنظيمية، وعلى ضوء ما قامت به تلك اللجان تتابع صدور عدد من المراسم الملكية بهذا الخصوص[73].ففي 1398/3/4هـ الموافق 1977/2/9م صدر المرسوم الملكي الكريم بوضع اللوائح التنظيمية التي يتم بموجبها منح الرخص الجديدة لقيام مؤسسات الطوافة طبقًا للأنظمة التجريبية[74].

ثم صدر الأمر السامي الكريم رقم (4/ص/12162) وتاريخ 1399/6/13هـ الموافق 1978/6/17م بالموافقة على إقامة مؤسسات تجريبية لرفع مستوى مهنة الطوافة وخدمات الحجاج بناء على خطاب معالي وزير الحج والأوقاف رقم (42/س/ب) وتاريخ 1399/3/24هـ الموافق 1978/1/19م[75].

وقد وضعت فكرة إنشاء المؤسسات الأهلية التجريبية بموجب القرارات الصادرة من قبل وزير الحج والأوقاف كالتالي[76]:

1. قرار رقم (444/ق/م) بتاريخ 1402/11/18هـ الموافق 1981/12/18م بإنشاء المؤسسة التجريبية لمجموعة حجاج تركيا ومسلمي أوربا وأمريكا تسمى المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج تركيا ومسلمي أوربا وأمريكا وأستراليا.

2. قرار رقم (363/ق/م) وتاريخ 1403/9/14هـ الموافق 1982/7/12م بإنشاء المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج إيران[77].
3. قرار رقم (377/ق/م) وتاريخ 25-1403/9/26هـ الموافق 1982/7/15م بإنشاء المؤسسة الأهلية التجريبية لمطوفي حجاج جنوب آسيا.
4. قرار رقم (124/ق/م) وتاريخ 1404/5/3هـ الموافق 1983/4/13م بإنشاء المؤسسة الأهلية التجريبية لمطوفي حجاج أفريقيا غير العربية[78].
5. قرار رقم (125/ق/م) في 1404/5/3هـ الموافق 1983/4/13م بإنشاء المؤسسة التجريبية لمطوفي حجاج جنوب شرق أسيا.
6. القرار رقم (325/ق/م) في 1405/8/5هـ الموافق 1984/10/29م بإنشاء المؤسسة الأهلية التجريبية لمطوفي حجاج الدول العربية[79].

وخلال سنين التجربة كان التطوير والتحسين لخدمات الحجاج والحرص على معالجة كافة ما برز من سلبيات، ومن أبرز النتائج الإيجابية التي تحققت من خلال هذه المؤسسات الآتي:

1. إلغاء ما كان يسمى بالسمسرة حيث راجت تجارتها بكافة الدول العربية والإسلامية وكان على المطوف الذي يرغب في تنمية أعداد حجاجه التعامل مع هؤلاء السماسرة من تجار الحج ودفع ما يفرضونه من إتاوه مادية على كل حاج لدرجة أن عوائد الخدمات كانت تذهب لجيوب هؤلاء السماسرة[80].
2. إشاعة روح الحب والوفاء والمودة بين الأسرة الواحدة أو من كان بينهم رحم أو تقارب عائلي ممن تقطعت بهم الأسباب نتيجة التنافس المحموم والحقد والبغضاء حتى بين الابن وأبيه والأخ وأخيه في ظل العمل الفردي إبان نظام السؤال[81].
3. اكتساب أعضاء جدد من أبناء المهنة ذوي المؤهلات العليا (دكتوراه/ ماجستير) في الانضمام لخدمات الحجاج بعد أن نفروا منها نتيجة الفرقة والغيرة والحسد التي لمسوها من أسرهم وأصبح لديهم خبرة كبيرة أهلتهم للعمل في مجالس الإدارة للمؤسسات ورئاسة المكاتب التنفذية للخدمات[82].
4. العمل بروح الفريق الواحد في خدمة الحجاج تحقيقًا لحكمة تشريعًا الخالد (يد الله مع الجماعة)، ومخاطبة المولى جلت قدرته بلفظ الجمع دائمًا چ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ صدق الله العظيم[83].
5. قيام تنظيمات إدارية وفنية بأسلوب حضاري استخدمت فيه التقنية الحديثة في تنظيم أعمال المؤسسات خاصة الحاسب الآلي والذي أصبح سمة بارزة في كل مؤسسة حيث استفاد منه المطوفين في تسجيل حجاج مؤسساتهم منذ قدومهم وحتى مغادرتهم لبلادهم في الأمور المالية والإحصائية، وإيجاد أجهزة «اللاسلكي» للاستفادة منها في الخدمات

العامة مما وفر الكثير من الوقت والجهد[84] خاصة وأن هذه الأجهزة لها ارتباط بأجهزة الخدمات من الوزارة والجهات ذات العلاقة خاصة الدفاع المدني ومصلحة المياه ووزارة الصحة وغيرها[85].

6. تجهيز سيارات للخدمات بما في ذلك سيارات إسعاف كان لها تأثيرها الإيجابي في تحسين الخدمات ومعاونة الهلال الأحمر السعودي في إسعاف المرضى من الحجاج[86].
7. شجع نظام المؤسسات على إيجاد تنظيم بحيث أصبح لكل بلد إسلامي بعثة حج رسمية تفد للمملكة قبل موسم الحج بوقت مبكر للاجتماع مع وفد وزارة الحج برئاسة معالي وزير الحج وحضور المختصين من الوزارة والمؤسسات ذات الصلة المباشرة بكل مؤسسة لمناقشة ترتيبات الحج ثم الانطلاق في ضوء نتائج المباحثات للتنسيق مع مؤسسات الطوافة والجهات الأخرى ذات العلاقة، وقد حقق هذا التنسيق التجاوب والتعاون في كل ما يحقق راحة الحجاج[87].
8. أصبح للمؤسسات هيئة تنسيقية يتم عبرها كل ما يخدم مصلحة المؤسسات المشتركة وما يحقق خدمات أفضل لحجاج بيت الله الحرام[88].
9. التنسيق مع كافة الجهات ذات العلاقة من خلال لجنة موسمية مشتركة لكل جهة ذات علاقة بالحج تشترك فيها كل جهة باثنين من موظفيها وتعمل على مدار أربع وعشرين ساعة من أجل تحقيق تكامل الخدمات للحجاج[89].

إن الإيجابيات التي تحققت لم تتحقق بهذه الصورة الجيدة إلا بعد إنشاء المؤسسات الأهلية لأرباب الطوائف. ولا يعني هذا عدم وجود سلبيات سواء كان ذلك راجعًا للمؤسسة ذاتها أو لظروف خارجه عن إرادتها، ووزارة الحج وفقًا لمسؤولياتها وواجباتها تجاه خدمات الحجاج تحرص في كل موسم على دراسة كل سلبية وإيجاد الحلول المناسبة لمعالجتها وتحويلها إلى إيجابيات [90].

ومن أشهر أسماء الأسر المنتمية للمؤسسات الأهلية للطوافة يوضحها الجدول التالي:

المؤسسة	الأسماء
1 - المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج تركيا ومسلمي أوربا وأمريكا واستراليا	عجيمي - عنقاوي - حريري- بلخي - قاري - حلبي.
2 - المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج إيران	صحرة - حمزه - قطب - غنام - أزهر - جمال
3 - المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج جنوب أسيا	كاتب - سقاط - بدر - مؤذن - مرزا - أكبر
4 - المؤسسة الأهلية لحجاج أفريقيا غير العربية	ماريه - بكه - برقة - علوي - سيف الدين - مختار قطان
5 - المؤسسة الأهلية لحجاج جنوب شرق أسيا	دمنهوري - مندورة - بنجر - جاها - أشعري - عراقي
6 - المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج الدول العربية	بانه - النقيطي - السباعي - عابد - كركدان - خوج - كافي - نوح

ووزارة الحج تحرص على الدوام على تطوير الأداء لهذه المؤسسات وتقييم أعمالها سنويًا بما يكفل راحة الحاج وتقديم أفضل الخدمات له خلال أداء مناسك الحج.

التطور الشامل لنظام المؤسسات

أن ما فعلته الوزارة منذ صدور المرسوم الملكي رقم (م/12) في تاريخ 1398/3/4هـ الموافق 1977/3/9م بوضع تنظيم متطور للطوائف، وما اتخذته من إجراءات تنظيم إدارية ومالية وفنية منذ بدء العمل بتجربة نظام المؤسسات، وما أدخل على كافة التنظيمات من تعديلات والحرص على المواءمة بين الخدمات الراقية التي يجب أن تقدم لحجاج بيت الله الحرام وبين مصالح أرباب الطوائف يوضح بجلاء مدى الجهد الذي بذلته الدولة من أجل نجاح الخدمة المقدسة بما يحقق الأهداف السامية الخيرة التي وجدت هذه المؤسسات من أجلها[91]، وللوصول لهدف رئيسي وهو توفير الخدمة الجادة المتطورة لكافة الحجاج الذين تتزايد أعدادهم سنة بعد أخرى، وتتطلب مزيدًا من التنظيم والضوابط المحددة للمؤسسات السابق ذكرها، وأن ما تحقق ما هو إلا تجسيدًا حي لبعض ما نفذ من تنظيمات لخدمات الحجاج تتمثل في الآتي[92]:

1. التنسيق الجيد بآلية متجددة ومستمرة بين الوزارة وبعثات الحج والمؤسسات وكافة الأجهزة المعنية بالحج حقق راحة للعدد الأكبر من حجاج بيت الله الحرام سواء في السكن أو في الخدمة والنقل أوفي التوعية والإرشاد.
2. أن كافة أرباب الطوائف وأبناءهم ومن يتأقلم منهم ويتعايش مع الأنظمة الجديدة، وظلوا لفترة غير قصيرة يبتعدون عن المؤسسات ويبعدون عنها، أخذوا يرغبون في عملها ويقبلون على العمل بها بتفان وإخلاص وبإبداع مما يؤكد رضاهم عن مؤسساتهم كل حسب تخصصه في الأجناس التي يخدمها وخدمها آباؤهم من قبل[93].
3. أن كيفية الأداء للأعمال التي تتم في هذه المؤسسات على ضوء ما أصدرته الوزارة من

لوائح تنظيمية ومناهج وأساليب تقنية متطورة واستخدامات أجهزة الحاسب الآلي إن كانت قد حققت لها أعلى قدر من الضبط والربط في الإنجاز، فإنها أتاحت كذلك لكافة الأجهزة المتعاملة معها سهولة ويسرا في الاطلاع على أي عمل من أعمالها[94].

4. إن ما تحقق داخليا قد أحدث ردود فعل بناءة وخلق قناعة ورضا كبيرا لدى حكومات الدول الإسلامية جميعا وبصورة جعلت كافة تنظيمات أعمال حجاجها تنسجم مع تنظيمات المؤسسات ومع ما يستجد صدوره في كل عام ووفق تعليمات الأجهزة المعنية بالحج، وتسعى بعثات الحج إلى تنفيذ ما يطلب إليها تنفيذه، بل وتحرص على أن تكون أعمالها مطابقة للأنظمة والتعليمات الداخلية[95].

وكان الحرص شديدًا على أن يكون اختيار رؤساء ونواب مجموعات الخدمات بمؤسسات الطوافة مبنيًا على أساس التأهيل والخبرة وممن لديه دراية كافية في التعامل مع جنس معين من الحجاج[96]. وروعي أن تكون لكل مؤسسة جهاز متابعة ومراقبة ذاتية، كما كان الأعداد والتأهيل في شكل دورات تدريبية تعقد في ندوات عامة شارك فيها المختصون، وكل هذا التطور في خدمات المؤسسات نابعًا من حرص حكومة المملكة العربية السعودية على تقديم أفضل الخدمات لضيوف الرحمن القادمين لأداء مناسكهم[97], وما يزال التطور واضحًا حتى الوقت الحالي.

النقلة الحضارية للمطوفين في العهد السعودي

لم يكن الاصلاح والتطوير والتحديث حكرًا على مجرد الخدمة وتحسينها والارتقاء بها فقط، وإنما التطوير والتحديث الشامل لكل أجهزة ووسائل الخدمة هو الهدف الأسمى والأعظم لخطى ملوك المملكة العربية السعودية، ومن هذا المنطلق كان إعادة النظر جذريًا في تنظيم العمل بالمؤسسات على ضوء ما مر بها من تجارب أمام ما تتطلبه سنة التطوير[98].

وفي إطار ما تمليه المصلحة العامة من استمرار التطوير في مهنة الطوافة ليرتفع المستوى العام للخدمات التي تؤدي للحجاج عامًا بعد عام، ساعين بذلك إلى تركيز الخدمات على وجه الخصوص بحيث تخدم المجموعة الواحدة من خلال الإجراءات التالية [99]:

1. إيجاد التنافس بين المجموعات لتحسين الأداء من خلال مجموعات الخدمة الميدانية.
2. تفتيت المؤسسات إلى كيانات إقليمية بدل الكيانات ليقوم المجلس أو عدد من المجالس التنفيذية بخدمة حجاج من جنسية واحدة من خلال مطوفين بمكاتب مجموعات الخدمة الميدانية ممن يعرفون لغة وعادات وتقاليد حجاج تلك الدولة[100].
3. التحول عن فكرة تخصيص عضو مجلس الإدارة لخدمة أو مسئولية معينة حيث تبين عدم نجاحها بالدرجة المطلوبة وتنفيذ تجربة المجالس التنفيذية لما حققته من نجاح.
4. تتولى المجالس التنفيذية العمل الميداني الموسمي بينما تقوم المؤسسة الأم بالأعمال

الإدارية والمالية والإشراف والتخطيط والمتابعة[101].

5. صرف النظر عن تطبيق فكرة الوحدات التنفيذية بعد أن ثبت عدم جدواها وبذلك تكون الصلة مباشرة بين رئيس المجلس التنفيذي ومعاونيه ورؤساء مكاتب مجموعة الخدمة الميدانية.
6. إلغاء لجان المتابعة والمراقبة الذاتية في المؤسسات حيث ثبت أن هناك ازدواجية بين أعمالها وبين مهام أجهزة الرقابة والمتابعة بالوزارة، وأن تقتصر عمليات الرقابة والمتابعة على الفرق التي تشكلها الوزارة[102].

كما أنشئت الهيئة التنسيقية لأرباب الطوائف بالقرار الوزاري رقم (226/ق/م) في تاريخ 1408/9/25هـ الموافق 1987/8/30م بهدف تأصيل المسائل المشتركة في إطار موحد يضمن عدم وقوع أي تضارب في مناهج العمل الرئيسية بين مؤسسة وأخرى[103]، ثم صدر القرار الوزاري رقم (127/ق/م) وفي تاريخ 1414/1/19هـ الموافق 1993/11/12م بإعادة تشكيلها وتحديد اختصاصاتها في الآتي(104):

1. التنسيق بين كافة المؤسسات بهدف توحيد القواعد والإجراءات الكفيلة بتوفير أقصى قدر من الرعاية بضيوف الرحمن.
2. وضع القواعد المناسبة لضبط عملية إسكان الحجاج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي منى وعرفات بما يحقق مصالح الحجاج ووفقًا للتعليمات الصادرة من الدولة ومن وزارة الحج في هذا البيان.
3. اقتراح النماذج الموحدة للعقود على اختلافها[105].

وفي إطار الاهتمام بأرباب الطوائف أصدرت حكومة المملكة العربية السعودية القرار الوزاري رقم (52/ق/م) وفي تاريخ 1415/3/29هـ الموافق 1994/4/25م بتشكيل هيئة استشارية لشؤون الطوائف من كبار المنتمين للطوائف من أصحاب الرأي والمشورة[106].

وقد أدركت مؤسسات الطوافة أن المعيار الرئيسي لنجاحها وتحقيق التفوق هو رضا الحاج عن الخدمات التي تقدمها، ومن هذا المنطلق فإن تحقيق الفعالية المطلوبة يتطلب الأخذ بمفاهيم التقنية الحديثة فأدخلت نظم آلية لاستقبال الحجاج، ومتابعة إسكانهم ومتابعة أحوالهم في حالة مرض أحدهم أو وفاته[107]، بل وحتى نظم خاصة بمتابعة الحجاج التائهين في مكة المكرمة أو المشاعر المقدسة، وإصدار بطاقات التعريف للحجاج من واقع المعلومات المدونة بجوازات سفرهم، ونظم توزيع أراضي الحجاج بالمشاعر المقدسة[108].

وهكذا تطورت الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن في ظل رعاية ملوك المملكة العربية السعودية تطور ملحوظ في خلال سنوات عديدة، بل وما زالت في مجال التطور السريع، وكل ذلك عائدا لما قامت به الدولة من تنسيق وخدمات في مجال الطوافة ورعاية المطوفين وإعطائهم حقوقهم نظرًا لنظرتهم الثاقبة في مدى أهميتهم في تقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام.

الخاتمة

من خلال هذا العرض التاريخي لموضوع أنظمة الطوافة ومراحلها ومؤسساتها في العهد السعودي يتضح لنا عدد من النتائج والتوصيات التالية:

1. أن الطوافة مهنة قديمة عرفت من العصور الإسلامية الأولى هدفت إلى خدمة الحجيج وتسهيل أداء مناسكهم في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة.
2. إقرار عدة تنظيمات لأعمال الطوافة والمطوفين في العهد السعودي الزاهر الذي شهدت فيه مهنة الطوافة اهتمامًا واضحًا من ملوك المملكة العربية السعودية بداية من عهد المؤسس الملك عبد العزيز – يرحمه الله.
3. مرت الطوافة في عهد حكومة المملكة العربية السعودية بعدة مراحل تطويرية حتى وصلت إلى مآلت إليه من تقدم وازدهار وتطور في هذا العصر.
4. ظهور ما عرف بالمعلمانية حيث تم منحها لعدد من الأشخاص الذين عملوا في هذه المهنة لفترات طويلة وتم قفلها لفترة في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز – يرحمه الله – وفتحت مجددًا لتمنح لعددًا من الأشخاص الذين تنطبق عليهم الشروط.
5. انتقال مهنة الطوافة من العمل الفردي إلى العمل الجماعي وذلك بتحويلها إلى مؤسسات ليكون عمل الطوافة بأيدي قيادة جماعية تواكب الخدمات التي تقدمها الدولة من أجل رعاية الحجيج.
6. الاستمرار في التطوير الشامل لهذه المهنة لتحقيق الأداء الجيد والمتميز، وإنشاء مراكز تدريب للمطوفين ودورات تدريبية لتحقيق أرقى الخدمات لضيوف الرحمن.
7. تفتيت المؤسسات إلى كيانات إقليمية بدل الكيانات ليقوم المجلس أو عدد من المجالس التنفيذية بخدمة حجاج من جنسية واحدة من خلال مطوفين بمكاتب مجموعات الخدمة الميدانية.
8. إنشاء الهيئة التنسيقية لأرباب الطوائف بهدف تأصيل المسائل المشتركة في إطار موحد يضمن عدم وقوع أي تضارب في مناهج العمل الرئيسية بين مؤسسة وأخرى.
9. تكوين الهياكل الإدارية لمؤسسات الطوافة بحيث تتضمن التالي: رئيس مجلس الإدارة، ونائب الرئيس، ورؤساء المجالس التنفيذية كأعضاء، بالإضافة إلى عضوان أسند لهما إدارة المسؤوليات التنسيقية حسب مقتضيات العمل.
10. التحديث في مجال تقنية وميكنة الأعمال من أهم مظاهر التطور في مؤسسات الطوافة في عهد ملوك المملكة العربية السعودية بما يتوافق مع معطيات العصر الحديث.

أما أهم التوصيات:

1. العملْ على إيجاد مراكز خاصة للباحثين وطلبة العلم توفرها مؤسسات الطوافة لاطلاعهم

على أبرز المستجدات في مجال خدمة الحجيج.

2. تزويد المكتبات العامة بإبراز المؤلفات التي تتحدث عن النقلة الحضارية التي تشهدها المملكة العربية السعودية في الآونة الأخيرة أولاً بأول، وأبرز ما سوف ينزل فيها مستقبلاً.
3. توفير شبكة عنكبوتية خاصة عن المشاريع التي تنجزها مؤسسات الطوافة لخدمة ضيوف الرحمن ليقف عليها الباحثين وتعطيهم صورة لمستقبل تلك المؤسسات.
4. تأليف موسوعة شاملة عن مهنة الطوافة منذ ظهورها يشترك فيها المطوفون مع المختصون من أهل العلم لتبرز تاريخ المهنة ومراحل تطورها.
5. عقد ندوات ومؤتمرات يطلع فيها الباحثون على ما قدم من أبحاث في مجال مهنة الطوافة وما لم يتم عرضه ودراسته بعد لأعانتهم على إضافة بصمة جديدة على الموضوعات التي لم يتم طرقها.
6. توفير مجلدات خاصة عن كل مؤسسة طوافة سواء في المكتبات العامة أو المكتبات الخاصة بكل مؤسسة لاطلاع الباحثين عن أبرز المستجدات في كل مؤسسة طوافة.
7. التعاون من قبل الجهات المختصة بوزارة الحج ومؤسسات الطوافة والهيئة التنسيقية في مساعدة الباحثين في مثل هذه المجالات البحثية.
8. إنشاء مكتبات خاصة بكل مؤسسة كلاً على حدة يرتادها الباحثون وتشتمل على تاريخ كل مؤسسة وأهم أعضاءها عبر عصورها وأبرز إنجازاتها.

هذا والله الحمد والمنة،،،

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المؤلفة:

1. بوقس: عبد الله بن عبد المطلب، الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام،ط1(مكة المكرمة: وزارة الحج:د.ت).
2. حجازي، محمود،ملك وتاريخ(عهد الملك الفيصل بن عبد العزيز)، ج1، ط1 (جدة: دار الأصفهاني للطباعة، 1393هـ/ 1973م).
3. رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر، ط1(المدينة المنورة: د. ن، د. ت).
4. الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج2، ط1 (الرياض: مطابع الشروق، د. ت).
5. شكري، فؤاد محمد، أول تنظيم إداري للحج، ط2(القاهرة: د.ن، 1397هـ / 1973م).
6. الشهيل، عبد الله بن محمد، التطور التاريخي للدولة السعودية. د.ط (الرياض: النادي الأدبي، 1423هـ / 2003م).
7. العثمان، عبد الرحمن بن عبد العزيز، عبقرية التجربة السعودية، ط 1 (جدة: دار البيان العربي، 1419هـ 1993م).
8. عراقي، فيصل بن محمد، الطوافة والمطوفين، ط1(جدة: دار عكاظ، 1412هـ / 1992م).
9. العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت).
10. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ط1 (مكة المكرمة، د.ن، د.ت).
11. قزاز، حسن عبد الحي، الأمن الذي نعيشه، ط1 (مكة المكرمة: دار الباز، 1391هـ/1971م).
12. مبارك،عبد الله أحمد،مراحل تطوير خدمات الحجاج،ط2(جدة:مكتبة المريخ، د.ت).

ثانياً: الصحف والمجلات:

1. بوقس، عبد الله عبد المطلب، الطوافة والمطوفين بين الماضي والحاضر ودورها في خدمات الحج، مجلة الحج السنة الرابعة والخمسون – الجزء الثالث والرابع والخامس لعام 1419هـ/1999م.
2. جميل، وليد محمد أحمد، مرافق الحج وخدماته المدنية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون، الجزء الثالث والرابع والخامس لعام 1419هـ / 1999م.
3. السباعي، أحمد الاتصال الروحي بين المطوف والحجاج، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون – الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ / 1999م.
4. الشريف، محسن عبد الله، وزارة الحج تاريخ وتطور، ط1 (مكة المكرمة: مطبوعات وزارة

الحج، 1411هـ/1999م).
5. عنقاوي، فؤاد عبد الحميد، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، مجلة الحج، السنة الخامسة والخمسون، الجزء الحادي عشر والثاني عشر، جمادى الأولى والآخر 1416هـ - أغسطس سبتمبر 2000م.
6. قزاز، محمد صالح، تعريفة الحجاج أو رسوم الحجاج، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون – الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ / 1999م.
7. الطوافة قبل العهد السعودي، مجلة الحج في مائة عام، إصدارات وزارة الحج بمناسبة مئوية التأسيس، 1419هـ/1999م.
8. الطوافة في العهد السعودي، مجلة الحج في مائة عام، إصدارات وزارة الحج بمناسبة مئوية التأسيس، 1419هـ/1999م.
9. الكتاب السنوي لأعمال وزارة الحج، العدد السابع والثامن، مكة المكرمة، 1415هـ /1995م.
10. جريدة الحجاز، العدد الثاني، في 1340/12/9هـ الموافق 1921/12/12م.
11. جريدة أم القرى، العدد الأول في 1343/5/15هـ الموافق 1924/12/12م.

ثالثًا: الأبحاث والتقارير:

1. حامد، حسن، رعاية الحجيج في عهد الملك عبد العزيز، بحث مقدم من وزارة الحج والأوقاف إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، 1406هـ / 1987م.
2. التعليمات المنظمة لشؤون الحج، المملكة العربية السعودية، وزارة الحج، موسم حج عام 1410هـ / 1990م.
3. الخطة التشغيلية لأعمال وزارة الحج، العدد الرابع، 1404هـ/ 1385م.
4. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.
5. نظام المطوفين العام، المملكة العربية السعودية وزارة المالية والاقتصاد الوطني، د.ط (مكة المكرمة: مطبعة وزارة المالية بمكة المكمة، 1381هـ / 1961م).

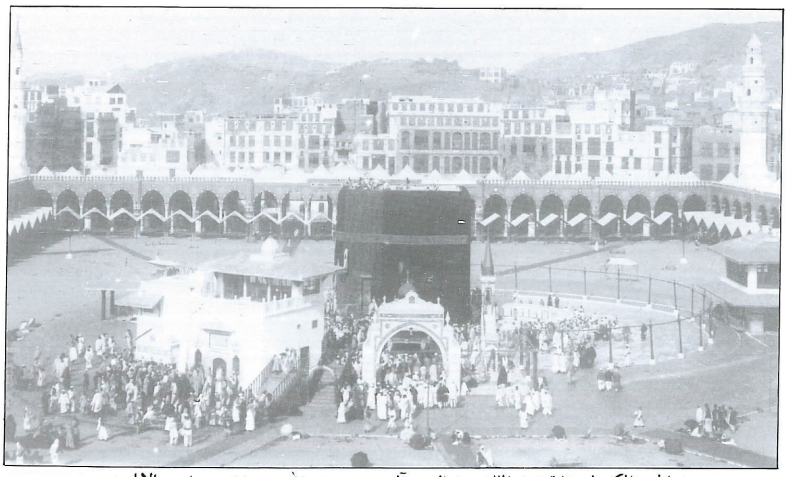

(الحرم المكي في بداية عهد الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله .. عناية به على مر الايام)

ملحق (1) (الحرم المكي في بداية عهد الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله.. عناية به على مر الأيام) من كتاب بوقس،

(الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام، ص 15

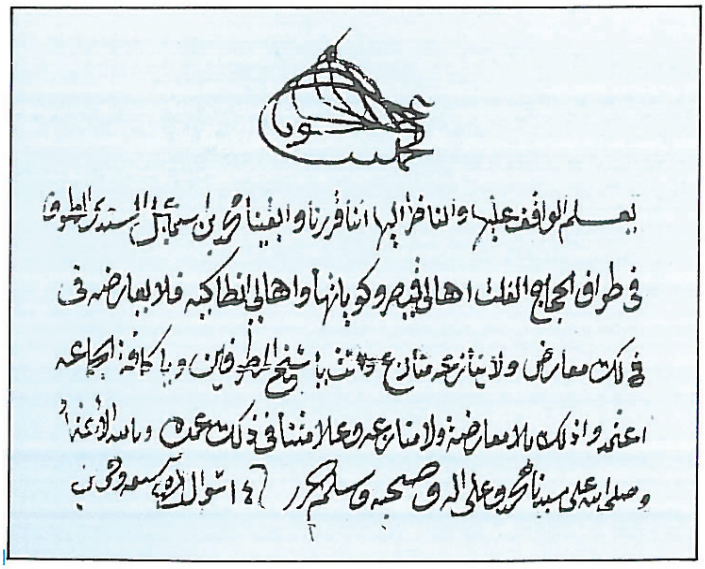

(وثيقة اختيار مطوف) .

ملحق (2)) (وثيقة اختيار مطوف). من كتاب عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 225.

(وثيقة تعيين مطوف رئيسا « شيخا » لمطوفي جاوة)

ملحق (3) (وثيقة تعيين مطوف رئيسًا « شيخًا » لمطوفي جاوة) من كتاب عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 27.

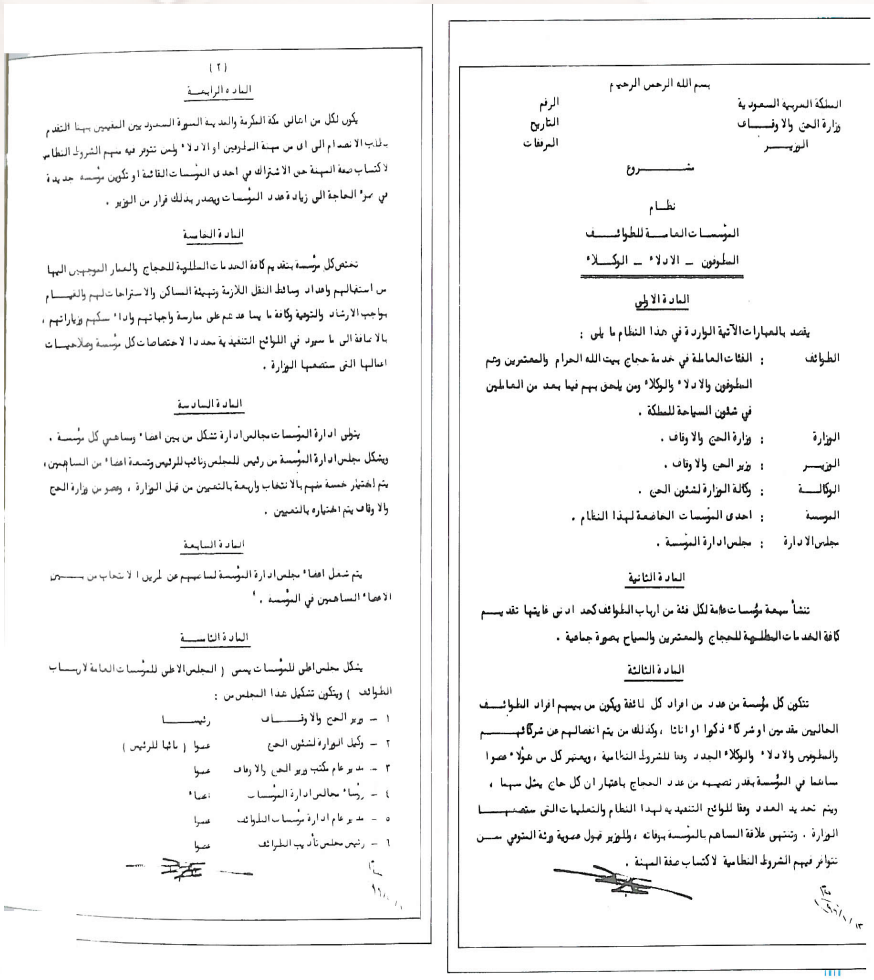

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الحج والاوقاف
الوزير

الرقم
التاريخ
المرفقات

مشروع

نظام
المؤسسات العامة للطوائف
المطوفين ـ الادلاء ـ الوكلاء

المادة الاولى

يقصد بالعبارات الآتية الواردة في هذا النظام ما يلي :

الطوائف : الفئات العاملة في خدمة حجاج بيت الله الحرام والمعتمرين وتضم المطوفين والادلاء والوكلاء ومن يلحق بهم فيما بعد من العاملين في شئون السياحة للمطلة .

الوزارة : وزارة الحج والاوقاف .

الوزير : وزير الحج والاوقاف .

الوكالة : وكالة الوزارة لشئون الحج .

المؤسسة : احدى المؤسسات الخاضعة لهذا النظام .

مجلس الادارة : مجلس ادارة المؤسسة .

المادة الثانية

تنشأ بمكة مؤسسات عامة لكل فئة من ارباب الطوائف كما هو الحال عليها تقديم كافة الخدمات المطلوبة للحجاج والمعتمرين والسياح بصورة جماعية .

المادة الثالثة

تتكون كل مؤسسة من عدد من افراد كل فئة ويكون من بينهم افراد الطوائف الحاليين مقدمين او شركاء ذكورا واناثا ، وكذلك من يتم انضمامهم من شركائهم والمطوفين والادلاء والوكلاء الجدد وفقا للشروط التالية ، ويعتبر كل من هؤلاء عضوا عاملا في المؤسسة بقدر نصيبه من عدد الحجاج باعتبار ان كل حاج يمثل سهما ، ويتم تحديد العدد وفقا للوائح التنفيذية لهذا النظام والتعليمات التي ستصدرها الوزارة . وتنتهي علاقة العضو العامل بالمؤسسة بوفاته ، وللوزير قبول عضوية ورثة المتوفي من تتوافر فيهم الشروط النظامية لاكتساب صفة المهنة .

(٢)

المادة الرابعة

يكون لكل من انتمى مكة المكرمة والمدينة المنورة من المقيمين بهما التقدم بطلب الانضمام الى اي من مهنة المطوفين او الادلاء وممن تتوفر فيه سائر الشروط النظامية لاكتساب صفة المهنة من الاشتراك في احدى المؤسسات القائمة او تكوين مؤسسة جديدة في حالة الحاجة الى زيادة عدد المؤسسات ويصدر بذلك قرار من الوزير .

المادة الخامسة

تختص كل مؤسسة بتقديم كافة الخدمات المطلوبة للحجاج والمعتمرين الموجهين اليها من استقبالهم واعداد وسائط النقل اللازمة وتهيئة المساكن والاستراحات لهم والقيام بواجب الارشاد والتوجيه وكافة ما يساعد على ممارسة واجباتهم وادائهم مناسكهم وزيارتهم ، بالاضافة الى ما سيرد في اللوائح التنفيذية بتحديد الاختصاصات كل مؤسسة وملاحقها اعمالها التي ستتصدى الوزارة .

المادة السادسة

يتولى ادارة المؤسسات مجالس ادارة تشكل من بين اعضاء وساهمي كل مؤسسة . ويتشكل مجلس ادارة المؤسسة من رئيس للمجلس ونائب للرئيس وستة اعضاء من الساهمين ، يتم اختيار خمسة منهم بالانتخاب وبرعاية بالتعيين من قبل الوزارة ، وعضو من وزارة الحج والاوقاف يتم اختياره بالتعيين .

المادة السابعة

يتم شغل اعضاء مجلس ادارة المؤسسة لما يمنعهم عن لمرين الانتخاب من بين الاعضاء الساهمين في المؤسسة .

المادة الثامنة

يشكل مجلس اعلى للمؤسسات يسمى (المجلس الاعلى للمؤسسات العامة لارباب الطوائف) ويتكون تشكيل هذا المجلس من :

١ ـ وزير الحج والاوقاف رئيسا
٢ ـ وكيل الوزارة لشئون الحج عضوا (نائبا للرئيس)
٣ ـ مدير عام مكتب وزير الحج والاوقاف عضوا
٤ ـ رؤساء مجالس ادارة المؤسسات اعضاء
٥ ـ مدير عام ادارة مؤسسات الطوائف عضوا
٦ ـ رئيس مجلس تأديب الطوائف عضوا

ملحق (4) بعض وثائق مؤسسات الطوافة من كتاب عنقاوي مكة الحج والطوافة، ص 75.

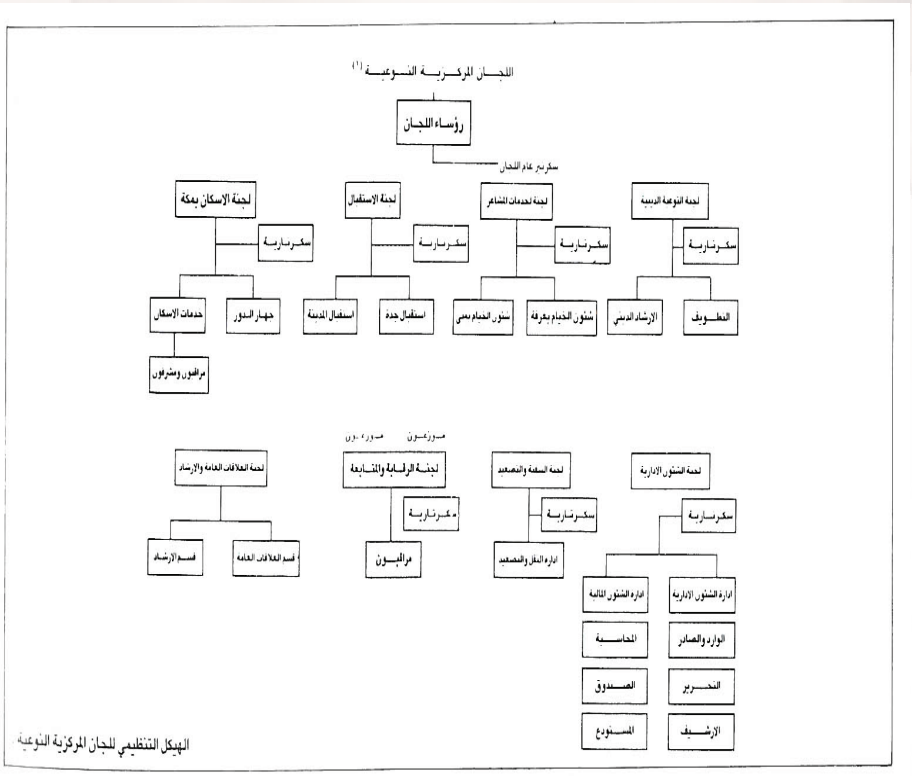

(١) اللائحة التنفيذية لمؤسسات الطوائف الجزء الثاني الأستاذ عبد الله عبد المطلب بوقس وكيل وزارة الحج والأوقاف لشؤون الحج ص ٣

ملحق (6) اللائحة التنفيذية لمؤسسات الطوائف من كتاب بوقس، الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام، ص 23.

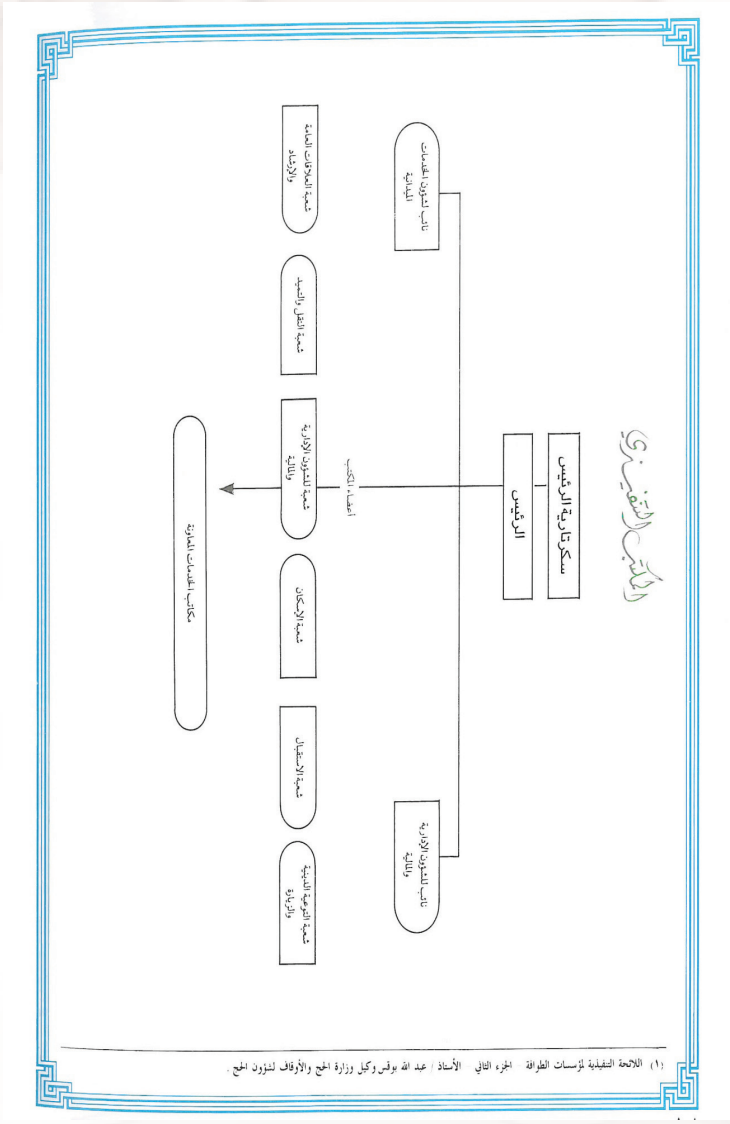

ملحق (7) اللائحة التنفذية لمؤسسات الطوافة من كتاب مبارك، مراحل تطوير خدمات الحجاج، ص 12.

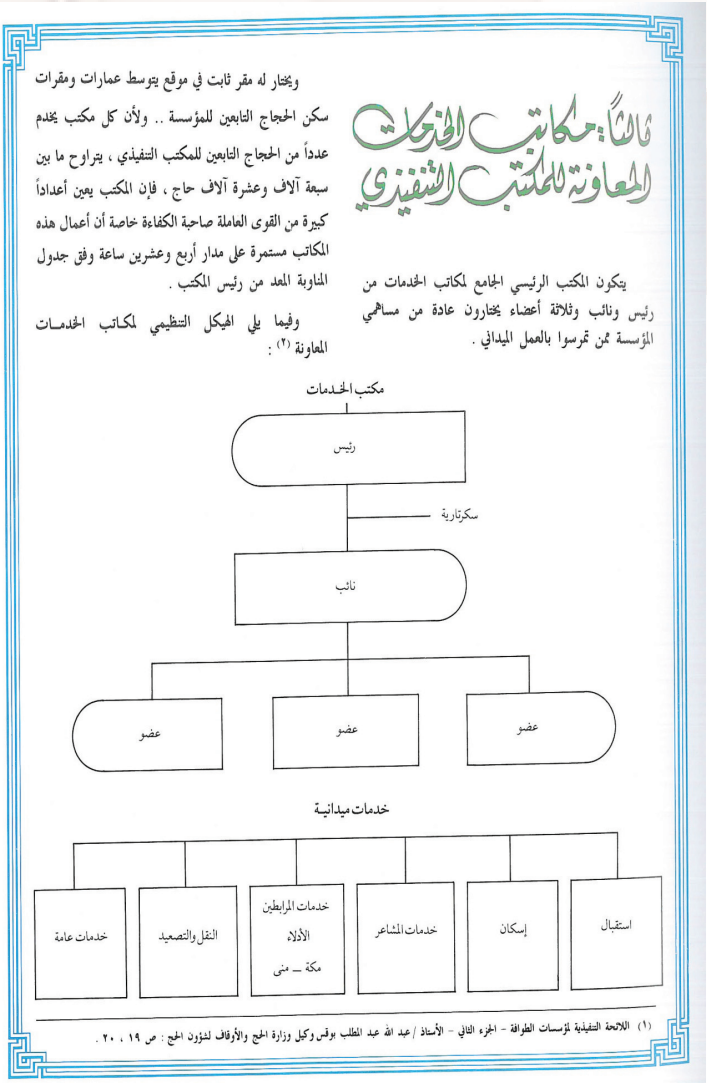

ثالثاً: مكاتب المخدمات المعاونة للمكتب التنفيذي

يتكون المكتب الرئيسي الجامع لمكاتب الخدمات من رئيس ونائب وثلاثة أعضاء يختارون عادة من مساهمي المؤسسة ممن تمرسوا بالعمل الميداني .

ويختار له مقر ثابت في موقع يتوسط عمارات ومقرات سكن الحجاج التابعين للمؤسسة .. ولأن كل مكتب يخدم عدداً من الحجاج التابعين للمكتب التنفيذي ، يتراوح ما بين سبعة آلاف وعشرة آلاف حاج ، فإن المكتب يعين أعداداً كبيرة من القوى العاملة صاحبة الكفاءة خاصة أن أعمال هذه المكاتب مستمرة على مدار أربع وعشرين ساعة وفق جدول المناوبة المعد من رئيس المكتب .

وفيما يلي الهيكل التنظيمي لمكاتب الخدمات المعاونة [٢] :

(١) اللائحة التنفيذية لمؤسسات الطوافة - الجزء الثاني - الأستاذ / عبد الله عبد المطلب بوقس وكيل وزارة الحج والأوقاف لشؤون الحج : ص ١٩ ، ٢٠ .

ملحق (8) اللائحة التنسيقية لمؤسسات الطوافة، من كتاب بوقس الطوافة والمطوفين، ص 20.

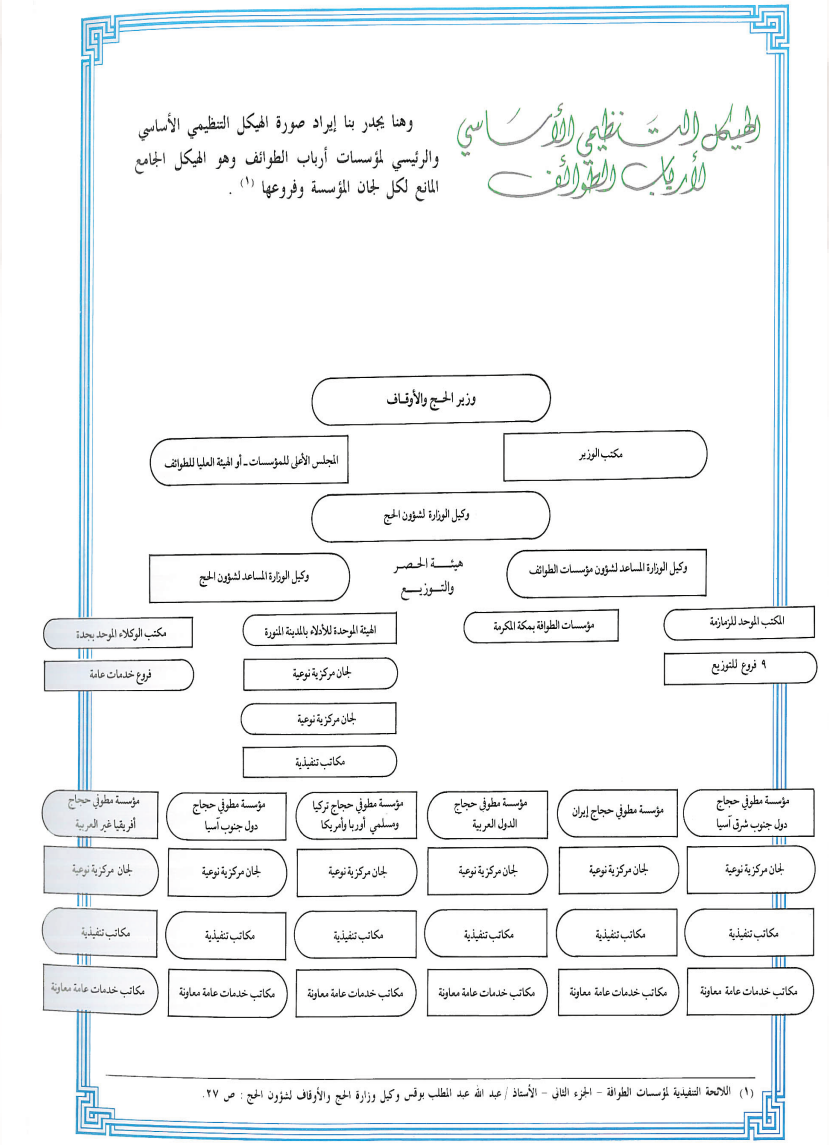

ملحق (9) اللائحة التنفيذية لمؤسسات الطوافة من مجلة الشريف، وزارة الحج، تاريخ وتطور، ص 15.

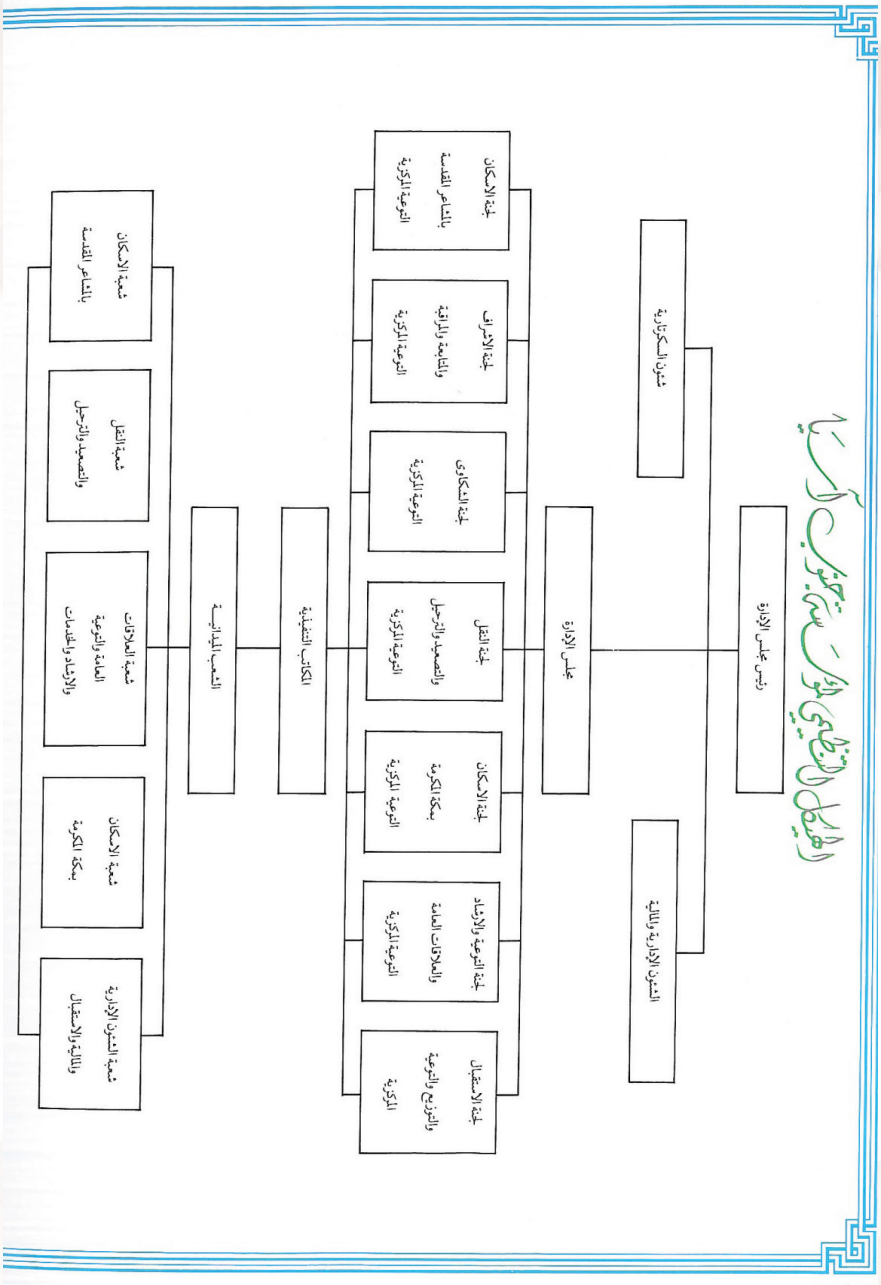

ملحق (10) اللائحة التنفيذية لمؤسسات الطوافة من مجلة بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 25.

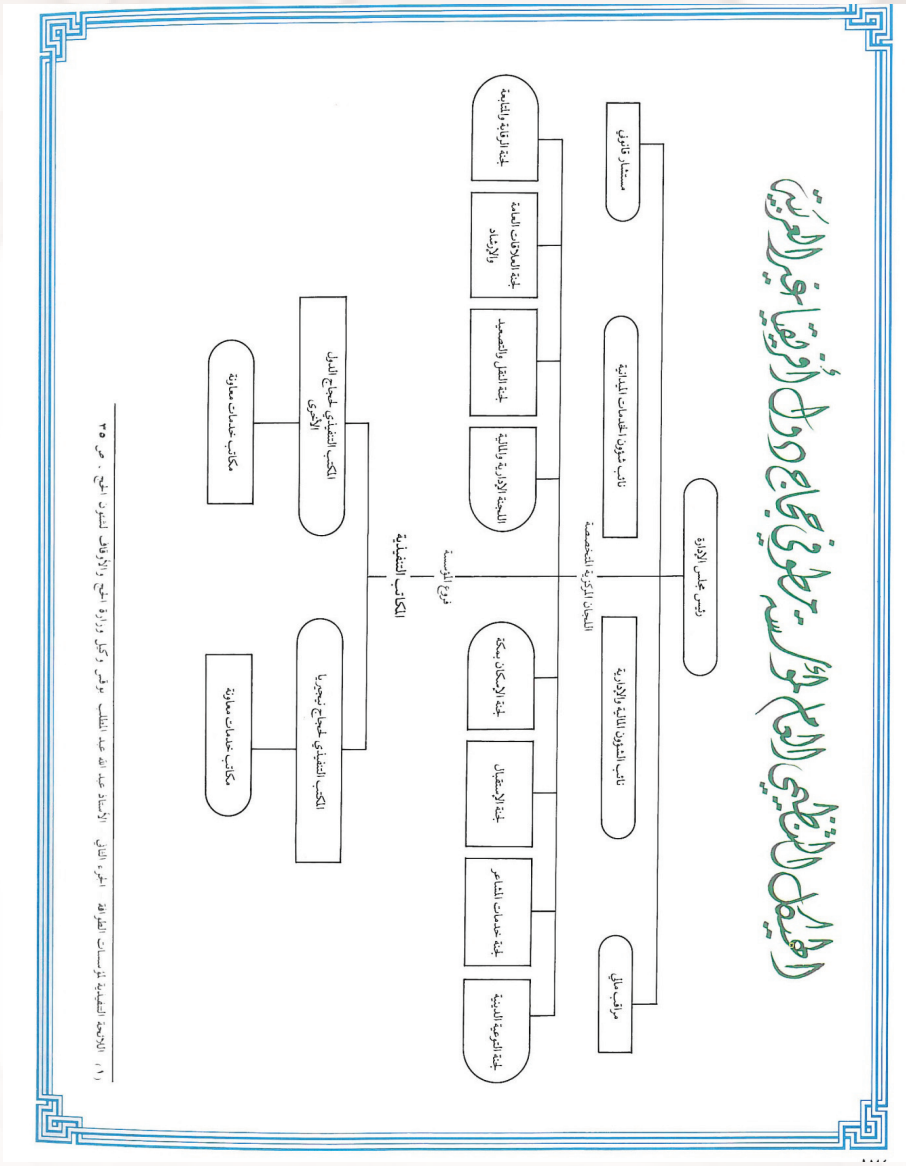

(١١) اللائحة التنظيمية لمؤسسات الطوافة - الجزء الثاني - الأستاذ عبد الله عبد الله الطلب - بوقس وكيل وزارة الحج والأوقاف لشؤون الحج . ص ٣٥

ملحق رقم (11) الهيكل التنظيمي العام لمؤسسة مطوفي حجاج دول أفريقيا غير العربية من مجلة بوقس، الطوافة والمطوفين. ص 26.

المؤسسة الأهلية التجريبية لمطوفي حجاج ايران المركز الرئيسي بمكة المكرمة

ملحق (12) المؤسسة الأهلية التجريبية لمطوفي حجاج إيران المركز الرئيسي بمكة تصوير الباحثة.

الهوامش (Endnotes)

1. الطوافة: هي عبارة عن وظائف معينة يؤديها كل مطوف ثبتت معلمانيته بمقتضى تعليماتها المخصوصة، وهو دليل الحاج في مناسكه وجميع ما يتعلق بالحج وهو المسؤول عنه ضمن اختصاصه بموجب هذا النظام.انظر:نظام المطوفين العام، المملكة العربية السعودية وزارة المالية والاقتصاد الوطني، (مكة المكرمة:مطبعة وزارة المالية بمكة المكرمة، 1381هـ/1961م)، ص 13.
2. محمد عمر رفيع، مكة في القرن الرابع عشر، ط1 (المدينة المنورة: د.ن، د.ت) ص 167.
3. عبد الله عبد المطلب بوقس: الطوافة والمطوفين بين الماضي والحاضر ودورها في خدمات الحجاج، مجلة الحج السنة الرابعة والخمسون-الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ / 1999م، ص 52 – 53.
4. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 296.
5. عبد الله عبد المطلب بوقس،الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام، ط1 (مكة المكرمة:

وزارة الحج، د.ت) ص 204.

6. انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ط1 (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت)، ص 778.
7. أحمد السباعي، الاتصال الروحي بين المطوف والحجاج، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون، الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ / 1999م، ص 91 – 92.
8. محمد صالح قزاز، تعريفه الحجاج أو رسوم الحجاج، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون – الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ /1999م، ص 94 – 95.
9. المطوف: هو دليل الحاج في مناسكه وجميع ما يتعلق بالحج، وهو المسؤول عنه. له مكانته الاجتماعية وحصانته التي اكتسبها من عمله ومايؤديه من خدمات جليلة للحاج. انظر: نظام المطوفين العام،ص7.
10. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 299.
11. قزاز، تعريفة الحجاج، ص 96.
12. بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 53 – 54.
13. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 289.
14. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولد في الرياض عام 1293هـ / 1876م، نشأ في كنف والده، وتعلم القراءة والكتابة ودرس القرآن الكريم، وأصول العقيدة الإسلامية. واكتسب مهارات عدة منذ سن مبكرة مكنته بعد ذلك من ضم مناطق المملكة وتوحيدها تحت زعامة ملك واحد. توفي في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول عام 1373هـ/1953م في مدينة الطائف، ونقل جثمانه إلى الرياض حيث دفن في مقبرة العود الملكية. انظر: عبد الله بن محمد الشهيل، التطور التاريخي للدولة السعودية، د.ط (الرياض: النادي الأدبي، 1423هـ/2003م) ص 105 وعبد الرحمن بن عبد العزيز العثمان، عبقرية التجربة السعودية، ط1 (جدة: دار البيان العربي، 1419هـ / 1993م)، ص 279.
15. المعلمانية أي المعلم الذي توافرت فيه شروط المعلمة. انظر: نظام المطوفين العام، ص 17 18-.
16. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 317.
17. السباعي، الاتصال الروحي بين المطوف والحجاج، ص 92 – 93.
18. بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 53 54-.
19. الطوافة قبل العهد السعودي، مجلة الحج في مائة عام، إصدارات وزارة الحج بمناسبة مئوية التأسيس، 1419هـ/1999م، ص 44 – 45.

20. فؤاد عبد الحميد عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، مجلة الحج، السنة الخامسة والخمسون، الجزء الحادي عشر والثاني عشر، جماد الأولى والآخرة 1426هـ-أغسطس وسبتمبر2000م،ص21– 22.
21. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 276.
22. رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص 167 – 168.
23. الفرمان: هو الوثيقة الخطية التي ينعم بها الحاكم الشخص المفوض في توجيه أو تسيير أمرًا من الأمور. انظر: نظام المطوفين العام)، ص 2.
24. التقارير: هي المنح والتعليمات الخطية التي تصدر من ولاة الأمر، كل وحسب منطوقها الذي صدرت به لشخص أو أشخاص، أو هي الوثائق والمستندات النظامية التي يعتمد عليها في توجيه التخصيص حسب الأقاليم والبلدان ومايتبعها من قرى وفقًا لأحكامها المخصوصة التي عينها نظام المطوفين. انظر: نظام المطوفين العام،ص 3.
25. فزاز، تعريفة الحجاج أو رسوم الحج، 95 – 96.
26. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 24 – 25.
27. فؤاد عبد الحميد عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ط1(مكة المكرمة: د.ن، د.ت)، ص274 – 276.
28. الطوافة قبل العهد السعودي، ص 46.
29. بوقس، الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام، ص 204 – 205.
30. الطوافة قبل العهد السعودي، ص 46.
31. رفيع، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص 168 – 169.
32. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 25 – 26.
33. جريدة الحجاز، العدد الثاني، في 1340/12/9هـ الموافق 1921/12/12م، ص 7.
34. قزاز، تعريفة الحجاج أو رسوم الحج، ص 95 – 96.
35. بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 54 – 55.
36. الطوافة في العهد السعودي، مجلة الحج في مائة عام، إصدارات وزارة الحج بمناسبة مئوية التأسيس، 1419هـ / 1999م، ص 47.
37. جريدة أم القرى، العدد الأول في 1343/5/15هـ الموافق 1924/12/12م، ص 5.
38. نظام المطوفين العام، ص 9 – 10.
39. حسن حامد، رعاية الحجيج في عهد الملك عبد العزيز، بحث مقدم من وزارة الحج والأوقاف إلى المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، 1406هـ / 1987م، ص 15 – 17.
40. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 334.

41. وليد محمد أحمد جميل، مرافق الحج وخدماته المدنية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الحج، السنة الرابعة والخمسون، الجزء الثالث والرابع والخامس، لعام 1419هـ / 1999م، ص 110-111.
42. الطوافة في العهد السعودي، ص 48 – 49.
43. خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج2، ط1(الرياض: مطابع الشروق، د.ت)، ص 572 – 573.
44. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 26 – 28.
45. نظام المطوفين العام، ص 6 – 7.
46. بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 54 – 55.
47. نظام المطوفين العام، ص 7 – 8.
48. جميل، مرافق الحج وخدماته المدنية في عهد الملك عبد العزيز، ص 111 – 113.
49. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، ص10–12.
50. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 22 – 23.
51. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، ص 12 – 13.
52. السباعي، الاتصال الروحي بين المطوف والحجاج، ص 93.
53. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 317 – 319.
54. الطوافة في العهد السعودي، ص 49 – 51.
55. نظام المطوفين العام، ص 7 – 9.
56. الطوافة في العهد السعودي، ص 50.
57. الصبي: هو الفتي الذي يكون في خدمة المطوف وهو في سن العاشرة وما فوق فيكبر ويتمرس في مهنة الطوافة. انظر: نظام المطوفين العام. ص 17.
58. نظام المطوفين العام، ص 15 – 16.
59. جميل، مرافق الحج وخدماته المدنية في عهد الملك عبد العزيز، ص 111 – 112.
60. حسن عبد الحي قزاز، الأمن الذي تعيشه، ط1 (مكة المكرمة:دار الباز، 1391هـ / 1971م)، ص 287.
61. نظام المطوفين العام، ص 12 – 15.
62. عنقاوي، مكة والحج والطوافة، ص 334.
63. فؤاد محمد شكري،أول تنظيم إداري للحج، ط2(القاهرة: د.ن،1397هـ / 1977م)، ص 112– 114.

64. نظام المطوفين العام ص 15 – 16.
65. الطوافة في العهد السعودي، ص 50 – 52.
66. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 335 – 337.
67. فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. ولد أثر انتصار والده على خصمه ابن الرشيد في معركة روضة مهنا في عام 1324هـ / 1906م، وتربى في بيت علم ودين عند جده لأمه، وشارك والده في الكثير من معارك النضال منذ أن بلغ من العمر الثالثة عشر سواء في الميدان السياسي أو العسكري أو البناء الاجتماعي والتنظيمي. تولى العديد من المناصب في عهد والده ثم أخوه الملك سعود بن عبد العزيز. وقد مارس أمور الدولة في عهد أخيه الملك سعود في فترة علاجه بالخارج ثم ولي الملك بعد تنازله عنه، وظل في إرساء قواعد البناء والاستقرار حتى استشهد في عام 1395هـ / 1975م. انظر: محمود حجازي، ملك وتاريخ (عهد الملك الفيصل بن عبد العزيز)، ج1، ط1 (جدة: دار الأصفهاني للطباعة، 1393هـ / 1973م)، ص 21 – 22.
68. عبد الله أحمد مبارك، مراحل تطوير خدمات الحجاج، ط2، (جدة:مكتبة المريخ، د.ت)، ص 29– 30.
69. الطوافة في العهد السعودي، 59.
70. 7عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 31 – 32.
71. نظام المطوفين العام، ص 15 – 16.
72. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 400 – 403.
73. فيصل بن محمد عراقي، الطوافة والمطوفين، ط1 (جدة: دار عكاظ، 1412هـ/ 1992م) ص 46 – 47.
74. الكتاب السنوي لأعمال وزارة الحج،العدد السابع والثامن،مكة المكرمة 1415هـ/ 1995م)،ص16– 18.
75. الطوافة في العهد السعودي، ص 53 – 55.
76. شكري، أول تنظيم إداري للحج، ص 116 – 118.
77. عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 50 – 54.
78. الخطة التشغيلية لأعمال وزارة الحج، العدد الرابع، 1404هـ/ 1385م)، ص 17 18-.
79. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 403 – 405.
80. التعليمات المنظمة لشؤون الحج، المملكة السعودية، وزارة الحج، موسم حج عام1410هـ / 1990م،ص56 – 58.
81. الطوافة في العهد السعودي، ص 55 – 56.

82. نظام المطوفين العام، ص 15 – 17.
83. سورة التوبة آية (105).
84. عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 60 – 62.
85. التعليمات المنظمة لشؤون الحج، ص 19 – 20.
86. الطوافة في العهد السعودي، ص 55 – 57.
87. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 29 – 30.
88. الكتاب السنوي لأعمال وزارة الحج، ص 20 – 22.
89. محسن عبد الله الشريف، وزارة الحج تاريخ وتطور، ط1 (مكة المكرمة: مطبوعات وزارة الحج، 1411 هـ / 1991م)، ص 77 – 78.
90. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 26 – 27.
91. التعليمات المنظمة لشؤون الحج، ص 42 – 43.
92. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 27 – 28.
93. عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 47 – 48.
94. بوقس، الطوافة والمطوفين، ص 53 – 54.
95. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 404 – 405.
96. الطوافة في العهد السعودي، ص 75 – 77.
97. عراقي، الطوافة والمطوفين، ص 66 – 68.
98. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، ص 52 – 53.
99. نظام المطوفين العام، ص 17.
100. مبارك، مراحل تطوير خدمات الحجاج، ص 39 – 41.
101. عنقاوي، مكة الحج والطوافة، ص 405 – 406.
102. الشريف، وزارة الحج تاريخ وتطور، ص 79 – 80.
103. نظام المطوفين العام، ص 18 – 19.
104. التعليمات المنظمة لشؤون الحج، ص 29 – 30.
105. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، ص 55.
106. الهيئة التنسيقية لمؤسسات أرباب الطوائف، ص 55 – 57.
107. الطوافة في العهد السعودي، ص 58 – 59.
108. عنقاوي، الحج بين الماضي والحاضر والمستقبل، ص 27 – 28.

التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الخليفة عبد الله وأثرها في سقوط الدولة المهدية (1885-1898م)

نبيل رابح آدم سعيد

أ. مساعد - قسم الجغرافيا والتاريخ - كلية التربية - جامعة كسلا

مستخلص

توفي الإمام محمد أحمد مؤسس وقائد الثورة المهدية في العام (1885م) بعد ستة أشهر فقط من تحرير الخرطوم تاركاً دولته الناشئة للخليفة عبد الله التعايشي الذي كان عليه أن يواصل ما بدأه المهدي من بناء دولته الجديدة بالسودان، وفي سبيل ذلك واجهته العديد من التحديات الداخلية والخارجية ومنها التحديات السياسية والعسكرية.. تأتي هذه الدراسة بعنوان التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت الخليفة عبد الله وأثرها في سقوط الدولة المهدية (1885-1898م)، وتهدف إلى إبراز الشخصية القيادية للخليفة عبدالله التعايشي، والتعرف على دولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، والوقوف على التحديات التي واجهته بعد توليه قيادة الدولة المهدية، والوقوف على قيمة التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهدية.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من واقع أنها تتناول جانباً حاسماً ومهماً في واحدة من أهم فترات الحكم الوطني في التاريخ السوداني، وهي التحديات السياسية والعسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي ودور تلك التحديات في التعجيل بنهاية الدولة المهدية.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة مباحث حيث يتناول المبحث الأول تاريخ الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي، بينما يتناول المبحث الثاني التحديات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، أما المبحث الثالث فيتناول التحديات العسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، وأخيراً المبحث الرابع ويتناول دور التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهدية، ثم تأتي الخاتمة وبعدها النتائج والتوصيات.

وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للحقائق التاريخية وتوصلت إلى عدد من النتائج أهمها أن الخليفة عبدالله التعايشي سعى جاهداً لاستكمال مشروع الدولة السودانية الحديثة التي بدأها محمد أحمد المهدي، وأن ثمة تحديات سياسية وعسكرية واجهته وكانت وراء النهاية المبكرة للدولة المهدية، لتأتي توصيات الدراسة بضرورة الوقوف على أهم العوامل التي كانت وراء تلك التحديات للاستفادة منها في مستقبل الحكومات.

Abstract

Imam Muhammad Ahmad, founder and leader of the Mahdist Revolution, died in the year (1885 AD), just six months after the liberation of Khartoum, leaving his emerging country to Caliph Abdullah Al-Taishi, who had to start what he was tasked with building his new state in Sudan, and for that he faced many internal and external challenges. And that political and military challeng.. This study comes under the title of political and military challenges that faced Caliph Abdullah and its impact on the fall of the Mahdia state (18851898- AD), and aims to highlight the leadership figure of Caliph Abdullah Al-Taishi, and to identify the state of Mahdia during the era of Caliph Abdullah Al-Taishi, and stand On the challenges that he faced after assuming the leadership of the Mahdia state, and understanding the value of political and military challenges in expediting the end of the Mahdia state.

The importance of this study comes from the fact that it deals with a critical and important aspect in one of the most important periods of national rule in Sudanese history, which are the political and military challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi and the role of these challenges in accelerating the end of the Mahdist state.

This study has been divided into four sections. The first topic deals with the history of the Mahdi state during the reign of Caliph Abdullah Al-Taishi, while the second topic deals with the political challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi, while the third topic deals with the military challenges that faced the rule of Caliph Abdullah Al-Taishi, and finally The fourth topic deals with the role of political and military challenges in expediting the end of the Mahdist state, then the conclusion comes and then the results and recommendations.

This study has followed the descriptive analytical historical approach to historical facts and reached a number of results, the most important of which is that Caliph Abdullah Al-Taishi sought to complete the project of the modern Sudanese state initiated by Muhammad Ahmed Al-Mahdi, and that there are political and military challenges that he faced and were behind the early end of the Mahdia state, the recommendations of the study should come Finding out the most important factors behind these challenges in order to benefit from them in the future of governments.

تقديم:

يعد الخليفة عبدالله التعايشي أحد الحكام السودانيين الذين واجهت فترات حكمهم إنتقادات لاذعة من قبل الباحثين سواء الأقدمين منهم أو المعاصرين، إلا أن تلك الإنتقادات لم تأت من فراغ فقد كانت هنالك العديد من المشكلات والتحديات التي صاحبت هذه الدولة طوال عهدها الأمر الذي حال دون أن تتمكن من تحقيق أهدافها وبرامجها على الوجه المطلوب مما كان له الأثر في حدوث العديد من الإخفاقات في شتى المجالات لا سيما السياسية

والعسكرية، فدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي لم تجد السند المحلي والإقليمي اللذان يؤهلانها للقيام بدورها وبالتالي فإن غياب ذلكم السند والدعم أدخلها في صراعات سياسية وعسكرية كانت في غنى عنها وهي ظروف بالطبع عجلت بنهايتها.

فإذا كانت الأقدار قد ساقت الخليفة عبدالله التعايشي ليكون رجل الدولة المهدية الأول بعد وفاة قائدها ومؤسسها محمد أحمد المهدي، فإن ذات الأقدار قد وضعته أمام ظروف بالغة التعقيد وكانت قاصمة الظهر له ولدولته، والتي من أهمها على الإطلاق ثورات الأشراف التي أنهكت قوى الدولة المهدية وصرفت قائدها عن مشروعه الأساسي الذي كان منوط به الإعتناء به وهو إستكمال بناء دولة الإسلام في السودان، هذا إلى جانب الأعمال العسكرية المرهقة التي فرضتها نفس تلك الثورات، كما فرضتها ظروف أخرى لا تقل أهمية طالما أن التوسع الخارجي من بين أهم أجندة الدولة فكانت الحرب ضد الحبشة والحرب ضد مصر كلها تحديات ألقت بظلالها على ما آلت اليه الأمور في الدولة المهدية.

أ/ تاريخ الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي:

لقد أثار إعلان المهدية مجتمع الفقراء والعلماء في السودان إثارةً واسعة، وعلى ما يذكر نعوم شقير فإن أغلبهم رد على محررات المهدي مؤيداً ومعضداً، وإن القليل منهم كان معارضاً، وعلى ما يذكر فإن محمد سعيد باشا مدير كردفان وقف على هذه المحررات عندما جاء إلى الجزيرة أبا بعد خروج المهدي منها، وأنه أحرقها، والقول بتأييد الغالبية من العلماء والفقراء لدعوة المهدي يمكن أن يفهم في إطار معارضة هذه الشريحة المهمة من المجتمع السوداني للإدارة المصرية التركية، وكرههم لسلوك الحكام وظلمهم، وتطلعهم لإقامة حكم إسلامي عادل قائم على الشرع الإسلامي، أما معارضة القلة، فكانت حول إستيفاء محمد أحمد لشروط المهدية، وحيرتهم بين تصديقه وتكذيبه[1].

وكيفما كان فقد توفي محمد أحمد المهدي في الثاني والعشرون من يونيو للعام 1885م، أي بعد مرور ستة أشهر فقط من تحرير الخرطوم، في وقت كانت الدولة أحوج ما تكون له على اعتبار شخصيته، أما الخليفة عبد الله التعايشي فقد توفرت لديه أفضل الأسباب لخلافة الإمام المهدي، حيث كان تعيينه كخليفة الصديق يعني أن يخلف المهدي كما خلف أبوبكر الصديق النبي[2].

وبعد وفاة المهدي مباشرةً إجتمعت القيادات في المهدية لاختيار خليفة له، وكان على رأس المجتمعين الخلفاء الثلاثة والفكي الدرديري وأحمد شرفي الملقب بجد الأشراف وأظهر الأشراف رغبتهم في السلطة وأن يكون الخليفة شريف حامد ابن عم المهدي هو من يخلف المهدي، وعارضهم بقية الحضور وثار الجدل بين الفريقين بينما بقي التعايشي صامتاً، حتى حسم الفكي الدرديري الموقف عندما نهض وبايع الخليفة عبد الله ثم تبعه على ود حلو وأحمد شرفي ثم

خرج الخليفة إلى المسجد واعتلى المنبر وظل يتلقى البيعة حتى منتصف الليل، وأرسل العديد من الخطابات إلى انحاء البلاد يعلن فيها وفاة المهدي وخلافته له، بينما طلب من العمال أخذ البيعة[3].

إذن من خلال هذا الاجتماع الذي انتهى بتنصيب التعايشي خليفة للمهدي يتضح بجلاء أن المهمة التي تنتظره لن تكون سهلة فقد ظهرت بوادر التنافس على السلطة منذ الوهلة الأولى بعد وفاة المهدي، وهي مسألة سوف تلقي بظلالها على سلوك الحاكم والمحكومين فيما بعد، وسوف تكون لها دورها في زيادة العبء على الدولة فضلاً عن أعباءها التي تنتظرها والتي من بينها وأهمها على الإطلاق ضرورة الإستمرار.

لقد حاول التعايشي أن يضفي لسلطته الجديدة صبغة دينية شرعية وذلك عندما أعلن أنه هو أيضاً جاءته حضرة نبوية تنصبه خليفة للمهدي، وتم توزيعها على نطاق واسع في منشور عرف باسم منشور الشعرة، ذكر فيه التعايش أن الحضرة جاءته عن الخضر وليس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مباشرة، وذلك حتى لا يضع نفسه في مكانة المهدي، وقال الخضر في الحضرة أن الله أخبر جبريل وأن جبريل أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الرسول أخبر المهدي وأن المهدي أخبر الخضر أن الله يقرئ الخليفة السلام وأنه أعطاه الهداية، ويتحدث المنشور عن شعرة المهدي التي فيها السر الإلهي والتي ظل يحتفظ بها أحمد سليمان أمين بيت المال ثم سلمها الخليفة الذي قام بابتلاعها فحل فيه ذلك السر، وبهذا أكد الخليفة الأساس الديني لمكانته ولكن ذلك التأكيد لم يكن كافياً لأن أسباب الصراع ما زالت قائمة4.

بعض ملامح الإدارة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي:

نتيجة للظروف الخاصة التي واجهتها الدولة المهدية نشأ تقسيم إداري بمسميات خاصة بالدولة المهدية والتي تمثلت في:

1. عمالات حربية تمثلت في عمالات دنقلا وكردفان ودارفور والقضارف وهذه العمالات حملت قلب المهدية من الجنود وكان أمراؤها أفراد حربيين، كما كان لها أمناء لبيت المال من المديريات لإعاشة أفراد الجيش المحليين[5].
2. عمالات إقليمية (حضرية) وتتكون من المناطق النيلية والقريبة وهي جميعها متصلة بأمناء المال بأم درمان وليس لها جيوش مستقلة[6].

في عهد التعايشي تولى منصب بيت المال كل من النور إبراهيم الجريفاوي وعوض المرضي، وكان هنالك كتبة حسابات من الأجانب وبخاصة من المصريين الأقباط، وقد شهد إقتصاد البلاد في عهد التعايشي ضموراً وإنكماشاً في نموه فتدهورت الزراعة وقلت المحصولات، بينما لم تحظ التجارة بالقدر الكافي من الحماية رغم إستمرارها بواسطة التجار الأجانب الذين كانت لهم القدرة على حماية أنفسهم وأموالهم، حيث نشطت تجارة المواد المهربة والتي

تشمل السلع المحرمة والمحظور تداولها مثل الخمر والحشيش والأفيون، أما الموارد المالية للدولة فكانت تتكون من الضرائب والزكاة والعشور، إلى جانب الأموال التي يتم مصادرتها من المجرمين والمهربين وأموال الغرامات التي تفرضها الدولة على شاربي الخمر ومرتكبي المخالفات عموماً[7].

في عهد الخليفة عبد الله التعايشي أُعيد تنظيم النظام القضائي بعد فقدان الأشراف لوضعهم المميز، حيث نشأ من جراء ذلك منصب قاضي الإسلام الذي تولى أمره أحمد علي، وجاء تعيين سليمان الحجاز وكيلاً لقاضي الإسلام، الذي كان من أهم إختصاصاته القيام بأعمال التقاضي العادي كمحكمة محلية، كما ينظر في القضايا التي تحول له من الخليفة عبد الله التعايشي، وفي عام 1894م عزل الخليفة قاضي الإسلام أحمد علي وعين بدلاً عنه حسين الزهراء، ثم اختلف معه التعايشي فعزله وعين مكانه عبد القادر ود أم مريوم بعد أن فقد هذا المنصب أهميته ومكانته وذلك نظراً لأنه أصبح محفوفاً بالمخاطر[8].

انه لمن الممكن أن يقال إن كل هذه الممارسات التي إتصلت بالإدارة والإقتصاد والقضاء هي بداية نظم لدولة ناشئة كان يمكن أن تتطور وتتحسن لو أنها وجدت الجو المناسب للتطور والذي كان من الممكن أن يتأتى بتضافر جهود قادتها وأمراءها الذين أرادوا لها غير ذلك عندما اختاروا الصراع على السلطة طريقاً للوصول إلى غاياتهم وآمالهم، فكان أن حدث ما لا يحمد عقباه وهو النهاية المبكرة لتلك النظم الإدارية والإقتصادية والقضائية وبالتالي نهاية الدولة.

لقد كان الخليفة عبدالله التعايشي يعلم تماماً حقيقة التنافس الشديد الذي ينتظره من معارضيه على السلطة لذلك عمد على إتباع مجموعة من الإجراءات التي من شأنها أن تحافظ على سلطته حيث إصطفى أخاه الأمير يعقوب وأصبح له نفس المركز الذي كان يحتله الخليفة من المهدي، فأصبح يعقوب القوة التي وراء العرش، فهو المشرف على الجيش يعين قواده ويمده بالزاد والمعدات الحربية، وهو وزير الداخلية من حيث عمال الأقاليم يوفق بينهم وبين رعاياهم لو اختلفوا، وهو يعنى بشؤون ما يسمى بالبوغازات ومحطات الحدود، وهو محافظ أم درمان عاصمة المهدية، وهو المشرف على شؤون بيت المال عصب الإدارة، فهو على وجه الإجمال الكل في الكل[9]. ومن الإجراءات أيضاً أن الخليفة عبد الله التعايشي قام بفصل أحمد سليمان من منصب مدير بيت المال وعين بدلاً منه إبراهيم ود عدلان وكان من عرب الكواهله على النيل الأزرق ولكنه أمضى عدة سنوات يشتغل بالتجارة في كردفان، وكانت له حظوة عند التعايشي، وطلب الخليفة من ود عدلان أن يجعل حساباً للوارد والمنصرف وأن يكون لهذا الحساب دفاتر يمكن مراجعتها في أي وقت وتعرف منها الحالة المالية، وأمره أيضاً بأن يضع قائمة عن جميع أولئك الذين يتسلمون أي مبالغ من المال والذين يقبضون مرتباً[10].

ولعل هذه السياسة في حد ذاتها تكفي لحشد العداء من قبل العناصر الأخرى ضد حكم

الخليفة عبد الله التعايشي وأخوه يعقوب الذي أسماه جراب الرأي، ولكن هل يلام الخليفة عبد الله التعايشي عليها؟ إن من العدل موافقة الخليفة عبد الله التعايشي على ما ذهب إليه ذلك لأنه كان منوط به المحافظة على دولته ومنعها من أي خارج ولا يتأتى له ذلك إلا بتلك الإجراءات التي قام بها وغيرها من الإجراءات إن أمكن له ذلك.

يقول ابن خلدون في مقدمته:(اعلم أن صاحب الدولة إنما يتم أمره بقومه، فهم عصابته (وظهراؤه) على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته، ومنهم يقلد أعمال مملكته ووزارة دولته، وجباية أمواله، لأنهم أعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر، ومساهموه في سائر مهماته...)[11].

ب- التحديات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

تأجل انفجار الصراع على السلطة أيام المهدي إذ تضافرت عدة عوامل حالت دون ذلك، فوضع المهدي المتميز بصفته خليفة رسول الله أبعد أي منافس له عن المنصب، كما أن فكرة المهدي المنتظر إحتوت التمايز القبلي والطائفي والإقليمي لحظة النهوض الثوري فكانت تعبيراً عن الطموح القومي في مرحلة تكوينه الجنيني، وأصبح الجهاد ضد الحكم الأجنبي عملاً موحداً وهدفاً تجسد فيه طموح الناس، هذا إلى جانب الإنتصارات العسكرية التي تحققت وبروز مقدرات المهدي القيادية والتي رسخت مكانته، فضلاً عن تعزيزه هو لتلك المكانة وذلك بسياساته التي كانت بعيدة عن التحيز لأهله وعشيرته أو بقبيلة على أخرى أو طائفة على طائفة، هذه العوامل مجتمعة أجَّلت إنفجار الصراع على السلطة، ولكنها لم تلغ ظروفه الموضوعية[12].

والحقيقة أن الخليفة عبد الله التعايشي واجه معارضة من الأشراف منذ أيام حكمه الأولى والتي تفجرت في مواجهة مسلحة، ثم تطورت إلى صراع بين مجمل أولاد البلد وأولاد العرب، وعادت الفوارق والولاءات القبلية إلى سابق عهدها وأخذت كل قبيلة تجمع أطرافها وتبحث لها عن مكان في إطار الدولة الجديدة[13].

ثورة الأشراف على الخليفة عبد الله التعايشي:

لقد وجد الأشراف بعد أن إعتمد الخليفة عبد الله التعايشي على أهله في الحكم والإدارة وجدوا أنفسهم في وضعية لا يحسدون عليها، وبالتالي كان لابد لهم من المقاومة، فعلقوا آمالهم على قريبهم محمد خالد زقل عامل دارفور الذي لم يستجب لأوامر المهدي بالهجرة من دارفور للإنضمام بجيشه للإسهام في فتح الخرطوم، وظل بالفاشر حتى وفاة المهدي، بينما لم يستجب لنداءات التعايشي المتكررة له بعد تولي التعايشي الحكم، حيث إستمر في التباطؤ للإستجابة لطلب الحضور إلى أم درمان، الأمر الذي أثار مخاوف الخليفة من أن يعتمد الأشراف عليه في نزاعهم ضده ورأى ضرورة إتخاذ التدابير اللازمة لحسمه على الرغم من أنه لا أحد يعلم نواياه.14 ولكن الأشراف هم من أجبر الخليفة عبدالله التعايشي في أم درمان على

التعامل معهم ومع كل معاونيهم بحسم سريع، في وقت كان هو يجتهد فيه على التعامل بروية، ومناقشة الأمور بطرق سلمية ودية[15].

لقد جاهر الأشراف بالعداء للخليفة عبدالله التعايشي وكثرت 'إجتماعاتهم وإنتشرت الشائعات بمؤامرة يدبرونها في الخفاء ويقوم فيها جيش زقل بدور رئيس، الأمر الذي جعل التعايشي يقرر تحطيم معارضة خصومه وذلك بتجريد الخليفة شريف من حرسه وأسلحته ورايته بحجة توحيد الجيش المهدوي لغرض مواجهة الإنجليز في شمال السودان، وحتى لا يبدوا منحازاً أمر بتجريد على ود حلو كذلك من رايته أسوة بالخليفة شريف، ففعل علي ود حلو بينما تبعه شريف بالفعل مكرهاً، وتم التسليم في منتصف مارس من العام 1886م[16]. ولكي ينهي التعايشي آمال الأشراف في المعارضة نهائياً قرر تجريد محمد خالد زقل من جيشه وإحضاره إلى أم درمان عنوة، فإستعمل أحد مقربيه ليقوم بقطع الإتصال بين زقل والعاصمة، كما أمر حمدان عامل جبال النوبة بتصفية قوة محمد خالد زقل والقاء القبض عليه، وبالفعل تمت التصفية في أبريل من العام 1886م، بينما أرسل محمد خالد زقل إلى أمدرمان أسيراً[17].

إن ردة فعل الخليفة عبد الله التعايشي تجاه الخليفة شريف ومحمد خالد زقل لم تأت من فراغ خاصة وأنها جاءت في توقيتين متقاربين (تجريد الخليفة شريف في منتصف مارس 1886م وتجريد زقل في أبريل 1886م)، فهناك مصادر تقول أنه تم ضبط خطاب من محمد خالد زقل إلى الخليفة شريف حين وفاة المهدي ينصحه فيه ألا يتنازل عن أسلحته وقوته، وأنه أي زقل رهن إشارته، فإن أرادة أن يزحف بقواته إلى مصر فعل، إلا أن هذه الرواية تفتقر إلى تأييد[18]، غير أنه لا ينبغي تجاهلها بإعتبارها إحدى العوامل التي كانت وراء تشديد الخليفة عبد الله التعايشي للخناق على الأشراف، ويكفي أنها كانت كفيلة بإدخال الشك في نفس الخليفة عبد الله التعايشي تجاه تصرفات القائد محمد خالد زقل.

وكيفما كان فقد بات الوضع في أم درمان بعد كل هذه الأحداث مهدداً بالإنهيار، ذلك لأن الأشراف عزموا على الثورة بعد الذي جرى لهم، فكونوا جمعية سرية للقيام بقتل الخليفة عبدالله التعايشي وإستلام الأمور بالقوة، إلا أن التعايشي علم بمكيدتهم فإتخذ من التدابير ما يكفي للتنكيل بهم وجهَّز نفسه لذلك، وعندما علم الإشراف بافتضاح أمرهم بادروا بالهجوم المسلح على التعايشي قبل أن ينكل بهم فاحتلوا قبة المهدي وبعض البيوت المجاورة لها وأمدوا أتباعهم بالسلاح والذخيرة، بينما قام الخليفة عبد الله بتوزيع السلاح والذخيرة للملازمين وجعلهم في حالة استعداد تام لمواجهة أي اعتداء عليه كما اتخذ عدة إجراءات أخرى منها أنه أرسل بعض من قواته إلى أحياء أم درمان لمراقبة الأشراف ومنع وصول أي إمدادات اليهم، كما أمر أهله التعايشة باحتلال الساحة الواقعة بين منزله ومنزل الأشراف، في وقت أمر فيه أخاه يعقوب أن يقيم في المسجد بجيشه، كل ذلك كان في ليلة الاثنين الموافق 1891/11/23م[19].

وعلى الرغم من كل هذه الأحداث لم يبادر الخليفة عبد الله التعايشي بالحسم العسكري ضد الأشراف، وإنما عمد إتباع الطرق السلمية، فأرسل وفداً إلى الأشراف بقيادة علي ود حلو يدعوهم إلى الصلح وإجابة مطالبهم غير أنهم رفضوا ذلك وبدأوا يطلقون النار على منزل الخليفة عبد الله التعايشي الذي بادرت قواته بالدفاع وإستمر الإشتباك بين الطرفين حوالي ساعة من الزمان، على أن التعايشي لم ييأس من الحل السلمي فأرسل للأشراف وفداً آخراً يدعوهم للسلم وفي هذه المرة وافقوا لكنهم طلبوا أولاً أن يُعْلمهم التعايشي بالشروط التي يتم بموجبها الصلح، وحرصاً من الخليفة على تحقيق الصلح لم يضع شروطاً له وإنما أعطى الأشراف الفرصة أو الحق في وضع الشروط التي يريدونها وبذلك تم الصلح بين الطرفين في يوم الأربعاء 20 نوفمبر، وتعهد الخليفة بتنفيذ شروط الصلح كما طلبها الأشراف وهي[20]:

1. العفو التام عن جميع المشاركين في التمرد[21].
2. أن يجعل للخليفة محمد شريف مكاناً يليق به وأن يرد له راياته التي أُخِذت منه في عام 1886م، وأن يخلي له في مجلسه كرسياً[22].
3. أن يخصص للخليفة شريف ولأولاد المهدي وزوجاته راتباً من بيت المال[23].

لقد وافق التعايشي على كل هذه الشروط ولكنه إشترط على الأشراف شرطاً واحداً كان بالنسبة له ضرورياً وهو أن يسلم الأشراف سلاحهم وأن يتعهدوا بطاعته طاعة عمياء وهو الشرط الذي قبله الأشراف على مضض، ورغم ذلك كله أبقى التعايشي الملازمين في ساحة المسجد متأهبين للتصدي لأي إنتكاسة قد تحدث من الأشراف[24].

لم يلتزم الخليفة عبد الله التعايشي بما وعد به الأشراف، ذلك أنه بعد حوالي عشرون يوماً فقط من إبرام الصلح وبعد أن إطمأن لموقفه أمر بإلقاء القبض على كل من أحمد سليمان ومحمد فوزي محمود وأخيه أحمدي ومعهم آخرون وقام بإرسالهم إلى حمدان أبو عنجه في فشودة حيث أمره بالقضاء عليهم وقتلهم الأمر الذي دفع الخليفة شريف إلى الإحتجاج ممتنعاً عن صلاة الجمعة والجماعة وتلك فرصة ذهبية وجدها الخليفة عبد الله التعايشي للقضاء على شريف حيث ألقى القبض عليه[25] وزجه في السجن بعد أن أدانه مجلس من العلماء وظل الخليفة شريف في السجن حتى أُطلق سراحه أثناء تقدم حملة الفتح، وعلى إثر هذه الفتنة والقضاء عليها طارد الخليفة عبد الله التعايشي الدناقلة وبقية أبناء البحر المقيمين في كردفان، كما صفى الجزيرة من الأشراف[26].

وهكذا تمكن الخليفة عبد الله التعايشي من القضاء على قوة خصومه وإن لم يكن قضاءاً نهائياً فعلى الأقل في تلك المرحلة الحرجة التي باتت الثورات تندلع تباعاً من عناصر وكيانات مختلفة الواحدة تلو الأخرى الأمر الذي كان ينبئ بشر مستطير كان لا يزال يهدد مصير الدولة المهدية ومصير حكم الخليفة عبد الله التعايشي على وجه الخصوص.

ومما هو جدير بالذكر أن وثيقة الإدانة التي صدرت من العلماء ضد الخليفة شريف تعد من أقوى الوثائق السياسية التي حررت في المهدية[27]، وفيما يلي نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. حمداً لمن جعل الإستقامة طريقاً للسلامة، وشكراً لمن وفق ذوي البصائر على الوقوف على قدم الصدق فصاروا أهل الكرامة، وخص أهل عنايته بأنوار هدايته فاستسلموا لقضائه فاستراحوا من الوقوع في حاوية الندامة، وحض على طاعة ولاة الأمور بقوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) لإنتظام الحال والسلامة في يوم القيامة، وصلاة وسلاماً على قطب دائرة الأصل النوراني ومنبع الفيض الرحماني وأشرف النوع الإنساني ومعدن السر الرباني سيدنا محمد قصم بسيف الحق ظهر الخلاف ومكّن حسام الشرع في رقاب أهل الإنحراف، وعلى آله وأصحابه الذين قوي في الله يقينهم فآمنوا بالغيب فإنكشف غياهب الشك عن بصائرهم فإزدادوا إيماناً وتمكن دينهم[28].

وبعد، فإن الخليفة محمد شريف حامد قد بارز خليفة المهدي عليه السلام بالعداوة والعصيان والخلاف حتى تظاهر بالحرابة له وشهر السلاح عليه ولم يبال بإدخال الخلل في الدين وشق عصا المسلمين، فبعد هذا كله قد إجتمع جماعة المسلمين وأحضروه بين أيديهم وحلفوه على كتاب الله تعالى، فحلف وعاهد على أن لا يعود لمثل ما صدر منه ثم حضر لخليفة المهدي عليه السلام نادماً على شنيع فعله فقبله مع ما إرتكبه من عظيم الذنب والخطيئة وإستتوبه لله والرسول عما صدر منه فتاب وعاهد أيضاً على أن لا يعود لمثل ما صدر منه وأن يكون تحت إشارة خليفة المهدي عليه السلام في الإمتثال والوقوف على الإشارة وصفاء البال، فعند ذلك عفا عنه خليفة المهدي عليه السلام وقابله بالصفح والإكرام، ثم نقض العهد وعاد على الخلاف وإضمار السوء والإصرار على عدم الإمتثال فضلاً عن كونه تاركاً الجمعة والجماعة، فعند ذلك إجتمع أصحاب المهدي عليه السلام من قضاة الشرع الشريف وأمراء وعمد وأعيان وسألوه عن جميع ذلك وعن نقض العهد فإعترف بجميع ذلك بل قابلهم بأقبح المقال وتفوه بما يؤدي إلى سوء الحال حتى قال أن الغوث معه وفي حزبه وأن نصرة المهدية تحت قدمه وأن الصحابة إعترضوا على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من سوء المقال ولا زالوا يراجعونه بالقول اللين والحسن والمذاكرة لعله يرجع عن ذلك ويتبع الحق وتلوا له منشورات المهدي عليه السلام في حق خليفته عليه رضوان الملك العلام حتى تلوا له منشور المهدي عليه السلام الآمر له فيه بذكر اسمه وشخصه بإتباعه لخليفة المهدي عليه السلام وعدم خروجه عن أوامره على مر الليالي والأيام فعند ذلك أظهر التوبة والندم. فنظراً لما حصل منه من نقض العهد وعدم إستمراره على التوبة السابقة إقتضى نظر أصحاب المهدي عليه السلام طبق الوجه الشرعي وضعه بالسجن تأديباً له. ولولا اظهار التوبة الذي حصل منه لكان جزاؤه أعظم من السجن.

وقد ثبت جميع ذلك لدى أصحاب المهدي عليه السلام الآتي ذكر أسمائهم وأختامهم فيه أدناه وجميعهم شهدوا عليه شهادة حق يؤدونها بين يدي أحكم الحاكمين والسلام.

1309 – 7 أغسطس سنة 1891/ 25 يوليو سنة 1892 29

الثورات السياسية (القبلية) ضد حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

لم تكن ثورات الأشراف هي الوحيدة التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، فقد قامت ضده ثورات أخرى في أنحاء متفرقة من البلاد خاصة في الغرب الذي كان الخليفة يأمل في الإبقاء عليه هادئاً ليتفرغ للجهات الأخرى الأكثر عداوة إلا أن الطبيعة أبت إلا ان تضاعف من أزمات ومتاعب الخليفة[30]، ذلك أنه بعد رحيل زقل من دارفور شهدت البلاد هزة سياسية عنيفة إضطرب لها حبل إدارتها وكاد الزمام يفلت من يد الخليفة، فقد تمرد مادبو زعيم الرزيقات وتبعه في عصيانه خلق كثير من الرزيقات والهبانية والمعاليا ومال اليه بنو هلبة، وتمرد يوسف ابن السلطان إبراهيم ثورة عنيفة ووجد من يشد أزره من بين رعاة الإبل في شمال دارفور والبقارة في جنوبها، كما أيده سلطان دار برقو[31].

عصيان مادبو:

كانت من بين الأسباب التي دفعت مادبو بالخروج على التعايشي هي النفور من الهجرة إلى أم درمان وإعتراضاً لكون الخليفة عبد الله التعايشي وهو إبن القبيلة الصغيرة سيداً عليه، هذا فضلاً عن خوف مادبو من إنتقام الخليفة منه إن هاجر إلى أم درمان فقد أفرط في عدائه للخليفة، وبالتالي هو لم يعد يطمئن للوعود التي بذلها له الخليفة بالأمان في شخصه وولده وماله، غير أن تقدير مادبو لنوايا الخليفة نحوه لم يكن بعيداً فقد كتب التعايشي إلى محمد قرقساوي في يوليو من عام 1886م يقول:(أما في خصوص مادبو وأتباعه ما دام أنهم إرتدوا وندبتم إليهم سرية فالله يهلكهم فشدوا حيلكم على المخالف المذكور وحرضوا الأنصار على جهادهم وإحضارهم في حال الحياة ليذوقوا السوء جزاء لما فعلوه)[32].

وبالتالي فإن نية التعايشي تجاه مادبو تبدو جلية واضحة من خلال هذه الرسالة، فهو يريد من الأنصار أن يحضروه أمامه حياً لكي يذيقه أصناف العذاب والعقاب جزاءاً على تمرده، وعلى ذلك فليس ثمة خيار أمام مادبو سوى أن يشمر ساعده ويستعد للحرب وفيها أما أن ينتصر ويعيش عزيزاً أو يموت كريماً إذا هزمته قوات التعايشي، ولكنه لا يرضى أن يذل بطلب العفو من التعايشي وهو سيد قوم يكرهون الضيم بأي حال.

لقد تمكن محمد كرقساوي وبفضل معاونة لقيها من الأمير يوسف ابن السلطان إبراهيم عامل دارفور الذي تركه زقل، تمكن من محاربة مادبو والإنتصار عليه وأسره حيث أرسل إلى أم درمان أسيراً، إلا أنه لم يصلها لأن أبو عنجه قتله في الأبيض نتيجة لضغائن بينهما قبل المهدية، وبعث برأسه إلى أم درمان[33].

عصيان يوسف إبراهيم:

ظن الأمير يوسف في دارفور أن الفرصة لاحت له لكي يستقل ويتربع على عرش آبائه وأجداده، فطلب من كرم الله الخروج من دارهِ، ولم يكتف بذلك بل كاتب الخليفة بذلك، وكان رد فعل الخليفة تجاهه هو الدعوة إلى إجتماع الكلمة مبيناً له أنهم أخوان في الله وفي الدين، إلا أنه بلغ مسمع الخليفة إباحة يوسف للمنكرات وشرب الخمر في الفاشر، الأمر الذي جعل الخليفة يكتب له داعياً إياه للحضور إلى أم درمان لتجديد البيعة كما فعل غيره من الأمراء، الأمر الذي ظنه يوسف مكيدة مدبرة لسجنه واقصائه عن عرش آبائه فلم يرضخ للأمر، ولما كان الخليفة مصرٌ على إخضاعه ولى عامله على كردفان الأمير آدم عثمان أمر محاربة يوسف[34]، فبدأ يعد لهذه المهمة منذ سبتمبر 1887م، حيث جمع كل جيش كردفان وإتجه إلى شكا وهناك إنضم اليه كرم الله فبلغت قواته سبعة عشر ألف مقاتل، وفي ديسمبر إلتقى الجيشان وإنهزم جيش الفور وإحتل عثمان دارا، غير أن يوسف لم يستسلم لتلك الهزيمة حيث جمع فلول جيشه لمعركة فاصلة وإنهزم فيها وإعتقل وأعدم وأرسل رأسه إلى أم درمان وأصبح عثمان آدم أميراً على كردفان ودارفور[35].

مقاومة قبائل الشرق والوسط:

تمركزت المقاومة في شرق السودان في قبيلة الشكرية التي تعد من أكبر قبائل السودان حيث بلغ تعدادها في أواخر العهد التركي المصري نحواً من نصف مليون حسب التقديرات، ولم يستجب الشكرية لدعوة الخليفة عبد الله التعايشي وفضلوا اللجوء إلى الحبشة وناصبوا الدولة المهدية العداء، فبادر التعايشي باعتقال زعماءهم في أم درمان وعلى رأسهم الشيخ عوض الكريم الذي توفي في المعتقل، ثم أخضعت قبيلة الشكرية اخضاعاً تاماً أو أنها قبلت حكم الخليفة أو أظهرت قبولاً له بعد أن تبين لزعمائها أن مقاومة النظام لم تأت إلا بالخراب والتشتت، وفي وسط السودان إنطلقت المعارضة من قبيلة العبابدة والبطاحين ورفاعة الهوي والجعليين، حيث جاءت مقاومات تلك القبائل بأشكال مختلفة ومن منطلقات متباينة، إلا أن الخليفة عبد الله التعايشي تمكن من إخضاعهم جميعاً وبأساليب مختلفة[36].

تلك إذن جوانب يسيرة من المشكلات السياسية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، ولم تكن هي كل المشكلات، فقد شهدت بلاد السودان خلال تلك الفترة حركات معارضة في شتى أنحاءها، الأمر الذي أرهق الدولة وحال دون مُضيها في تحقيق أهدافها، غير أن الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها في هذا الصدد هي موقف الخليفة عبد الله التعايشي من كل تلك الحركات المعارضة فهو لم يعمد إلى إستخدام القوة في مواجهة أياً منها إلا عندما إستعصى عليه حل الأمر سلمياً، الأمر الذي يؤكد صدق الخليفة عبد الله التعايشي وحرصه التام على المحافظة على الدولة ولكن هيهات.

ج- التحديات العسكرية التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي:

لم تكن حركات المعارضة والمقاومة التي واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي مجردة من الممارسات العسكرية، فقد استُخْدِمت العساكر لحسم معظم الحالات إن لم يكن كلها، إلا أنها يمكن النظر إليها بإعتبارها جوانب سياسية إستدعى التعامل معها تدخلاً عسكرياً فكان ما كان، أما التحديات العسكرية المقصودة فهي تلك الحروب الخارجية التي خاضتها الدولة المهدية مع القوى المجاورة في سبيل نشر الدعوة المهدية وبسطها في شتى الأقطار الأمر الذي كان من أولى أولويات المهدي بعد طرد الأتراك من السودان.

فالمهدي رغم فترته القصيرة والتي لم تمكنه من ممارسة أي نشاط خارجي فعلياً إلا أنه أرسل عدة خطابات لقوى الخارج يدعو لاعتناق المهدية، وصرح بأنه سيغزو مصر والحجاز وتركيا، ولما لم يتح له الوقت لفعل شيء من هذا كان على التعايشي مواجهتها، وكان يعتقد أن كسب المعارك الحربية هو السبيل الوحيد ليثبت هيبة الخلافة في الداخل والخارج، وقد دفعه هذا الاعتقاد إلى الدخول في مغامرات حربية متعددة أهمها[37]:

الحرب مع الحبشة:

كان مبدأ الصراع بين المهدية والأحباش هو قيام الأحباش بمساعدة الحاميات الحدودية ضد المهدية، وتحديداً حامية القلابات، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المهدي كان يتحاشى الدخول في صراع معهم وذلك لأسباب منها أن الصراع مع الأحباش من شأنه أن يعرقل طموح المهدي ومساعيه في التحرك نحو الشمال، كما أن الأحباش من الممكن أن يشكلوا خطراً على الدولة المهدية من الناحية الشرقية، لهذا كله إكتفى المهدي بتوجيه عماله في الشرق بمراقبة الحدود مع الحبشة والعمل على تأمينها، في وقت كان يؤمن بأن دخول الأحباش في المهدية هو السبيل الوحيد لردم الهوة بينها وبينهم، وكان يوحنا ملك الحبشة قد أرسل يطلب توضيحاً عن المهدية فرد له المهدي بخطاب بعثه له في يونيو 1885م أوضح له فيه أنه مرسل من الله للدعوة لفكرة المهدية، ذاكراً له الملوك والدول الذين انتصر عليهم المهدي، وأن الهزيمة والموت ستكون مصير كل من لم يؤمن به، وجاء رد يوحنا على رسالة المهدي متأخراً حيث جاء بعد وفاة المهدي، إلا أن المهم فيه أن يوحنا رفض الدخول في الإسلام والمهدية، بل طلب من المهدي وأعوانه الدخول في المسيحية، في وقت واصل عدائه تجاه المهدية حيث أمر جنوده بمهاجمة القلابات وتخريبها وقتل عاملها ود أرباب، كما إتجه نحو إيواء بعض القبائل المعارضة للمهدية[38].

أمام هذا الوضع أمر الخليفة عبد الله التعايشي عامله في القلابات يونس الدكيم بحماية الجبهة الشرقية وعدم الدخول في حرب مباشرة مع الأحباش وذلك نظراً للقلاقل الداخلية التي كانت تشهدها الدولة المهدية والتي ما أن هدأت حتى عين التعايشي الأمير حمدان أبو عنجة عاملاً على القلابات[39]، حيث حمل أبو عنجة معه خطاباً ليوحنا منذراً، ولما لم يلق رداً خرج

بجموعه متوغلاً[40]حيث هاجم الأحباش وتمكن من دخول غندار عاصمة الأحباش، ومنها تراجع نحو القلابات حيث أخذ يستعد لمواجهة الهجوم الحبشي الذي بات مؤكداً بعد أن وصلت الأنباء بأن يوحنا ملك الحبشة قد حشد كل الأحباش وجمع حوالي 250 ألف مقاتل لمهاجمة القلابات، من أجل تحقيق نصر سريع وحاسم على المهدية، وفي تلك الأثناء أصيب أبو عنجة بحمى فمات في يناير من عام 1889م، وتم تعيين الزاكي طمل خلفاً له، حيث خاض طمل عدداً من المعارك ضد الأحباش كان من بينها معركة القلابات[41] التي تعد من أشد ما لاقى الأنصار، لكنهم تذرعوا بالصبر والثبات حتى جرح يوحنا جرحاً مميتاً أدى إلى إشاعة الفوضى والاضطراب في معسكر الأحباش وانفرط عقد نظام جيوشهم التي ارتدت من القلابات ووراءها الأنصار يقتلون ويأسرون حيث استولوا على غنائم لا تحصى من نساء وعبيد وخيول وأسلحة وتاج الإمبراطور نفسه، وكان لهذا النصر العظيم رنة فرح في أم درمان وارتفعت معه روح المهدية إلى قمتها42، وبذلك تحولت العلاقة بين المهدية والأحباش من الصراع المسلح إلى البحث عن المصالح المشتركة[43].

الحرب مع مصر:

كان المهدي قد بعث إنذاراً إلى علماء مصر وضح لهم رغبته في غزوها حيث قال:(فإنا عن قريب حاضرون بحزب الله بجهتكم إن شاء الله تعالى فإن قابلتمونا بالتسليم والانابة إلى الله الكريم فابشروا بكل خير، وإن أبيتم إلا الاصرار على مؤازرة الكفار فلا حول ولا قوة إلا بالله..)[44].

أصرَّ التعايشي على مواصلة مساعي المهدي بغزو مصر وكانت أولى خطواته لذلك استنفار قبائل الوسط وحثهم على دعم الحملة المزمع ارسالها لغزو مصر بقيادة الأمير عبد الرحمن النجومي45الذي كان بدنقلا وقد اشتد الخلاف بينه وعاملها مساعد، حيث بعث الخليفة بأمناء لبحث أسباب النزاع فحكموا بأن يرجع مساعد إلى أم درمان، ولكن الخليفة عين يونس الدكيم أميراً عاماً على دنقلا يقيم فيها بينما يغادرها النجومي غازياً إلى مصر، في وقت لم يكن الخلاف بين النجومي والأمير يونس الدكيم بأقل منه مع مساعد، وفي حالة من اليأس تحرك النجومي من دنقلا في 3 مايو 1889م، مع أربعة ألف مقاتل ومعهم سبعة ألف من النساء والأطفال بمؤن قليلة وعتاد متواضع، سيما وهم سيمرون على أراضي مغفرة قليلة الثمر والإنتاج، وفي هذه الأثناء نشطت جاسوسية ودهاوس قائد حامية الحدود في حلفا مستقصياً أحوال النجومي وقواته، وأمر السكان بالضفة الغربية للنيل إخلاء القرى من أنفسهم وأغذيتهم وليتركوها للأنصار خراباً وينتقلون إلى الضفة الشرقية تحت حماية جيش الحدود[46].

وفي 16 مايو 1889م أرسل جرانفيل الذي كان على رأس الجيش المصري خطاباً إلى النجومي يدعوه للتسليم ويعده بالأمان له ومن معه، ويوضح له أن التعايشي لا يخفى عليه كما لا

يخفى نور الشمس عن أحد أن الاستيلاء على مصر محال فهو يغرر به وبرجاله ليتخلص منهم، غير أن النجومي رد على تلك الرسالة فذكر لجرانفيل أن جيشه الكبير ومعداته لا تخيفهم فهم لا يخافون إلا الله وذكَّره بما حدث لهكس وغردون ولجيوشهم الكثيرة العدد والأسلحة، وذكر له أنهم سوف لا يستولون على الأقاليم الجنوبية من مصر فحسب بل على القطر كله لأن الله وعدهم بالنصر[47]، وكان أول التحام بين القوات المصرية والمهدوية في أرجين عندما كانت قوات النجومي ترمي إلى ورود الماء في وقت كان قائد الجيش المصري متابعاً لكل تحركاتهم، وأصدر النجومي أوامره بأن يتم فتح الطريق لجلب الماء وفي سبيل ذلك دارت مقتلة عظيمة بين الطرفين كانت الخسائر فيها جسيمة حيث استشهد من جيش المهدية عدداً كبيراً، وأسر آخرون كما جرح آخرون[48].

كان اقتراح عبد الحليم مساعد بعد تلك الواقعة الانسحاب جنوباً لعدم تكافؤ المعركة بالإضافة إلى عدم وصول امدادات من دنقلا، إلا أن ود النجومي رفض الاقتراح وتهيَّج قائلاً:(لن أعود إلا محمولاً على الأعناق)[49]، حيث واصل السير شمالاً، وكان الجيش المصري بقيادة جرانفيل معسكراً في قرية توشكي التي شهدت المعركة الأخيرة للنجومي والتي انتهت بقتل ما يقرب من 1200 من رجال النجومي، ووقع الباقين أسرى، بينما ظل النجومي يقاتل حتى الرمق الأخير حيث لقي حتفه[50].

لقد كانت معركة توشكي البداية الفعلية لنهاية الدولة المهدية، فقد فقدت فيها الدولة المهدية خيرة رجالها، وقوام جيشها، الأمر الذي أفقدها الثقة في نفسها كما فقدت ثقة الأهالي المؤيدين لها، وتلك أموراً سهلت فيما بعد مهمة قوات الغزو الإنجليزي المصري في اجتياحها واسقاط عاصمتها.

د- دور التحديات السياسية والعسكرية في التعجيل بنهاية الدولة المهدية:

إن مما لاشك فيه أن تلك الصراعات السياسية والعسكرية التي واجهت الدولة المهدية في عهد الخليفة عبد الله التعايشي أو بالأحرى أنها قد واجهت حكم الخليفة عبد الله التعايشي، لا شك أنها قد أضرت بالبلاد في كافة النواحي السياسية والاقتصادية، وبالتالي فإننا نستطيع أن نتخيل حجم الموارد المالية والبشرية التي تدفقت في تلك الصراعات سواء كانت الداخلية منها أو الخارجية وكيف سيكون الحال لو أنها استُخْدِمت في مجالات من شأنها بناء الدولة المهدية، إنه من خلال دراسة التحديات السياسية والعسكَرية في الدولة المهدية يتضح بجلاء أنها أي تلك التحديات وقفت دون تقدم الدولة المهدية بل انها تسببت في نهايتها وذلك كونها:

1. أفقدت الدولة العديد من الرجال كانوا في الأساس من النخبة الحاكمة في الدولة وبالتالي كان من الأولى أن يتم الاستفادة منهم في ثغرات الدولة السياسية والإدارية والعسكرية،

يأتي في مقدمتهم الأمير عبد الرحمن النجومي الذي لقي حتفه في حرب مصر، وكذلك الخليفة الشريف الذي ظل حبيس السجن طوال عهد التعايشي بعد ثورة الأشراف، وكان من الممكن أن يكون لهؤلاء الرجال وغيرهم قيمة وقدرة في الدفع بكثير من الأمور في الدولة المهدية.

2. أفقدت الدولة الكثير من المال وأضرت بمصالحها الاقتصادية، فإلى جانب الأموال التي تم دفعها في تسيير العمليات العسكرية من عدة وعتاد وغير ذلك، أهملت الجوانب الزراعية والإنتاجية بشكل عام وذلك بسبب انشغال الجميع بالصراعات الداخلية والخارجية، وما مجاعة سنة 1306هـ إلا مظهر من مظاهر ذلك الإهمال الذي ضرب اقتصاد البلاد وأضر بمصالحها.
3. أفقدت الدولة الكثير من الوقت الذي كان يمكن أن تبذله في جبهات أخرى، ففي الوقت الذي كانت الدولة بحاجة لتثبيت أركانها بعد مرحلة البناء وبالتالي تطوير مؤسساتها الإدارية والسياسية والاقتصادية، انشغلت بالصراعات الداخلية وتبعتها الصراعات الخارجية، وأهملت كل تلك الجوانب المنوطة بها الأمر الذي يعد هدرٌ للوقت بدليل أن الدولة عندما فرغت من تلك المشكلات الداخلية كان الوقت قد انتهى بالنسبة لها فما لبثت أن تفاجأت بالغزو الخارجي والذي حال دون استمرارها.

كان جديرٌ بهذه الظروف وغيرها أن تعجّلْ بنهاية الدولة المهدية وبالتالي زوالها الذي جاء بواسطة ذلكم الغزو الأجنبي المسلح بل المدجج بأحدث أنواع أسلحة الدمار الفتاكة حينها والذي بدأ الاعداد له منذ وقت مبكر بالاستعانة بالطلائع والوفود الاستخبارية واستمالة نفر من معارضي النظام وأعدائه الذين ما بخلوا بمد الغزاة بما عندهم من معلومات عن حالة البلاد والوهن والضعف الذي بدأ يدب في أوصال الدولة[51].

الخاتمة:

إن حكم الخليفة عبد الله التعايشي لم يكن حكماً تسلطياً، بما يتطلب كل ذلكم العداء الذي لقيه من القبائل، فقد حدثت تحولات في النظام الإداري وأخذ يتخلص من بعض الأساليب القمعية ويصبح أكثر قبولاً لدى السودانيين، وبدأت الدولة تتحول إلى ملكية إسلامية من النوع المألوف، وبالتالي كان يمكن بذلك تجاوز البداية المتسلطة التي بدأ بها حكم الخليفة عبد الله التعايشي52 حسب اعتقاد البعض، ولكن دون جدوى، لقد انتهى الوقت، وتبقى الصراعات الداخلية والحروب الخارجية هي المسؤولة الأولى والأخيرة في التعجيل بنهاية الدولة المهدية التي ماتت في طور النشأة

النتائج:

1. سعى الخليفة عبد الله التعايشي جاهداً لاستكمال مشروع الدولة السودانية الحديثة التي بدأها محمد أحمد المهدي، وأن ثمة تحديات سياسية وعسكرية واجهته وكانت وراء النهاية المبكرة للدولة المهدية.

التوصيات:

1. الوقوف على أهم العوامل التي كانت وراء تلك التحديات للاستفادة منها في مستقبل الحكومات.
2. دراسة أنماط الصراع بين العناصر السودانية وتحليلها ومقارنتها بما يجري اليوم داخل أروقة الحكم والسياسة في السودان، وبالتالي معرفة القواسم المشتركة بينها، الأمر الذي سيعطي قيمة يمكن الاستفادة منها.

هوامش: (Endnotes)

1. أبو سليم، محمد إبراهيم: العلماء والأمراء في المهدية: تجربة حسين الزهراء، الإسلام في إفريقية، مجموعة بحوث، إشراف ومشاركة مدثر عبد الرحيم الطيب و التجاني عبد القادر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، نوفمبر 2001م، ص135.
2. هولت، ب.م: دولة المهدية في السودان في عهد الخليفة عبدالله 1885 – 1898م، ترجمة هنري رياض وآخرون، دار الجيل – بيروت، ومكتبة خليفة عطية – الخرطوم، د.ت، ص124.
3. القدال، محمد سعيد: تاريخ السودان الحديث 1820 – 1955م، دار مصحف إفريقيا للنشر، الخرطوم، 2002م، ص235.
4. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص235.
5. شرارة، عمر علي محمد طه: الدولة الدينية في السودان، الشركة العالمية للطباعة والنشر، السودان، ط1، 2011م، ص108.
6. نفس المرجع، ص108.
7. نفس المرجع، ص 108، 109.
8. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص 109، 110.
9. شبيكة، مكي: تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط2، 1980م، ص696.
10. سلاطين باشا: السيف والنار في السودان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص172.

11. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون – من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2009م، 144.
12. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص233.
13. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص 290.
14. حنان دباخ: الثورة المهدية في السودان (1881 – 1899م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة محمد خيصرة بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2013م، ص57، 58.
15. مالك، محمد محجوب: المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881 – 1898م)، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1987م، ص206.
16. حنان دباخ: المصدر السابق، ص58.
17. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص206.
18. شبيكة، مكي: مرجع سبق ذكره، ص714.
19. مالك، محمد محجوب: المرجع السابق، ص218.
20. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص219.
21. نفس المرجع، ص219.
22. نفس المرجع، ص219.
23. نفس المرجع، ص219.
24. نفس المرجع، ص219.
25. مالك، محمد محجوب: مرجع سبق ذكره، ص220، 221.
26. أبو سليم، محمد إبراهيم: الحركة الفكرية في المهدية، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ط1، 1970، ص33.
27. نفس المرجع، ص33.
28. أبو سليم، محمد إبراهيم: منشورات المهدية، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1969م، ص 108.
29. أبو سليم، محمد إبراهيم: منشورات المهدية، مصدر سبق ذكره، ص 108، 110.
30. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص107.
31. الحسن، موسى المبارك: تاريخ دارفور السياسي، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، د.ت، ص 92.
32. نفس المرجع، ص93، 94.

33. شبيكة، مكي: مرجع سبق ذكره، ص215.
34. نفس المرجع، ص 215، 216.
35. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص293.
36. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص293، 296.
37. الجمل، شوقي: تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2008م، ص687، 688.
38. أحمد، حاتم الصديق محمد: علاقات المهدية الخارجية (1898 – 1881م)، مجلة الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا، العدد الثالث، 2018م، ص7.
39. نفس المرجع، ص7، 8.
40. شبيكة، مكي: السودان عبر القرون، دار الجيل – بيروت، 1991م، ص 410.
41. أحمد، حاتم الصديق محمد: مرجع سبق ذكره، ص9.
42. شبيكة، مكي: مرجع سبق ذكره، ص413.
43. أحمد، حاتم الصديق محمد: المصدر السابق، ص9.
44. علي، عبد الغفار محمد: أثر العوامل السياسية والاقتصادية في سقوط دولة المهدية (1881 – 1898م)، أصداف للطباعة والإعلان، الخرطوم، 2004م، ص144.
45. أحمد، حاتم الصديق محمد: المرجع السابق، ص5.
46. شبيكة، مكي: السودان عبر القرون، مرجع سبق ذكره، ص414.
47. الجمل، شوقي: مرجع سبق ذكره، ص690.
48. رندة عبد الله: الأمير عبد الرحمن النجومي، موقع وزارة الدفاع السودانية، يناير 2012م.
49. نفس المصدر.
50. الجمل، شوقي: مرجع سبق ذكره، ص690.
51. شرارة، عمر علي محمد طه: مرجع سبق ذكره، ص113.
52. القدال، محمد سعيد: مرجع سبق ذكره، ص302، 303.

مؤتمر القمة العربي بالخرطوم 1967م
«دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج»

د.مهند فاروق

استاذ مساعد _ قسم التاريخ والحضارة _ جامعة القرآن الكريم

المستخلص

جاءت هذه الورقة بعنوان «مؤتمر القمة العربي الرابع بالخرطوم أغسطس- سبتمبر 1967م دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج»، وقد هدفت الورقة لإلقاء الضوء على الأسباب الّتي أدت لعقد المؤتمر والّتي تمثّلت في إندلاع حرب يونيو 1967م بين إسرائيل والعرب والّتي كان سببها المباشر هو قيام مصر بالمطالبة بسحب قوات الطوارئ الدّولية التابعة للأمم المتحدة من سيناء وإغلاق مضيق تيران أمام الملاحة مما إعتبرته إسرائيل بمثابة إعلانٍ للحرب عليها.

كما هدفت الورقة ايضاً إلى دراسة ماهيّة الأدوار الّتي قام بها العرب لمواجهة الهزيمة من خلال التّحركات الدبلوماسية وخاصّة دور السُّودان ومحاولاته جمع الصف العربي وتبنيه لفكرة قيام مؤتمر قمة عربي، إضافة للمجهود الّذي بذله لتنقية الأجواء العربيّة.

ناقشت الورقة كذلك أهم النتائج الّتي خرج بها المؤتمر والّتي تمثلت في درء آثار العدوان سياسياً واقتصادياً والمتمثلة في أن لا صلح ولا تفاوض ولا إعتراف بإسرائيل مع تقديم العون المالي والمساعدة للدول الّتي تضرّرت مباشرة من الحرب.

وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أنّ مؤتمر القمة العربي الرّابع الّذي عقد بالخرطوم هل حقق الأهداف الّتي من أجلها قام أو لم يحققها وذلك بناءً على النتائج الّتي خرج بها المؤتمر،وقد إستخدمت الورقة منهج البحث التّأريخي الّذي يقوم على عرض الحقائق وسردها وتحليلها.

خلصت الورقة إلى عدة نتائج من أهمها أنَّ نجاح السُّودان في عقد المؤتمر وخروجه بتوصيات قويّة لفتت أنظار إسرائيل إليه، مما دفعها إلى تقديم مساعدات لحركات التّمرد في جنوب السُّودان قبل انفصاله، وإلى حركات دارفور الآن، إفتقاد قرارات المؤتمر لرؤية إستراتيجيّة لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، أظهر المؤتمر ضعف الجامعة العربيّة وآلياتها وهياكلها في تفاعلها مع الأحداث في حينها ومتابعتها توصيات المؤتمر.ومن أهم التّوصيات التي خرجت بها الورقة العمل على تفعيل دور الجامعة العربيّة وهيكلتها بشكل يتيح لها أداء مهامها على أكمل وجه، مع وضع إستراتيجية عربيّة موحدة للتّعامل مع إسرائيل تخاطب أصل المشكلة وتعمل على إيجاد حل عادل للمشكلة.

Abstract

This paper entitled “The Fourth Arab Summit in Khartoum August - September 1967 a historical study in causes and outcomes”, The paper aimed to shed light on the reasons that led to the holding of the conference, which was the outbreak of the June 1967 war between Israel and the Arabs, and whose direct cause was Egypt>s demand By withdrawing the United Nations international emergency forces from the Sinai and closing the Strait of Tiran to shipping, which Israel considered a declaration of war on it.

The paper also aimed to study what roles the Arabs played to confront defeat through diplomatic moves, especially the role of Sudan and its attempts to gather the Arab ranks and adopt it for the idea of an Arab summit conference, in addition to the effort he made to purify the Arab atmosphere.

The paper also discussed the most important results of the conference, which were to ward off the effects of the aggression politically and economically, namely that there is no peace, negotiation, or recognition of Israel, while providing financial aid and assistance to countries directly affected by the war.

The paper is based on the premise that the Fourth Arab Summit Conference, held in Khartoum, did it achieve the goals for which it did or did not, based on the results of the conference, and the paper used the method of historical research that is based on presenting facts, narrating and analyzing them.

The paper concluded with several results, the most important of which is that Sudan’s success in holding the conference and its graduation with strong recommendations drew the attention of Israel to it, which led it to provide assistance to the rebel movements in southern Sudan before its secession, and to the movements of Darfur now, the conference’s lack of a strategic vision to solve the Arab-Israeli conflict, The conference demonstrated the weakness of the Arab League and its mechanisms and structures in its interaction with events at the time and follow-up to the recommendations of the conference. One of the most important recommendations that came out of the paper was to activate the role of the Arab League and its structure in a way that enables it to fully perform its tasks, while setting a unified Arab strategy to deal with Israel addressing the origin The problem and works to find a fair solution to the problem.

المقدمة

عقد مؤتمر القمة العربى بالخرطوم فى العام 1967م نتيجة لإندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل والتى إنتهت بهزيمة العرب، جاء المؤتمر كنتيجة للادوار الدبلوماسية التى قام بها العرب وخاصة السودان وذلك من اجل جمع الصف العربى وتنقية الاجواء العربية، إستطاع المؤتمر أن يخرج

بتوصيات لدرء آثار العدوان سياسيا واقتصاديا وتقديم المساعدة والعون المادى للدول التى تضررت بسبب الحرب، إلا ان اهم ماخرج به المؤتمر كان أن لا صلح ولا تفاوض ولا إعتراف بإسرائيل.

الإطار المنهجي للدراسة

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أنّها تحاول الإجابة على السؤال الآتي:هل تحققت دعوة المؤتمر المتمثلة في إزالة آثار العدوان وتحقيق المصالحة العربيّة-العربيّة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لمناقشة مؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد بالخرطوم في أعقاب حرب يونيو 1967م بالتّعرف علي كيفيّة الدعوة لقيام المؤتمر والأسباب الّتي أدّت إلى انعقاد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم، كما تهدف إلى دراسة ما دار في جلسات المؤتمر، كما تهدف أيضا للتّعرف على أهمّ النتائج الّتي خرج بها المؤتمر.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة في كونها تتناول مؤتمر القمة العربي بالخرطوم في العام 1967م والّذي جاء بعد هزيمة إسرائيل للعرب والأثر الّذي خلفته هذه الهزيمة سياسياً وعسكرياً على جميع أطراف الصراع في المنطقة، إضافة إلى أن المؤتمر خرج بنتائج حازمة كان لها كبير الأثر علي المشهد السياسي العربي.

فروض الدراسة:

تفترض الدراسة أن مؤتمر القمة العربي الرابع الذي عقد بالخرطوم حقّق الأهداف الّتي من أجلها قام أو لم يحققها وذلك بناءً على النتائج الّتي خرج بها المؤتمر.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة منهج البحث التأريخي القائم علي عرض الحقائق وسردها وتحليلها.

تمهيد إطاري

دبلوماسية مؤتمرات القمة:

هو شكل من أشكال الدبلوماسية التي تعرف بدبلوماسية القمة ويقصد بها المؤتمرات الدبلوماسية التي يعقدها رؤساء الدّول فيما بينهم لمناقشة بعض القضايا الدّولية أو العلاقات بينالدّول المشتركة في لقاء القمة[1] لقد جاءت فكرة لقاءات القمة كوسيلة لوضع حلول جذرية أو إتفاقات مهمة بين الدّول، حيث أن لقاء زعماء الدّول بما لديهم من صلاحيات واسعة يساعد على توفير الوقت والجهد وسرعة الوصول إلى قرارات مهمة، إن معظم الإتفاقات الدّولية المهمة

التي تم التوصل إليها بعد الحرب العالميّة الثانية وكان لها أثر على مجرى العلاقات الدّولية كانت وليدة لقاءات القمة[2].

مؤتمر القمة العربيّة:

برزت فكرة عقد مؤتمرات القمة العربيّة مع نهاية 1963م وكانت إسرائيل قد أعلنت عن قرب إنتهائها من المرحلة الأولى، لمشروع تحويل مياه نهر الأردن[3] ورأت مصر ضرورة التصدي لهذا التحدي الإسرائيلي على المستوى العربي الشامل نظراً للأضرار البالغة التي ستقع على ثلاثة شعوب عربيّة نتيجة لهذه المشروعات هي شعوب (لبنان، سوريا والأردن) فدعت إلى عقد مؤتمر القمة العربيّة الأول في يناير 1964[4].وكان أهم ما أصدره مؤتمر القمة الأول من قرارات تمثل في الآتي:

أوّلاً: التّنديد بمشروعات إسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن بإعتباره عدواناً خطيراً على المياه العربيّة، وتقرر وضع المشروعات اللازمة لتحويل روافد نهر الأردن الواقعة في لبنان وسوريا لحرمان إسرائيل من سحب مياهها.

ثانياً: تشكيل قيادة موحدة للجيوش العربيّة.

ثالثاً: إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية من أجل تنظيم الشعب الفلسطيني حتى يقوم بدوره في تحرير وطنه[5].

وعقد مؤتمر القمة الثاني في سبتمبر 1964م بعد أن كثرت الإعتداءات الإسرائيلية على الحدود العربيّة، وقد حضره أربع عشرة دولة، وقد أصدر المؤتمر عدداً من القرارات من أهمها:

أوّلاً: خطة العمل العربي الجماعي في تحرير فلسطين عاجلاً أو آجلاً.

ثانياً: البدء بتنفيذ مشروعات إستقلال مياه نهر الأردن وحمايتها عسكرياً.

ثالثاً: الترحيب بمنظمة التحرير الفلسطينية. ودعم قرارها بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني.

رابعاً: مضاعفة التّعاون وزيادة الإسناد الإقتصادي لدول المغرب العربي.

خامساً: تصفية القواعد الإستعمارية الّتي تهدد أمن المنطقة العربيّة وسلامتها[6].

وفي 13 سبتمبر 1965م عقدت القمة العربيّة الثالثة بالرباط وشاركت فيها إثنتا عشرة دولة عربيّة بالإضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية، وأصدرت القمة عدداً من القرارات من أهمها ميثاقاً للتضامن العربي يوصي بتوحيد كلمة الدّولالعربيّة ومؤازرة الدّول العربيّة ومساندة الجنوب المحتل والخليج العربي والتخلي عن سياسة القوة وحل المشاكل الدّولية بالطرق السلمية[7].

ورغم أنّ هذه المؤتمرات أحيطت بهالات براقة ودعايات واسعة إلا أنها لم تتمخض عن أي عمل عربي جاد تحشد له القدرات الحقيقية الهائلة للأمم العربيّة حتى يكون لها التأثير الفاعل الحاسم على سير الصراع العربي - الإسرائيلي، والغريب في الأمر أن ما اتخذ من خطوات شكلية وقرارات

ضد إسرائيل لم تكن تفتقد إلى الفاعلية فحسب بل إنّها أحدثت نتائج عكسية تماماً فلم يحقق العرب منها شيئاً بتجاوز الكلمات التي صيغت بها هذه القرارات بينما نجحت إسرائيل في أن تحقق أقصى فائدة سياسية وعسكرية من وراء هذه المؤتمرات بإستغلالها بمهارة ساعدت على حدوث بعض التطورات الحاسمة التي أثرت على مسار الصراع خلال السنوات التي سبقت عدوان 1967م ولعل أهم هذه التطورات كان التحول السافر في السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل بعد أن أصبحت هي الدّولة الكبرى الحامية لها والداعمة لوجودها سياسياً وإقتصادياً وعسكرياً بلا حدود وبلا قيود[8].

يرى الباحث أن السبب الرئيسي لعقد مؤتمرات القمة هو دائماً ما يكون الإعتداءات الإسرائيلية على البلدان العربيّة، والملاحظ أنّ هذه المؤتمرات لم تحقق أي نجاحات ربما يعود ذلك إلى أن هذه القمم لم تناقش أصل القضية والمشكلة بين العرب وإسرائيل وهو الإحتلال الإسرائيلي لفلسطين وكيفيّة حلّه وربما ذلك هو هروب من مواجهة واقع ماثل يخشاه العرب، لذا نجد أنّ كلّ القرارات الّتي تصدر من الإجتماعات العربيّة لا تحقّق شيئاً من النّجاح، لأنّها لم تخاطب جذور المشكلة وكل التوصيات التي تصدر لم تكن سوى قرارات وقتية لمشكلات آنية.

حرب يونيو 1967م أسبابها ونتائجها:

منذ أوائل عام 1967م بدأ التّوتر في منطقة الشرق الأوسط يتخذ أبعاداً جديدة نتيجة لتحول قادة إسرائيل إلى مرحلة التّهديد العلني المباشر بغزو الأراضي السورية وبإحتلال دمشق وإسقاط النظام الحاكم فيها، وليس ثمة شك في أن هذا الموقف الإسرائيلي المتصاعد وإن كان نابعاً من مخطط إسرائيلي محدد، إلا أنه كان يستمد عناصر قوته من موقف الولايات المتحدة وإتجاهاتها العدوانية تجاه الدّولالعربيّة المتحررة[9].

وقد إعتبر العرب هذا التصعيد من قبل إسرائيل بمثابة تحد خاص لكل من مصر وسوريا، وقد ظهرت المبادأة الإسرائيلية في سلسلة من الإعتداءات على أماكن متفرقة من الدول العربيّة وأعلنت إسرائيل بأنها ستقوم بحملة عسكرية واسعة ضد سوريا[10].

وحلل السياسيون قبول إسرائيل بالمبادأة لأنّها كانت تمر بأزمة إقتصادية خانقة وثم أصبحت في حاجة إلى مناورة عسكرية لتعبئة الرأي العام الإسرائيلي الذي سيأتي إليهم بالتبرعات والمعونات التي ألفوا أن يتلقوها كلما ادعوا أن أمن بلادهم في خطر[11].

وكان رد الفعل العربي إزاء التهديدات والتوعدات الإسرائيلية بالمثل فبدأ حرب التوعدات الكلامية من جانب العرب في محاولة تكتيكية يائسة بجعل إسرائيل تتخلى عن عزمها بتوجيه الضربة الأولى ووجدت الأمة العربيّة نفسها في مأزق لا مفر منه ألا وهو الإشتباك من جديد مع إسرائيل[12].

وهناك عدة أسباب أدت إلى نشوب حرب 1967م منها أسباب مباشرة وبعضها غير مباشر، فالأسباب

غير المباشرة تمثلت في إعتبار إسرائيل إن الأحداث التي تلت حملة سيناء 1956 أو ما يعرف بالعدوان الثلاثي، تشكل تهديداً لأمنها ومن أبرز هذه الأحداث جهود التّسلح الّتي بذلتها مصر بقيادة جمال عبد الناصر[13] ونشاط سوريا ضد المستعمرات الإسرائيلية على الجبهة السورية وأمام الجبهة الأردنية، ومن الأسباب أيضاً قرار القمة العربيّة في القاهرة 1964م لتحويل مياه نهر الأردن في كل من سوريا ولبنان، وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية[14].

أما الأسباب المباشرة فتمثلت في مطالبة مصر بسحب قوات الأمم المتحدة من سيناء[15] وبدئها حشد جيشها في سيناء، وإغلاق يوم 5/22 «مضايق تيران» بالبحر الأحمر في وجه الملاحة الإسرائيلية، وهو ما إعتبرته إسرائيل بمثابة إعلان الحرب عليها رسمياً[16].

ففي الخامس من يونيو 1967م شن الطيران الإسرائيلي هجوماً عنيفاً ومركزاً على المطارات العربيّة المختلفة في سوريا والأردن وخاصة مصر وقد كبدت العرب خسائر فادحة تمثلت في خسارة مصر لـ309 طائرة، وسوريا 60 طائرة، والأردن 29 طائرة، العراق 17 طائرة، ولبنان طائرة واحدة، بينما خسرت إسرائيل 26 طائرة حربية[17].

توقفت الحرب مساء 1967/6/10م بقرار من مجلس الأمن، وبإنتهاء الحرب حققت إسرائيل نصراً كبيراً كانت له نتائج مهمة عسكرياً وسياسياً وإقتصادياً، وخسر العرب في هذه الحرب مزيداً من الأراضي لصالح إسرائيل التي إحتلت سيناء بأكملها في مصر وهضبة الجولان الإستراتيجيّة في سوريا والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وقد بلغت هذه الأراضي المحتلة في البلاد العربيّة حوالي 69347 كلم2، وعليه فأنه يتضح أن هزيمة يونيو أضافت لإسرائيل ما يعادل ثلاثة أضعاف ونصف مساحتها[18] التي كانت عليها يوم 1967/6/4م[19].

ومن أسباب إنتصار إسرائيل على العرب في تلك الحرب، المعطيات المتعلقة بميزان القوى العسكري قبل حرب يونيو 1967م لأن عدد وعدة الجيوش العربيّة في الجبهات الثلاث كانت أكثر من عدد وعدة الجيش الإسرائيلي وتذهب المصادر إلى أن الاختلاف الأساسي بين الجيوش في حرب 1967م يكمن في كفاءة الجيش الإسرائيلي الذي يعتمد على السلاح الغربي[20] في إستخدام الأسلحة والمعدات والمقدرة التنظيمية والقيادية وتوظيفها عكس الجيوش العربيّة الثلاثة التي تعتمد ما عدا الجيش الأردني على السلاح السوفيتي[21].

إضافة إلى قيام كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بدور أساسي في مساعدة إسرائيل خاصة في المجال الجوي وذلك بتغطية إسرائيل جوياً ونشر مظلة واقية فوقها لكي تقوم إسرائيل بالدور الهجومي مطمئنة إلى قواعدها وأرضها تحت حماية واقعية، وقد كانت أو رسالة مؤكدة عن إشتراك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قادمة من عمان حيث قامت شبكات الرادار الأردنية بتسجيل موقع إثنين من حاملات الطائرات تقفان في البحر المتوسط أمام إسرائيل، وقد أكد إن مجموع الطائرات المعادية العاملة على الجبهة الأردنية فقط، بلغ حوالي 400 طائرة

وبالتأكيد فإنّ إسرائيل لا تملك هذا العدد من الطائرات لتوجيهها إلى جبهة واحدة في الوقت الذي كانت فيه تشتبك مع الجبهات العربيّة جميعها[22].

كما كان الجيش العربي يحارب بغير مظلّة جوية تحميه، فكانت الخسائر فادحة فقد إستخدم الإسرائيليون سلاح المفاجأة وهو نوع من السلاح لا يقل خطورة عن الأسلحة الأخرى لأنه إذا نجح شلَّ حركة الطرف الآخر في النزاع، وهذا ما حدث بالفعل. فصارت الجيوش العربيّة في العراء فاقدة القدرة على التّحرك الصحيح وصار القادة العرب في حالة مؤسفة من الذهول والإرتباك[23].

وقد أبرزت حرب 1967م عدة دروس أساسية أبرزها:

أولا: إستهانة العرب بقدرة إسرائيل إستهانة بالغة.

ثانياً: أبرزت الحرب تقصيراً معيباً في وضع تخطيط مشترك حقيقي وجاد يرقي إلى مستوى السياسة القومية الواضحة المعالم والأبعاد يكون لها برنامج دقيق وأهداف محددة.

ثالثاً: فشل القوى العربية فى توحيد قواها لتضعها في خدمة أهدافها القومية المشروعة وأن يشكلوا كياناً عربياً مسئولاً يتحمل عبء هذه المواجهة المصيرية.

رابعاً: ترك المجال لإسرائيل لتستقطب غالبية الرأي العام العالمي وتفوز بعطفه ومؤازرته قبل وأثناء العدوان وبعده مباشرة[24].

يرى الباحث أنَّ الحرب نشبت في سياق مواجهة متصلة من خلال نزاعات بين الدّولالعربيّة وإسرائيل وبين الولايات المتحدة والإتّحاد السوفيتي وبين البلدان العربيّة بعضها البعض (أو ما يسمى بالحرب العربيّة الباردة)، وقد مثّلت الحرب بالنسبة لإسرائيل قاعدة للسّلام فقد غيّرت الحرب الصراع العربي الإسرائيلي من تصادم مصيري إلى نزاع حدودي، وقد أكّد على ذلك قرار مجلس الأمن رقم 242 الصّادر بتاريخ 1967/11/22م والّذي قضى بالإعتراف بإسرائيل مقابل منحهم العرب الأراضي الّتي إحتلتها، أمّا بالنّسبة للعرب فقد عجّلت الحرب بسقوط الوحدة العربيّة والنّاصرية والإشتراكيّة والّتي كانت في تراجع ولكنّها لم تكن لتبقى بغيرها أيضاً، وإبتدأ الإسلام السّياسي يلعب دوراً حاسما.

جهود السُّودان لقيام المؤتمر

الوضع العربي - العربي قبل حرب 1967م:

إنقسمت الدّولالعربيّة عشية حرب 1967م بين دول عربيّة تقدمية ودول أخرى محافظة[25] وذلك بسبب صراع الحرب الأهلية في اليمن، إضافة إلى مناخ الحرب البادرة بين الولايات المتحدة والإتّحاد السوفيتي[26].

وقد لعبت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتّحاد السوفيتي دوراً كبيراً في

إزدياد حدة الصراع بين العرب،فقد مثلت مصر في عهد عبدالناصر بالنسبة للمملكة العربيّة السعودية تهديداً كبيراً ففي سوريا كان نفوذ عبدالناصر طاغياً حتى إنّه ضمها إليه في الجمهورية العربيّة المتحدة عام 1958م، وإزداد شعور السعوديّة بالخطر بعد إطاحة النظام الملكي في العراق عام 1958م وبداية الحديث عن تشكيل إتّجاه ثلاثي يضم مصر وسوريا والعراق.وما إن نجح السعوديييين في مؤزارة الهاشميين في إسقاط الوحدة السورية، حتي فتح عبدالناصر جبهة صراع جديدة مع السعودية في اليمن عام 1962م حيث توجه إلى دعم قوى الثورة التي أطاحت نظاماً محافظاً آخر في المنطقة هو نظام الإمامة الزيدية التي كان يقودها محمد البدر بن يحي حميد الدين[27].

ألقى الإستقطاب الأيديولوجي على عاتق السعودية مهمة قيادة التيار المحافظ في النظام العربي في مواجهة حادة مع مصر، ولجأت السعودية لإستخدام الدين أملاً في أن تحقق النّصر على الأيدولوجيات العلمانيّة الأخرى التي سيطرت على النظام العربي منذ نشأته، ونشطت السعودية نشاطاً كبيراً لحث الدّول الإسلامية والعربيّة على الدخول في حلف إسلامي[28] يكون نقيضاً للجامعة العربيّة، وحظيت فكرة السعودية بتعاطف واشنطن ولندن اللتين كانتا تعتبران الدين حائلاً دون إنتشار الأفكار الإشتراكية والتحررية[29].

يرى الباحث انّ عداء العرب غيرالموزون وبخاصة الدّول الإشتراكية وعلى رأسها مصر للولايات المتحدة والغرب والإبتهاج والفرح بصداقة الإتّحاد السوفيتي أوقع العرب في مزيد من الضعف والهوان والإختلاف، وقد باعد بين العرب وبين إتخاذهم موقفا متوازنا بين الكتلتين وبين التعرف علي حقيقة مشكلتهم لذا كان من الضروري التوسط وعدم الانجرار إلى الوقوع في براثن إحدى الكتلتين.

فقد وصلت درجة التوتر المتصاعدة في منطقة العالم العربي في أوائل مايو 1967م إلى درجة يمكن أن تؤدي إلى نوع من إندلاع العنف العسكري وذلك لأن النزاع بين كل من التقدميين والمحافظين العرب قد وصل إلى أقصى درجات التّوتر[30].

وقد وصف مالكوم كير حالة العلاقات العربيّة-العربيّة في فترة ما قبل اندلاع حرب 1967م «بالحرب العربيّة الباردة» وذلك لأنها شهدت عدداً من الخلافات العربيّة-العربيّة تمظهرت في شكل حملات إعلامية قاسية دون مظاهر صراعية محددة، ربما بإستثناء حرب اليمن[31].

الجهود الدبلوماسية لتقريب وجهات النظر العربيّة لعقد مؤتمر القمة

مؤتمر وزراء الخارجيّة العرب بالكويت:

إقترح هذا المؤتمر الملك الحسن عاهل المغرب ليكون كمرحلة إعدادية مستعجلة لتتولى التمهيد لعقد مؤتمر القمة بإتخاذ التدابير الفورية التي من شأنها أن تحقق محو آثار العدوان وإنسحاب الجيوش الإسرائيلية من الأراضي التي إحتلتها وتنسيق سياسة الدّول العربيّة تجاه

الدّول الكبرى في سبيل ذلك وكان من رأي العاهل المغربي أنه بعد هذه المرحلة يمكن لمؤتمر القمة أن يكون ذا فائدة في مواجهة بناء المستقبل على أسس موحدة متناسقة[32].

عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالكويت في 1967/6/17م حيث ترأس الإجتماع الشيخ صباح الأحمد الجابر وزير خارجية الكويت وحضره ممثلوا أعضاء الجامعة العربيّة الثلاث عشرة دولة آنذاك[33] وقد إنضم إليهم أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية[34].

شهد إجتماع الوزراء العرب إختلافات عديدة في وجهات النظر، خاصة حول ضخ البترول لأن النفط هو أهم سلاح في يد العرب إذا ما أرادوا تشديد الخناق على الدّول الإستعمارية التي ساعدت إسرائيل في عدوانها، وبناء على ذلك ركّز عدد من رؤساء الوفود العربيّة في المؤتمر خاصة السُّودان والجزائر وسوريا والعراق على ضرورة إستخدام هذا السلاح العربي القوي ضد الدّول المعتدية، وظهر منذ الوهلة الأولى أنّ موقف الدّول المنتجة للنفط وهي الكويت والسعودية وليبيا يسوده الكثير من الغموض وعدم الوضوح[35].

كما كان هناك إصرار من بعض الدّول وعلى رأسها السُّودان[36] والجزائر ومصر وسوريا على أن تقطع جميع الدّولالعربيّة علاقاتها مع أمريكا وبريطانيا[37] إضافة إلى معاداة الدّولالعربيّة لأعداء العرب ومصادقة أصدقائهم، إلاأن هذه المطالب قوبلت بالرفض من بعض الدّولالعربيّة وعلى رأسها السعودية وتونس وإنتهى إجتماع الكويت بدون أي قرارات أو بيان ختامي، حيث تم الإتفاق على متابعة المداولات في نيويورك[38].

مؤتمر الأمم المتحدة (الجمعية العامة الطارئة):

عقب إجتماع الكويت اتّجه وزراء الخارجية العرب إلى نيويورك وذلك لحضور الدورة الطارئة للجمعيّة العامّة للأمم المتحدة والّتي جاءت بطلب من الإتّحاد السوفيتي لمناقشة العدوان الإسرائيلي على العرب، عقد وزراء الخارجية العرب إجتماعاً فورياً لتخطيط إستراتيجيتهم في الدورة الطارئة، وقد إختار وزراء الخارجية العرب محمد أحمد محجوب ناطقاً بإسمهم[39].

عملت الوفود العربيّة لإستمالة الجمعية العامّة إلى موقفها وهو ألا تكون هناك مفاوضات ولا تسوية ولا إعتراف بإسرائيل قبل جلاء قواتها التام من الأراضي المحتلة، إلا أن جميع المناورات والمحاولات للتوصل إلى تسوية مقبولة قد باءت بالفشل[40].

ونتيجة لعجز الجمعية العمومية عن إتخاذ قرار غير مشروط في دورتها الطارئة فقد أرجعت القضية كلها إلى مجلس الأمن وعلى الرغم من أنه لم يتحقق شيء من وجهة النظر العربيّة إلا أنه قد حدث بعض التقارب بين الرؤساء والملوك العرب[41].

إن فشل العرب في تحقيق شيء يذكر في الأمم المتحدة يرجعه الباحث للإتّحاد السوفيتي وهو صاحب الدعوة لإنعقاد الجمعيّة العامّة، وكأنّه يريد للعرب أن ينهزموا في كلّ مجال فتسوقهم هذه الهزائم إلى التّعويل عليه والتّبعية له، فيضمن بذلك إستمرار المؤيدين له من

العرب في صراع الحرب الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

جهود السُّودان لعقد مؤتمر القمة العربي:

وقف السُّودان ومنذ ظهور نذر الحرب بكل إمكانياته مع دول المواجهة، وتكونت عدة هيئات لتعبئة الشارع السُّوداني[42] والوقوف مع الدّول المتضررة، وبعد الحرب إستمرت الجهود الرسمية والشعبية التي شملت كل المجالات فقد نددت جميع الأحزاب السياسية والهيئات بالعدوان، كما قام العديد من الشخصيات السياسية بزيارات لدول المواجهة لتقديم الدعم المعنوي والمادي للدول المتضررة من العدوان الأمر الذي جعل السُّودان أكثر أهلية لإستضافة مؤتمر يجمع الزعامات العربيّة[43].

وقد تبدت جهود السُّودان لعقد مؤتمر القمة العربي في الآتي:

أوّلاً: تبنيالسُّودان لفكرة عقد مؤتمر للقمة العربي:

بدأ التفكير في عقد مؤتمر قمة عربيّة بمجرد وقوع الهزيمة، فقد تلقى الرئيس إسماعيل الأزهري

رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر يقترح فيها عقد مؤتمر قمة للرؤساء والملوك العرب وقد وافق الرئيس الأزهري على عقد المؤتمر حال إنتهاء الأزمة الراهنة، كما إقترح عقد المؤتمر بالخرطوم، ووافق الرئيس عبدالناصر على هذا الإقتراح[44].

وتواصلت جهود السُّودانحول بحث فكرة عقد مؤتمر للقمة في مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالكويت

والتي قادها محمد أحمد محجوب وزير الخارجية، وحظيت فكرة المؤتمر بموافقة عامة[45].

وفي ذات الإطار شارك السُّودان في إجتماعات القاهرة في 1967/7/12م[46]حيث قدم المحجوب الذي عاد من نيويورك للمؤتمرين عرضاً وافياً لكل ما جرى في الأمم المتحدة مضيفاً إلى ذلك تحليله للوضع السياسي مؤكداً الحاجة الماسة إلى قمة عربيّة كاملة[47].

حينها إقتنع المؤتمرون أنّه لا أمل في التّوصل إلى حل سياسي عن طريق الأمم المتحدة، فوافقت القمة الصغيرة في القاهرة للنظر في إقتراح السُّودان لعقد قمة عربيّة في الخرطوم[48].

ثانياً: تقنية الأجواءالعربيّة-العربيّة:

كان السُّودان مهتماً بتنقية الأجواء العربيّة حتّى يمهد بذلك للقاء القمة العربي بالخرطوم، فقد لعب السُّودان دوراً كبيراً في خلق بعض التّقارب بين الرؤساء والملوك العرب فقد حاول السُّودان التقريب ما بين مصر والمملكة العربيّة السعودية وما بين الأردن وسوريا لما كانت بينهما من خلافات[49].

كما قام السُّودان بإرسال مبعوث خاص[50] إلى العاهل السعودي من أجل إقناع المملكة

للمشاركة في المؤتمر، خاصة بعد التشدد الذي أبدته المملكة بحجة أنه تم إهمال لعدد من الدّول العربيّة في المؤتمر الآنف الذكر،وقد وفق السُّودان في مهمته، فقد أعلن العاهل السعودي عن حضوره للقمة العربيّة وأن المملكة ستقف مع الدّولالعربيّة على أسس متينة، وأنها - أي المملكة - لن تخرج عن الإجماع العربي في أي موضوع[51].

وفي خاتمة جهود السُّودان لعقد المؤتمر تمت إتصالات مهمة بين القادة والزعماء العرب على نطاق واسع تمهيداً لإجتماع مؤتمر القمة العربيّة، وقد كانت هذه الإتصالات ناجحة وشملت كل الجهات وأدت إلى إقتناع تام بين الزعماء العرب على ضرورة عقد مؤتمر للقمة العربي[52].

إنّ إتفاق العرب علي ضرورة عقد مؤتمر للقمة العربي ربما يعود ذلك بالأساس للغضب الشعبي العربي للهزيمة لذا أرادت الحكومات العربيّة أن تمتص ذلك الغضب الشعبي، هذا بالإضافة إلى رغبة مصر القويّة لعقد المؤتمر والذي مثل لها خروجاً من عنق الزجاجة ولأنّها كانت اكثر الدّول الّتي تأثرت بالعدوان الإسرائيلي سياساً وعسكرياً وإقتصادياً، وقد ظهرت هذه الرغبة عندما طلبت من السُّودان العمل على عقد موتمر للقمة.

مؤتمر القمة العربي بالخرطوم أغسطس/سبتمبر 1967م

أسباب اختيار الخرطوم لعقد مؤتمر القمة:

هناك عدة أسباب جعلت العرب يوافقون على السُّودان لإنعقاد القمة بالخرطوم وهي:

أولاً: وقوف السُّودان بكل قطاعاته مع القضية العربيّة فكان السُّودان من أوائل الدّول التي أعلنت الحرب على إسرائيل وقطعت علاقاتها مع الولايات المتحدة وبريطانيا، وسحبت أرصدتها من الدّول المعادية للعرب.

ثانياً: تبنت إقتراح عقد مؤتمر للقمة بالخرطوم، وبادرت في مؤتمر الكويت بتقديم مشروع درء آثار العدوان[53].

ثالثاً: بعد السُّودان عن المحاور والخلافات العربيّة - العربيّة.

لذا كانت الخرطوم الموقع الوحيد المقبول سياسياً للمؤتمر لدى الزعماء العرب المحافظين والتقدميين وذلك لأنه كانت ستظهر إعتراضات على أي عاصمة عربيّة أخرى تستضيف زعماء العرب جميعاً[54].

بعدها شرعت الحكومة السُّودانية في التحضير لعقد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم وذلك بالدعوة لمؤتمر وزراء الخارجية العرب الأول بالخرطوم وتوجيهها للدعوات من خلال برقيات إلى وزراء الخارجية العرب لعقد مؤتمرهم المزمع في يوم 1967/8/1م[55].

كما أعدت الحكومة السُّودانية مشروعاً لجدول أعمال المؤتمر والذي تمثل في الآتي:

أوّلاً: بحث النّتائج التي أسفرت عنها مداولات الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة في دورتها الإستثنائية وإتخاذ التدابير التي يقتضيها الموقف.

ثانياً: العمل على جلاء القوات الإسرائيلية الفوري من الأراضي العربيّة وإستمرار العمل على تحقيق ذلك على الصعيد الدّولي.

ثالثاً: بحث وتقويم إمكانيات الدّول العربيّة لإستئناف القتال.

رابعاً: شرح مواطن الضعف التي سهلت العدوان لتلافيها في المستقبل.

خامساً: تضافر الجهود لإزالة آثار العدوان.

سادساً: الإستمرار في وقف ضخ البترول للدول التي ساندت العدوان.

سابعاً: تصفية القواعد العسكرية الأجنبية في البلاد العربيّة.

ثامناً: وضع خطة عربيّة شاملة بعيدة المدى ومتكاملة سياسياً وعسكرياً وإقتصادياً لدعم التضامن العربي وتحقيق الأهداف[56].

في يوم 1967/8/1م عقدت الجلسة الإفتتاحية لمؤتمر وزراء الخارجية العرب بالقصر الجمهوري بالخرطوم، وقد إختار الوزراء محمد أحمد محجوب رئيساً للمؤتمر، وقد خاطب المحجوب المؤتمر مناشداً العرب في أن يضعوا خطة موحدة لمواجهة الإعتداء في الشرق الأوسط على أن تبحث خطة المعركة في إجتماع القمة المقترحة، كما شدد على مسألة الوحدة العربيّة تشديداً مطلقاً[57].

أصدر المؤتمر بيانه الختامي في 1967/8/5م وتلاه محمد أحمد المحجوب رئيس المؤتمر وجاء فيه «أن الوزراء إتخذوا في مؤتمرهم التوصيات اللازمة لتصفية الجو العربي وإتخاذ الخطوات السياسية والعسكرية والإقتصادية لمجابهة الأزمة التي تمر بها البلاد العربيّة[58].

وأضاف البيان أن الوزراء إتفقوا على أن يجتمع وزرا المال والإقتصاد والبترول العرب في بغداد يوم 8/15/ لتحديد وتقييم الإقتصادي العربي في المرحلة الحالية[59].

كما وافق المؤتمر على مشروع جدول أعمال مؤتمر القمة العربيّة مبدئياً كما وافق على أن تستأنف جلساته في الخرطوم في 1967/8/26م لإقرار جدول الأعمال بشكله النهائي ورفعه لمؤتمر القمة الذي أوصى المؤتمر بإنعقاده في الخرطوم[60].

مؤتمر وزراء الخارجية العرب الثاني بالخرطوم 26-1967/8/29م:

إفتتح المحجوب مؤتمر وزراء الخارجية العرب الثاني وأكد إنعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الخرطوم في موعده المحدد ونادى بالتضامن العربي وعبر عن تفاؤله بنجاح المؤتمر القادم[61].

ناقش المؤتمر مقترحات مؤتمر وزراء النفط والمال والإقتصاد العرب الذي عقد ببغداد من

15-20 أغسطس 1967م، والذي أوصى بوقف ضخ النفط كلياً وإلى أجل غير محدود إلى أن تزال آثار الإعتداء الحربي وقد أوصى بعدة إجراءات لتخفيف أثر هذه الخطوة في إقتصاد الدّول المنتجة للنفط[62].

كما أوصى بأنه إذا رؤي عدم الأخذ بهذه التّوصية فعلى الدّول العربيّة المصدرة للنفط والتي يكون البترول دخلاً رئيسياً لها أن تجتمع لتقرير ما يمكن إتخاذه من وسائل فعَّالة[63].

كما تضمن النقاش حول مقررات مؤتمر بغداد الإجراءات المالية لسحب الأموال العربيّة من منطقتي الدّولار والإسترليني وخفض الإستثمارات العربيّة في هاتين المنطقتين بطريقة تضمن عدم تسرب الأموال العربيّة إلى أسواقها وتحويل إحتياطي الذهب العربي من بريطانيا والولايات المتحدة إلى أماكن أخرى وتحويل كل الإستثمارات الحكومية العربيّة إلى الأسواق العربيّة كلما كان ذلك ممكناً، وتأسيس مجمع احتياطي من العملة الأجنبية للبلاد العربيّة وصندوق تنمية عربي[64].

وبعد إنتهاء النقاش حول توصيات مؤتمر بغداد كونت لجنة من السُّودان والأردن وليبيا لصياغة جدول الأعمال للقمة العربيّة فتم التأكيد على ما اتفق عليه من أجندة للمؤتمر في مؤتمر وزراء الخارجية العرب الأول الذي عقد بالخرطوم في الفترة من 1-1967/8/5م.

واجهت المؤتمر عدداً من المشكلات قبل إنعقاده تمثلت في احتجاج الجامعة العربيّة على إنعقاده خارج إطارها، وذكرت الجامعة في مذكرة[65] إحتجاج بعثتها للحكومة السُّودانية بأن ذلك يتعارض مع قوانين الجامعة ومواثيقها[66] إلا أن السُّودان قام بإرسال دعوة إلى الأمين العام للجامعة عبد الخالق حسونة لحضور جلسات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الأول 1967م[67].

كما أرسل أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية رسالة إلى وزارة الخارجية السُّودانية بتاريخ 1967/7/26م تعبر عن إنزعاج المنظمة لعدم تسليم دعوة مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالخرطوم، فردت سكرتارية المؤتمر على ذلك بأن المنظمة لن يتم تجاهلها ومكانها ثابتاً في مؤتمر القمة، فقامت وزارة الخارجية السُّودانية بتوجيه الدعوة بالحضور للمنظمة وأخطر مدير مكتب المنظمة بالخرطوم بذلك[68].

محاولات مؤتمر القمة العربية بالخرطوم 29/ 8/ الي1-9-1967م:

بدأ المؤتمر جلساته في يوم 1967/8/29م وحضره كل من الملك حسين ابن طلال عن الأردن، إسماعيل الأزهري عن السُّودان، عبد الرحمن عارف عن العراق، الملك فيصل بن عبد العزيز عن المملكة العربيّة السعودية، جمال عبد الناصر عن مصر، عبد الله السلال عن اليمن، أحمد الشقيري عن منظمة التحرير الفلسطينية، صباح السالم الأحمد الصباح عن الكويت، شارل حلو عن لبنان، الأمير الحسن الرضا ولي عهد ليبيا، والباهي الأدغم ممثلاً للحبيب بورقيبة عن تونس، عبد العزيز بوتفليقة ممثلاً للرئيس الجزائري هواري بومدين عن الجزائر، ومحمد بن

هيما رئيس الوزراء المغربي ممثلاً للملك الحسن الثاني عن المغرب[69]*.

إفتتح الرئيس الأزهري مؤتمر القمة العربيّة وحيا الملوك والرؤساء وأكد عزم العرب وتصميمهم على مواصلة النضال لمحو آثار العدوان الإستعماري الصهيوني، ونادى بضرورة الإرتفاع إلى مستوى المسئولية من أجل إرساء أسس الوحدة العربيّة، بعدها تم إختيار الأزهري رئيساً للمؤتمر بالإجماع كما تمت إجازة جدول الأعمال الذي أجازه مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالخرطوم[70].

كان تركيز المؤتمر وكل نقاشاته حول كيفية إزالة آثار العدوان سياسياً وإقتصادياً وعسكرياً، إضافة إلى العمل على وحدة الصف العربي وقد تبدّى ذلك من خلال الآتي:

أولاً: إزالة العدوان وآثاره ويمكن حصره في:

أ/ إزالة أثار العدوان سياسياً:

دام النقاش حول كيفية إزالة آثار العدوان سياسياً طويلاً، فقد ناقش المؤتمر كيفية توحيد الجهود العربيّة في العمل السياسي والدبلوماسي خاصة على الصعيد الدّولي، وكذلك ناقش خروج إسرائيل وانسحابها من الأراضي العربيّة[71].

فقد إقترح جمال عبد الناصر خلال المناقشة أن يسمح للملك حسين بالعمل شخصياً لتسوية من جانب واحد مع إسرائيل فيما يختص بالأردن لكن الملك حسين رفض ذلك وقال أن أي تسوية يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من تسوية عربيّة شاملة[72].

أدى ذلك إلى ظهور مخاوف من أن تؤدي التسوية السلمية إلى مفاوضات مع إسرائيل مباشرة أو غير مباشرة، لذا أقر المؤتمرون عدم الصلح أو الإعتراف بإسرائيل وعدم التفاوض معها، وكذلك قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان على أساس أن الأرض المحتلة عربيّة يقع عبء إستردادها على الدّول العربيّة جمعاء، كما وافق المؤتمرون على ضرورة توحيد جهودهم في العمل الدبلوماسي والسياسي على الصعيد الدّولي لإزالة آثار العدوان سياسياً، وتأمين إنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربيّة التي إحتلتها بعد 5 يونيو وذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدّول العربيّة وهي لا صلح ولا إعتراف ولا تفاوض[73].

ب/ إزالة آثار العدوان إقتصادياً:

وقد ناقش المؤتمرون كيفية إزالة آثار العدوان إقتصادياً وتركز النقاش حول أمرين أساسيين هما سلاح البترول وضخه ومسألة التعويضات للدول المتضررة من الحرب.

1/ سلاح البترول وكيفية إستخدامه:

كان مؤتمر وزراء المال والإقتصاد والبترول العرب الذي عقد في بغداد من 15-20 /1967/8م، قد أوصى بإمكانية إستخدام وقف ضخ البترول كسلاح[74]، وحينما بدأ مؤتمر القمة في مناقشة إستخدام سلاح البترول في المعركة كان من المتوقع أن تحدث بعض الخلافات التي من شأنها أن

تخلق جواً من التوتر وذلك بسبب الإختلافات في وجهات النظر حول هذا الأمر[75].

فالدّول المنتجة للنفط كانت ترى أن وقف الضخ يضر بإقتصادها بينما كانت العراق واليمن والجزائر تصر على وقف الضخ، وكان واضح أن دول البترول لن تتزحزح عن موقفها كما وضح ذلك من خلال المناقشات أثناء المؤتمر وقبله[76].

كان رأي جمال عبد الناصر في ذلك الأمر أن سلاح البترول مهم في المعركة لكن لا ينبغي أن يتخذ قرار بمنع الضخ إذا ما كان هناك أدنى إعتراض على ذلك، لأن أي قرار لا يتخذ عن إقتناع لن يكون مثمراً وقد لا يطبق، كما ذكر أنهم لا يطالبون أي شخص بأن يفعل أكثر مما يستطيع ولذلك فأنّه إذا رؤى إستمرار ضخ البترول فلا بأس، شريطة أن يؤدي ذلك من جهة أخرى إلى دعم الموقف العربي وإزالة آثار العدوان[77].

لذا رأى مؤتمر القمة بعد دراسة الأمر جلياً إن الضخ يمكن أن يستخدم كسلاح إيجابي بإعتبار أن البترول طاقة عربيّة يمكن أن توجه لدعم إقتصاد الدّول العربيّة التي تأثرت مباشرة بالعدوان ويمكنها من الصمود، لذا قرر المؤتمر إستئناف ضخ البترول لتسخيره في خدمة الأهداف العربيّة[78].

ناقش المؤتمر إستخدام سلاح البترول كسلاح إيجابي وعدم إيقاف ضخه، وذلك للإستفادة من عوائده في دعم إزالة آثار العدوان وقد إتفق الزعماء العرب على ذلك، إلا أننا نجد أن الإستراتيجيّة العربيّة حول النفط إختلفت في حرب أكتوبر 1973م، فقد قامت الدّول العربيّة المنتجة للنفط بعد الحرب بإعلان حظر نفطي لدفع الدّول الغربية لإجبار إسرائيل علي الإنسحاب من الأراضي العربيّة المحتلة في حرب 1967م، فقد بدأ الإتفاق على خفض الإنتاج من النفط حتى وصل إلى حظر تصدير النفط إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتي تضررت بشكل واضح من ذلك القرار، مما جعل العرب يطلبون منها إيقاف دعمها لإسرائيل. وهنا يتضح الفرق مابين إستخدام النفط في الحربين سنة 1967م و1973م، فنجد أنّ النفط إستخدم في حرب أكتوبر كغطاء إقتصادي للعمل العسكري الذي تمّ حيث ساهم في تثبيت الإنتصار الذي تحقق.

2/ التعويضات للدول المتضررة من الحرب:

كما ناقش المؤتمر أمر الدّول المتضررة من جراء الحرب، فقد تحدث جمال عبد الناصر عن حوجته للدعم المالي لأنهم مصرين على السير في طريق الحرب والنضال الذي يحتاج إلى إعادة بناء القوة العسكرية التي تتطلب الدعم المالي[79]، وإتفق الملك حسين مع الرئيس عبد الناصر في حوجته للدعم المالي[80] بعد ذلك جرى تحديد لإحتياجات الدّول العربيّة التي تكبدت خسائراً وأضراراً مباشرة نتيجة لحرب 1967م[81].

وقرر المؤتمر مساهمة للدول المتضررة لإزالة آثار العدوان أن تلتزم كلّ من المملكة العربيّة السعودية والكويت والمملكة الليبية بدفع مبالغ محددة[82] سنوياً ومقدماً عن ثلاثة أشهر إبتداءً

من منتصف أكتوبر 1967م وحتى إزالة أثار العدوان[83].

3/ إزالة العدوان عسكرياً:

ناقش المؤتمر كيفية إزالة آثار الحرب عسكرياً، فقرر المؤتمر إتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الإمداد العسكري لمواجهة إحتمالات الموقف، وسرعة تصفية القواعد الأجنبية في الدّول العربيّة[84].

ثانياً: وحدة الصف العربي:

لم يكن مؤتمر الخرطوم مؤتمراً لإزالة آثار العدوان فحسب وإنما كان مؤتمراً للمصالحة العربيّة بين الدّول التقدمية والدّول العربيّة التقليدية، وهذا هو مفتاح المؤتمر وهنا تكمن التفسيرات للطريق الذي سلك والنتائج التي توصل إليها[85].

وإيماناً من السُّودان بضرورة التّضامن العربي ووحدة الصّف للوقوف أمام إسرائيل ومخططات الدّول الإستعمارية فقد ساهم السُّودان في حل مشكلة اليمن[86]التي خلقت الجفوة بين المملكة العربيّة السعودية ومصر، فكانت محاولات الصلح التي قادها محمد أحمد المحجوب[87] للوساطة بين مصر والمملكة العربيّة السعودية حيث تم في يوم 1967/8/3م الإجتماع بين الملك فيصل العاهل السعودي والرئيس جمال عبد الناصر في منزل المحجوب، وتم الإتفاق على خطة لإنهاء الحرب الأهلية في اليمن، كما اتفق على تكوين لجنة ثلاثية مهمتها وضع التخطيط الذي يضمن إنسحاب قوات مصر من اليمن ووقف المساعدات العسكرية عن جميع اليمنيين[88] وأن تساعد اللجنة اليمنيين لتحقيق الإستقرار حسب رغبات المواطنين في حدود السيادة والإستقلال التام، وأن تتشاور اللجنة مع كل من الجمهورية العربيّة المتحدة والمملكة العربيّة السعودية في جميع العقبات التي تعترضها بغرض إيجاد حل لها والوصول إلى تسوية مرضية لكل الأطراف المعنية بهدف إزالة الشقاق ووقف إراقة الدماء العربيّة وتامين الوحدة العربيّة[89].

وقد إنعكس الصلح الذي تم بين الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل على حقيقة إستراتيجيّة مهمّة وضحت من خلال حرب اكتوبر 1973م وذلك عندما قادت المملكة العربيّة السعودية حظر النفط على الولايات المتحدة الأمريكية، فقد عكس ذلك أن التنسيق الشامل يمكن أن يحقق الكثير من الأهداف والمصالح العربيّة العليا.

بعد ذلك خرج البيان الرسمي لمقررات وتوصيات المؤتمر والتي شملت:

أولاً: أكد المؤتمر على وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي وتصفيته من جميع الشوائب كما أكد الملوك والرؤساء والممثلون إلتزام بلادهم بميثاق التضامن العربي الذي أصدره مؤتمر القرمة العربي الذي عقد في الدار البيضاء وتطبيقه.

ثانياً: قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان على أساس أنّ الأراضي

المحتلة أراضي عربيّة يقع عبء إستردادها على جميع الدّول العربيّة.

ثالثاً: إتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم في العمل السياسي على الصعيد الدّولي والدبلوماسي لإزالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربيّة التي إحتلها بعد 5 يونيو وذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدّول العربيّة وهي: عدم الصلح مع إسرائيل أو الإعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه.

رابعاً: كان مؤتمر وزراء المال والإقتصاد والنفط العربي قد أوصى بإمكانية إستخدام وقف ضخ البترول كسلاح في المعركة ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الأمر ملياً إن الضخ نفسه يمكن أن يستخدم كسلاح إيجابي بإعتبار البترول طاقة عربيّة يمكن أن توجه لدعم اقتصاد الدّول العربيّة التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود في المعركة فقرر المؤتمر إستئناف ضخ البترول بإعتباره طاقة عربيّة إيجابية يمكن تسخيرها في خدمة الأهداف العربيّة وفي الإسهام في تمكين الدّول العربيّة التي تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد إقتصادية تمكنها من الصمود لإزالة آثار العدوان.

خامساً: أقر المجتمعون المشروع الذي تقدمت به الكويت لإنشاء صندوق الإنماء الإقتصادي والإجتماعي العربي طبقاً لتوصية مؤتمر وزراء المال والإقتصاد والنفط الذي عقد في بغداد.

سادساً: قرر المجتمعون ضرورة إتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الإمداد العسكري لمواجهة كافة إحتمالات الموقف.

سابعاً: قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الأجنبيّة في الدّول العربيّة[90].

ويعتبر مؤتمر الخرطوم والذي سمي فيما بعد بمؤتمر الصمود من أنجح مؤتمرات القمة العربيّة على الإطلاق حيث أسهمت قراراته في إعادة الثقة إلى نفوس العرب[91].

كما كانت للمؤتمر تأثيرات عديدة على المستوى العربي والدّولي، فعلى المستوى العربي تطور الموقف السياسي والعسكري في الوطن العربي بعد المؤتمر حيث إزداد التقارب بين أغلب الدّول العربيّة وترسخ إحساسها بمدى الخطر المتربص بها، ثم بدأ العمل على رفع القدرات العسكرية العربيّة إلى مستوى أفضل من الكفاءة وأصبح شعار هذه المرحلة هو حشد كل الطاقات والإمكانات لإزالة آثار العدوان[92].

فكوّنت لجنة برئاسة محمد أحمد محجوب وعضويّة كلّ وزراء الخارجية العرب لمتابعة القضية العربيّة في الأمم المتحدة والتنسيق مع الدّول الصديقة من أجل توحيد المواقف والخروج بقرارات تخدم القضية العربيّة في ذلك، وبالفعل فقد أصدر مجلس الأمن في التوصل

إلى قراره الشهير (242) في 1967/11/22م والذي تضمن لأول مرة منذ وقوع العدوان شجباً لإحتلال أراضي الغير بالقوة وطالب بإنسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة[93].

أما إسرائيل فقد أخطأت في تصورها لسير الصراع عندما إنتهت جولة يونيو 1967م بعد أن تصورت أن العرب لم يبق أمامهم سوى الإستسلام، إلا أنّه وبعد نهاية مؤتمر قمة الخرطوم 1967م ومقرراته القوية قامت إسرائيل بإلغاء قرارها الخاص بإستعدادها لإعادة الأراضي العربيّة المحتلة في عام 1967م مقابل سلام مع العرب، وأكد ذلك ليفي اشكول(94)بأن على إسرائيل البحث عن حدود طبيعية لها بعد قرارات القمة العربيّة في الخرطوم[95].

أما الولايات المتحدة فقد ضعفت ضماناتها الخاصة بالمحافظة على بقاء إسرائيل ودعم وجودها في المنطقة، بعد أن أصبحت أكثر إحجاماً على التورط في حرب عربيّة إسرائيلية قادمة[96].

ورغم ما خرج به المؤتمر من نتائج قوية وتأثيرات على كافة الأصعدة إلا إنه إفتقد للرؤية الثاقبة لحل الصراع، عندما خرجت بعض مقرراته بأن لاصلح ولا تفاوض ولا اعتراف بإسرائيل فالحل الأمثل للصراع العربي الإسرائيلي هو السلام لأن الحرب أوضحت أن العرب لا يحاربون دولة إسرائيل وحدها، وإنّما يحاربون من ورائها الولايات المتحدة والغرب، وقد أظهر ذلك بأنه لا يجب اللجوء الي السلاح، فكان علي العرب البحث عن حل بديل لخيار الحرب وتبني حلول أخرى، وقد ظهرت نجاعة خيار السلام عقب حرب أكتوبر 1973م بتوقيع مصر لإتفاق سلام مع إسرائيل، حيث إستعادة مصر أراضيها المحتلة من إسرائيل.

الخاتمة

مثلت مؤتمرات القمة العربيّة إحدى الوسائل الدبلوماسية التي يتخذها العرب لصنع قرارات مصيرية ومهمة، وقد كانت معظم القمم العربيّة التي عقدت نتاج للصراع العربي - الإسرائيلي.

إنعقد مؤتمر القمة الرابع بالخرطوم عقب حرب حزيران 1967م بغرض إزالة آثار العدوان سياسياً وعسكرياً وإقتصادياً، ولقد واجه العرب قبل إنعقاده عدة مشكلات لعل من أهمها الخلاف العميق بين الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل، إضافة لعدد من الخلافات العربيّة-العربيّة الأخرى، والتي لعبت الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتّحاد السوفيتي دوراً كبيراً في تأجيج تلك الخلافات.

ورغم كل هذه الظروف المحيطة فقد إنعقد المؤتمر وذلك بفضل الجهود التي بذلها السُّودان لإنعقاده والمتمثلة في تقريب وجهات النّظر بين الفرقاء العرب، إضافة إلى الأجندة الوفاقية التي تبنّاها المؤتمر والتي بفضلها خرج المؤتمر بتوصيات وقرارات حاسمة.

وكان من أهم القرارات التي خرج بها المؤتمر التأكيد على وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي وتصفيته من جميع الشوائب، وضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان على أساس أن الأراضي المحتلة أراضي عربيّة يقع عبء استردادها على جميع الدّول العربيّة. إضافة للتّمسك بالمبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدّول العربيّة وهي لا صلح، لا تفاوض، لا إعتراف بإسرائيل. والإستفادة من تسخير البترول كطاقة عربيّة إيجابية في الصراع لمصلحة العرب.

تميّزت القرارات التي خرج بها المؤتمر بأنها أخرجت العالم العربي من حالة الإحباط العام الذي أصابها من جراء الهزيمة إلى شعور بإمكانية الوحدة والتوافق، إلا أنّ مايؤخذ علي المؤتمر عدم تناوله لأصل الصراع والمشكلة والمتمثل في الإحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية وكانت كل نقاشات المؤتمرين حول تقديم حلول لمشاكل آنية واجهها العرب آنذاك.

وحتى القرارات والتوصيات التي خرج بها المؤتمر لم تجد حظها من التنفيذ وربما يعود ذلك الي عدم وجود آلية لتنفيذها،فقد كان لضعف الجامعة العربيّة وأجهزتها في تنفيذ ومتابعة توصيات المؤتمر دوراً كبيراً في ذلك، وليس ذلك فحسب فقد ظهر ذلك الضعف في عدم تفاعل الجامعة مع الأحداث العربيّة في حينها فقد إنعقد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم بعد ثلاثة اشهر من العدوان مما أدى إلى عدم الإستفادة القصوى من القرارات، وربما يعود ذلك التلكوء إلى أسباب متعلقة بالأداء التنظيمي للأمانة العامة للجامعة، أو لأسباب سياسة دوماً ما تتعلق بالإتفاق حول القضايا المصيرية مما يسهم في عدم التفاعل معها في حينها وبالشكل المطلوب، زد على ذلك المصالح المشتركة لبعض الدّول العربيّة مع الدّول الكبرى ساهمت في إبطاء وعدم تنفيذ عدد من قرارات المؤتمر.

وهناك أيضاً التواطؤ الدّولي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب مع إسرائيل ساهم بشكل كبير في إفشال قرارات المؤتمر القوية وذلك بالإلتفاف عليها بإصدار الأمم المتحدة للقرار 242 والذي إعترف ضمنياً بإسرائيل وأعطى العرب حق إستعادة أراضيهم مقابل الإعتراف والسّلام مع إسرائيل.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الآتي:

أولاً: أدي نجاح السُّودان في عقد المؤتمر وخروجه بتوصيات قوية إلى لفت أنظار إسرائيل إليه والتي تأكدت بأن السُّودان يمثل عمقاً إستراتيجياً لمصر، مما دفعها إلى تقديم مساعدات لحركات التّمرد في جنوب السُّودان قبل انفصاله، وإلى حركات دارفور الآن.

ثانياً: لم يتناول المؤتمر أصل القضية والمتمثل في الإحتلال الإسرائيلي لفلسطين لذا جاءت التوصيات آنية فقط لكيفية إزالة آثار العدوان ووحدة الصف العربي والذي حصره المؤتمر في الخلاف السعودي - المصري.

ثالثاً: افتقاد قرارات المؤتمر لرؤية إستراتيجيّة لحل الصراع العربي - الإسرائيلي، عكس إسرائيل التي كانت لها رؤية واضحة ومحددة وإستراتيجيّة في تبني خيار الأرض مقابل الاعتراف بها والسلام.

رابعا: أظهر المؤتمر ضعف الجامعة العربيّة وآلياتها وهياكلها في تفاعلها مع الأحداث في حينها ووضح ذلك في انعقاد المؤتمر بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الحرب،وظهر ذلك أيضاً في تنفيذ مقرارات المؤتمر.

خامسا:إن أجواء المصالحة الجدية التي تمت بين العرب في المؤتمر، وخاصة الصلح الذي تم بين الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل أكد علي حقيقة إستراتيجيّة مهمة وهي أن التّنسيق الشامل يمكن أن يحقق الكثير من الأهداف والمصالح العربيّة العليا، وقد وضح ذلك من خلال حرب أكتوبر 1973م عندما قادت المملكة العربيّة السعودية حظر النفط على الولايات المتحدة الأمريكية.

التوصيات:

أوّلاً: العمل على تفعيل دور الجامعة العربيّة وهيكلتها بشكل يتيح لها أداء مهامها علي أكمل وجه، وذلك بإدخال تعديلات جوهرية على النظام الأساسي يتيح للجامعة التفاعل مع القضايا المصيرية، إضافة لإمكانية جعل المقر دورياً حتى لا تقع الجامعة تحت تأثير دولة المقر.

ثانياً: وضع إستراتيجية عربيّة موحدة للتعامل مع إسرائيل تخاطب أصل المشكلة وتعمل على إيجاد حل عادل للمشكلة.

الهوامش

1. سلوى محمد لبيب: دبلوماسية القمة والعلاقات الدّولية الإفريقية، القاهرة دار المعارف،القاهرة،1980م، ص5.
2. محمد إبراهيم الحلو: العلاقات الدّولية دراسة في العوامل والظواهر وصنع القرار، ط1 دون دار نشر، 1987م، ص219-220.
3. وهو مشروع يأتي ضمن سياسة إسرائيل التوسعية في المنطقة بهدف أن تستوعب النقب أكبر عدد من المهاجرين فكان لابد من تعميرها عبر المشروع القومي للمياه وذلك لنقل مياه الأنهار الشمالية إلى الأراضي الصحراوية في الجنوب عن طريق قناة مكشوفة ومحطات ضخ وخزانات مياه.
4. محجوب محمد الحسن عروة: دور السُّودان في القضية الفلسطينية (1956-1970م)، دبلوم غير منشور، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1973، ص15.
5. طه المجذوب، هزيمة يونيو حقائق وأسرار من النكسة حتى حرب الاستنزاف دار الهلال،القاهرة، 1988م، ص59.
6. فاطمة إبراهيم محمد: دور الدبلوماسية السُّودانية في مؤتمر القمة الرابع بالخرطوم أغسطس - سبتمبر 1967م، ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1993م، ص13.
7. محجوب عروة، مرجع سابق،ص13.
8. طه المجذوب، مرجع سابق،ص43-44.
9. نفس المرجع ص72.
10. ناهد نور: العلاقات السُّودانية الفلسطينية، دبلوم غير منشور، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1988م، ص1.
11. بطرس غالي: المجابهة العربيّة الصهيونية، السياسة الدّولية،العدد 4،(1967م)، ص35.
12. ناهد نور، مرجع سابق، ص2.
13. جمال عبد الناصر(1/15/ -1918 1970/9/28م) هو أحد قواد ثورة يوليو 1952م التي أطاحت بالملك فاروق وهو ثاني رئيس لمصر في الفترة من 1956 حتى وفاته في 1970م، كان مؤيداً للعروبة ومناهضاً للاستعمار ودعم الثورات العربيّة في الجزائر، ليبيا، العراق واليمن وكان له دور رئيسي في تأسيس منظمة التّحرير الفلسطينية عام 1964م وحركة عدم الانحياز.
14. ناهد نور، مرجع سابق، ص3.
15. قوات الأمم المتحدة: وهي قوات للطوارئ تم نشرها في سيناء من قبل الأمم المتحدة

بعد العدوان الثلاثي على مصر.

16. ناهد نور، مرجع سابق، ص4.
17. جولانسي أدغر: الحرب الثلاثية بين العرب وإسرائيل،: المسلة العربيّة للنشر، بيروت،بدون تاريخ، ص69-70.
18. أحمد عبد الرحيم سالم الخلايلة: الإستراتيجيّة الأردنية وارتباطها بالقضية الفلسطينية (جذورها - حاضرها - مستقبلها)، المطابع العسكرية، عمان 1998م ص530.
19. وقد مكنتها هذه المساحات الجغرافية الشاسعة م تحسين وضعها الإستراتيجي وقدرتها على المناورة العسكرية ومكنتها لأول مرة منذ نشأتها من الاستناد في خططها الدفاعية الى موانع جغرافية طبيعية مثل مرتفعات الجولان ونهر الأردن وقناة السويس.
20. كان السلاح يأتي إلى إسرائيل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا.
21. احمد عبدالرحيمالخلايلة، مرجع سابق،ص504.
22. ناهد نور، مرجع سابق، ص3-4.
23. صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، الطبعة الثالثة دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت،197م، ص538.
24. طه المجذوب، مرجع سابق، ص141.
25. دول عربيّة تقدمية وتشمل مصر وسوريا والجزائر والعراق ودول أخرى ودول عربيّة محافظة وتشمل السعودية، الأردن والمغرب.
26. عبد المنعم سعيد: الوضع الدّولي بين حرب 1967م واليوم، الجزيرة نت 2007/5/28م،ص1.
27. مروان قيلان: صعود تنظيم الدّولة الإسلامية وتحولات النظام الإقليمي في المشرق العربي، مجلة سياسات عربيّة، يناير 2015م.، ص 9.
28. فكرة الحلف الإسلامي: هو حلف دعا إليه سراً الرئيس الأمريكي ايزنهاور في عام 1957م، وكانت أولى مهامه غزو سوريا وناقشها مع كل من الملك سعود والرئيس التركي جلال بايار، إلا أن انقشاع الأزمة السورية آنذاك وفشل محاولات.
29.)علي الدين هلال وجميل مطر:النظام الإقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربيّة، الطبعة الثالثة مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت،1983م ص85.
30. مالكوم كير: عبد الناصر والحرب العربيّة الباردة (1958-1970م)، ترجمة عبد الرؤوف أحمد عمرو،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م ص235.
31. نفس المرجع، ص8.
32. وزارة الخارجية 286/113/2 الإدارة العربيّة، مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالكويت، برقية من الملك الحسن، ص22-23.

33. والدّول هي المملكة الأردنية الهاشمية، الجمهورية التونسية، الجمهورية الجزائرية الشعبية، جمهورية السُّودان، الجمهورية العراقية، المملكة العربيّة السعودية، الجمهورية العربيّة السورية، الجمهورية العربيّة المتحدة، الجمهورية العربيّة اليمنية، دولة الكويت، الجمهورية اللبنانية، المملكة الليبية، المملكة المغربية.
34. محمد أحمد محجوب: الديمقراطية في الميزان،منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربيّة،الخرطوم، 2005م ص129.
35. خلافات في وجهات النظر حول ضخ النفط العربي،الأيام، 14 يوليو 1967م.
36. كان السُّودان قد قطع علاقاته مع أمريكا وبريطانيا بعد إعلان الحرب مباشرة.
37. فاطمة إبراهيم محمد، مرجع سابق ص46.
38. محمدأحمد محجوب،مرجع سابق ص130-131.
39. فاطمة إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص47.
40. محمد أحمد محجوب، مرجع سابق ص137.
41. فاطمة إبراهيم محمد، مرجع سابق ص48.
42. كانت هذه الهيئات تضم أحزاب الحكومة، والمعارضة، بالإضافة إلى الأحزاب الاشتراكية والمنظمات والنقابات والهيئات.
43.) فاطمة إبراهيم محمد،مرجع سابق ص41-42.
44. تواصل جهود السُّودان لعقد مؤتمر قمة عربي،الرأي العام، 1967/6/11م.
45. محمد أحمد محجوب، مرجع سابق ص137.
46. وقد ضمّت تلك الاجتماعات كل من الرئيس جمال عبد الناصر، والرئيس الجزائري هواري بومدين والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف والرئيس السوري نور الدين الأتاليس الذي انضم للمؤتمر في اليوم الثاني والرئيس إسماعيل الأزهري.
47. المحجوب يقدم عرضاً وافياً لمادار في الأمم المتحدة،الأيام،14 يوليو 1967م.
48. فاطمة إبراهيم محمد، مرجع سابق ص50.
49. محمد أحمد محجوب،مرجع سابق ص136.
50. المبعوث هو حسن محجوب مصطفى وزير الحكومة المحلية.
51. وصول المبعوث الخاص إلى السعودية، الصحافة، 1967/8/2م.
52. فاطمة إبراهيم محمد،مرجع سابق ص109.
53. نفس المرجع ص47.
54. محمد أحمد محجوب، مرجع سابق ص139.
55. وزارة الخارجية288/113/2 الإدارة العربيّة مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالخرطوم، الشؤون

الدّولية، جامعة عربيّة، بتاريخ 1967/7/23م، ص2.

56. وزارة الخارجية 289/113/2، الإدارة العربيّة، وقائع اجتماعات وزراء خارجية الدّولالعربيّة 1-1967/8/5م، ص4-5.
57. نفس المصدر، ص5.
58. عمر أحمد صديق:السُّودان والقضية الفلسطينية، دبلوم غير منشور، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1980م، ص54.
59. الوثائق العربيّة الفلسطينية، المجلد الثالث دار الطليعة، بيروت، 1967م ص540.
60. وزارة الخارجية 289/113/2، الإدارة العربيّة وقائع اجتماعات وزراء خارجية الدّول العربيّة، مصدر سابق، ص12.
61. إفتتاح مؤتمر وزراء الخارجية العرب الثاني،الأيام، 1967/8/27م.
62. وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية: وقائع اجتماعات مؤتمر وزراء خارجية الدّول العربيّة 26-1967/8/29، الخرطوم، 1967م، ص4.
63. فاطمة إبراهيم محمد،مرجع سابق ص95.
64. محمد أحمد محجوب، مرجع سابق ص147.
65. وزارة الخارجية 286/113/2، الإدارة العربيّة مؤتمر وزراء الخارجية العرب بالخرطوم، الشئون الدّولية، جامعة عربيّة، مذكرة جامعة الدّول العربيّة، ص7.
66. كان السُّودان يرى أن عقد المؤتمر خارج إطار الجامعة العربيّة يرجع إلى تجنب الروتين والبيروقراطية والتخوف من حدوث خلافات لا تحسمها الجامعة العربيّة بالسرعة المطلوبة.
67. وزارة الخارجية 286/113/2،الإدارة العربيّة، مصدر سابق، برقية رئيس الوزراء محمد أحمد محجوب إلى الأمين العام للجامعة العربيّة بتاريخ 1967/7/27م.
68. نفس المصدر، رسالة من وكيل وزارة الخارجية إلى مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالخرطوم بتاريخ 1967/7/29م.
69. عمر احمد صديق،مرجع سابق ص65.

* لم تحضر سوريا المؤتمر بسبب مشاركة الدّول التقليدية اليمنية فيه، كما أنها وصفت المؤتمر بأنه المنبر الأخير لدعاة تصفية قضية فلسطين.

70. وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، مؤتمر القمة العربي، مجلد السُّودان في كتيبات رقم (159)،1967م، ص12.
71. وزارة الخارجية المكتب التنفيذي 257/75/1، جلسات مؤتمر القمة العربي بالخرطوم 1-8/29/1967/9م، ص10.نفس المصر، ص18.

72. وزارة الخارجية 257/75/1 المكتب التنفيذي مؤتمر القمة العربي بالخرطوم، قرارات المؤتمر وتوزيعها، ص32.
73. وزارة الخارجية 254/75/1، المكتب التنفيذي اجتماع وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب، قرارات المؤتمر، ص17.
74. فاطمة إبراهيم محمد، مرجع سابق ص134.
75. الرأي العام تنشر أهم مداولات إجتماع وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب، الرأي العام، 1967/9/3م.
76. نفس المرجع.
77. وزارة الخارجية 256/75/1، المصدر السابق، قرارات المؤتمر وتوزيعها، ص41.
78. ناصر: مصرين على السيرِ في طريق الحرب والنضال، الصحافة، 1967/9/10م.
79. كانت مصر تخسر سنوياً 110 مليون ج بسبب حرمانها من دخل قناة السويس والسياحة وآبار سيناء، في حين أن الأردن كانت تحتاج لحوالي40 مليون ج لسد نفقات إدارة الدّولة، والمحافظة على الجيش وتزويد المواطنين في الضفة الغربية بالأغذية والرواتب.
80. محمد أحمد محجوب، مرجع سابق ص150.
81. اتفق أن تدفع المملكة العربيّة السعودية مبلغ 50 مليون ج إسترليني والكويت مبلغ 55 مليون ج إسترليني والمملكة الليبية مبلغ 30 مليون ج إسترليني.
82. وزارة الإعلام والشئون الاجتماعية، مؤتمر القمة الرابع بالخرطوم 29/8-1/9/1967م. الخرطوم، 1967م، ص34.
83. نفس المرجع، ص37.
84. عمر أحمد صديق، مرجع سابق ص 65.
85. كان السيد محمد أحمد محجوب قد أجرى اتصالات تمهيدية لذلك في القاهرة والرياض للوصول إلى تقارب في هذه المشكلة والتي بدأت وكأنها العقبة الرئيسية أمام انعقاد مؤتمر قمة عربي تشترك فيه القاهرة والرياض.
86. وهي الحرب التي بدأت في اوائل الستينيات واستمرت حتي العام 1967، بدأت الحرب بين أنصار النظام الجمهوري الذين سقطت المملكة المتوكلية، وهرب الإمام البدر إلى السعودية التي قامت بدعمه ومساعدته لإسترداد حكمه، فما كان إلا أن تدخل جمال عبدالناصر لصالح الجمهوريين ووقف ضد السعودية التي كان جمال يرى أنها خلف فض الوحدة بين مصر وسوريا.
87. وضع خطة لإنهاء الحرب في اليمن،الأيام، 1967/9/1م.
88. محجوب عروة، مرجع سابق ص25.

89. نفس المرجع ص27.
90. ناهد نور، مرجع سابق ص6.
91. طه المجذوب، ص142-143.
92. ناهد نور، مرجع سابق ص9.
93. هو رئيس الوزراء الإسرائيلي إبّان حرب 1967م.
94. محمد البحيري: حروب مصر في الوثائق الإسرائيلية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2011م، ص197.
95. طه المجذوب، مرجع سابق ص143

حبس المدين في الدعوي التنفيذية

د. بشير الريح حمد محمد

جامعة وادي النيل - كلية الشريعة والقانون - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز المملكة العربية السعودية كلية إدارة الأعمال - قسم القانون حالياً

المستخلص

جاءت هذه الدراسة بعنوان *حبس المدين في الدعوي التنفيذية* وقد هدفت الدراسة لإلقاء الضوء علي أن حبس المدين يعد وسيلة من وسائل التنفيذ الجبري، الهدف منها هو الضغط على المدين المماطل للوفاء بدينه, ونظرا لأهميته؛ لكونه يمس الحرية ويقيدها. لذلك القوانين وضعت إجراءات محددة وشروط معينة ينبغي توافرها لإيقاع الحبس؛ كما هدفت إلي بيان أن الحبس وسيلة مجدية وفعالة ولكن ألا يلجأ إليها إلا إذا لم تجدي وسائل التنفيذ الأخرى، وظهر تعنت المدين,كما أوضحت آثار اهتمام القوانين بموضوع حبس المدين إذ أنها وفرت ضمانات للمدين المحبوس، منها حبسه بمعزل عن غيره من مرتكبي الجرائم الجزائية؛ إذ إنه ليس بمجرم، ومنعت حبس المدين المعسر الذي ثبت إعسارهِ, وينبغي الإشارة إلى أن حبس المدين لا يتعارض مع الحرية والكرامة الإنسانية،كما بينت الدراسة أن حبس المدين علاج ناجح ووسيلة مجدية للحد من مماطلته،وأنه ليس غاية لذاته، بل وسيلة وقتية لإجباره على الوفاء، ولا يؤدي تنفيذه إلى انقضاء الدين، بل تبقى الذمة مشغولة لحين سداد الدين.

ناقشت الدراسة مسالة حبس المدين في الفقه الإسلامي وكذلك في القانون وانطلقت الدراسة من فرضية مفادها هل حبس المدين في الدعوي التنفيذية حقق أهدافه التي من اجلها كتب البحث وذلك بناء علي النتائج التي خرجت بها الدراسة. وقد استخدمت الدراسة منهج بحثي يجمع بين المنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي

خلصت الدراسة لعدة نتائج من أهمها أن الأمر بالحبس ليس عقابا على إعسار المدين ولكنه وسيلة لإجباره على الدفع متى توافرت لديه أسبابه وأن مقدرة المدين على الدفع يجب إثباتها من الناحية الموضوعية وليس مجرد التزامه بالسداد ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة أن ينص القانون على عدم حبس المدين إلا بعد استجوابه عن مقدرته على الوفاء أو إذا ثبت لها انه رفض دفع المبلغ المحكوم به مع مقدرته عليه.

Abstract

This study is entitled * Imprisonment of the debtor in the executive case *. The study aims to shed light on the fact that imprisonment of the debtor is a mean of forced execution, that the aim of which is to pressure the procrastinating debtor to fulfill his debt. According

its importance as touching and restricting freedom. Therefore, the laws established specific procedures and certain conditions that must be met to imprison incarceration. It also aims at showing that imprisonment is a feasible and effective means, but that it is not resorted to unless it does not find other means of implementation, and the debtor's intransigence has emerged. It also explains the effects of the laws 'interest in the issue of the debtor's imprisonment, as it provides guarantees to the imprisoned debtor, Including him being imprisoned in isolation from other perpetrators of criminal offenses; As he is not a criminal. It prevents the imprisonment of an insolvent debtor who was proven insolvent.

It does not contradict human freedom and dignity, as the study shows that imprisoning the debtor is a successful treatment and a feasible mean to limit its procrastination, and that it is not an end to itself, but rather a temporary mean to force him to pay, and its implementation does not lead to the expiry of the debt, but the debt remains occupied until the debt is paid.

The study discusses the issue of the debtor>s imprisonment in Islamic jurisprudence as well as in the law. The study starts from the hypothesis that whether the debtor>s imprisonment in the executive lawsuit achieved his goals for which the research books were written, based on the results of the study. The study used a research methodology that combines the analytical and inductive approaches.

The study concludes with several results, the most important of which is that the imprisonment order is not a punishment for the debtor>s insolvency but rather a mean to force him to pay whenever he has his reasons available and that the debtor>s ability to pay must be substantiated from the point of view and not just his commitment to pay. And one of the most important recommendations that the study comes out with is that the law provides Not to imprison the debtor unless after being questioned about his ability to pay, or if it is proven to the court that he refused to pay the amount adjudicated with his ability to do so.

مقدمة

حبس المدين وسيلة ترمي إلى إكراهه على تنفيذ تعهداته بحرمانه من حريته مؤقتاً, والقوانين القديمة كانت تجيز للدائن التصرف بشخص مدينه إلى حد استبعاده وقتله فكان له إن شاء بيعه أو تشغيله أو حبسه حتى استيفاء دينه منه أو من احد ذويه أو أقاربه.فالرومان في أدوارهم الأولى كانوا يعطون للدائن الحق في أن يضع يده على شخص المدين دون حاجة لاستصدار إذن الحاكم وأن يحبسه في داره أو يعرضه أيام الأحد على الأنظار بقصد التشهير أو بيعه للغير باعتباره أسيراً عنده وحتى كان قادراً على إعدامه, إلا أن هذه الصلاحية قد حددت واشترط لحبس المدين صدور أمر من الحاكم, كما أن بيع الدين أو إعدامه ألغي تماماً ولكن كان من الجائز أن يترك المدين لدى الدائن بقصد الحافظة عليه وتشغيله واستيفاء الأجرة عن

دينه[1]. وإذا كانت وسيلة حبس المدين – الإكراه البدني - أصبحت أمراً تحرمه التشريعات الحديثة فقد ألغي في فرنسا ولم يبق عليه في مصر في المواد المدنية إلا بالنسبة لحبس المدين لدين النفقة أو أجرة الحضانة أو الرضاعة أو المسكن, ويرجع تحريم الإكراه البدني في التشريع الحديث إلى اعتبارات مختلفة فحبس المدين أو تعذيبه يتنافى مع ما يجب ضمانه من كرامة للذات الإنسانية, ومن ناحية أخرى فمن المعروف أن علاقة الدائنين ليست سوى علاقة بين ذمتين ماليتين فمحمل الضمان ليس هو شخص المدين وإنما ماله فضلاً عن أن في حبس المدين تعطيل للقوى البشرية دون أية فائدة فنجد للدائن أن يترك مدينه يعمل وبالتالي يحصل على المال الذي يفي منه دينه[2]

والواقع أن تطور الفكر القانوني قد أدى إلى أن المدين يلتزم في ماله لا في جسده ولكن رغم ذلك لم تندثر فكرة الحبس, إذ لها وجود في كثير من التشريعات المعاصرة. فقد أجازه القانون السوداني إذ أوجب القبض على المدين وحبسه حتى تمام الوفاء متى كان الحكم الصادر ضده متعلقاً بالوفاء بدين أو بسداد مال وإذا كان المدين شخصاً اعتبارياً فقد خول القانون حبس الشخص أو الأشخاص الذين يناط بهم سداد الدين أو الأمر بالوفاء به[3]

وقد أجازت الشريعة الإسلامية حق حبس المدين بشرط أن يكون قادراً على الوفاء أما المدين الفقير المعدم الذي لا مال له, فقد منعت جميع المذاهب الإسلامية حبسه لأن الحبس شرع للتواصل إلى أداء الدين لا لعينه[4].

حبس المدين في الشريعة الإسلامية

أولا: تعريف كلمة الحبس لغة واصطلاحاً

أ.: تعريف الحبس لغة:

الحاء والياء والسين أصل يقال حبسه إذا منعه أو وقفه فهي بمعني المنع والإمساك، وبأبها ضرب واحتسبه بمعني حبسه، مصدرها حبس ويطلق على الموضع وحبسه حبوس (بضم الحاء) والحبس ضد التغلب[5]

واحتبس بتعدي ويلزم وحبس نفسه في سبيل الله أي أوقفها[6]

قال تعالي في كتابه العزيز (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ)[7] أي توقفونها[8]

والحبس بمعني المنع وهو مصدر (حبسته) من باب ضرب أطلق على الموضع وجمع على (حبسوس) مثل فلس فلوس و(حبسته) بمعني وقفته فهو حبس أو الجمع حبسوس ويستعمل الحبس كل موقوف واحد كان أو جماعة[9]

ويجب أن نشير إلي كلمة أخرى مرادفة (للحبس) وهي كلمة السجن حيث قال ابن فرحون المالكي مبيناً حقيقة السجن أن السجن مشتق من الحصر قال تعالي: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ

حَصِيراً)[10]. أي سجناً وحبساً للكافرين[11]. قال الرازي[12]الحصير بمعني فعيل، فيستعمل أن يكون فاعل أي جعلنا جهنم حاصدة لهم ويتحمل أن يكون بمعني مقبول أي جعلناها موضعاً محصوراً لهم والمعني أن عذاب الدنيا وإن كان شديداً قوياً إلا أنه يتفلت بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه إما بموت وإما بطريق أخر وأما عذاب الآخرة فانه يكون حاصداً للإنسان محيطاً به لا رجاء في الخلاص منه[13]

ب: الحبس في الاصطلاح الفقهي:

الحبس شرعاً تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد أو كان بتوكيل الخصم أو كيله وملازمته له[14]، ومن هنا فان الحبس ليس هو السجن في مكان ضيق أو في مكان لا يتعداه المحبوس بل يتعدي هذا المعني إلي التعويق والمنع من التصرف بنفسه، والحبس والسجن يطلقهما الفقهاء كل واحد منها بمعني الأخر، كما يطلقون كلمة الحبس والمحبس أو السجن على المكان الذي تنفذ فيه الأحكام القضائية بحبس الجاني أو سجنه[15].

إلا أنني أري لفظ السجن أولي وذلك لما يلي:

: أن كلمة حبس وردت في القرآن الكريم في موضعين فقط أما كلمة سجن فقد وردت في أربعة عشر موضعاً[16].

: أن كلمة سجن أقوي من كلمة حبس وذلك واضح من سياق الكلمتين في القرآن الكريم وهي التي تتلاءم مع حال المجرمين والجناة (الحبس قد يكون احتياطياً ولكن السجن لا يكون إلا بحكم يقضي به).

ثانياً: تعريف الحبس قانوناً:

هو وسيلة إكراه تتضمن حبس فرد ما من أجل الفصل في مدي إدانته بالنسبة للإدعاء الموجه إليه أو هو إجراء يقضي بوضع المتهم في السجن أثناء كل أو بعض المدة التي تبدأ بإجراءات التحقيق الابتدائي وحتى صدور الحكم النهائي في التهمة المنسوبة إليه.

هذا ولم يرد في في التشريعات الجنائية في الدول المختلفة نص يعرف الحبس للتحري أو المحاكمة أو الحبس الاحتياطي، كما يسمي في بعض التشريعات باستثناء ما ورد في قانون العقوبات السويسري الصادر عام 1937م حيث نص[17]على التعريف الأتي يعد حبس احتياطياً كل حبس يؤمر به خلال إجراءات تحقيق الدعوي الجنائية بسبب احتياجات التحقيق أو دواعي الأمر)[18] وعرف أيضاً بأنه هو وضع المتهم أو المدعي عليه في الحراسة أو السجن خلال فترة التحقيق أو الدعوي أو المحاكمة أو خلال جزء منها يستند إلي أمر بالحبس الاحتياطي صادر من الجهة المختصة وهو من الإجراءات الهامة التي يبين فيها بوضوح التناقض بين مقتضيات احترام حرية الفرد وسلطة الدولة في العقاب باعتباره يتعرض لحرية المتهم قبل صدور حكم بإدانته الإ من جهة أخرى تقتضيه التحقيق وتتطلبه مصلحة أمن المجتمع[19]

أما الحبس بغرض التنفيذ يعرف في المعاملات أكثر منه في الجنايات ويعرف في الإصلاح الفقهي بالإكراه البدني والحبس للتنفيذ دائماً يكون نتيجة لامتناع الشخص عن دفع التزام عليه.

هذا وقد ميز القانون المصري بين السجن والحبس، فالسجن كعقوبة هو وضع المحكوم عليه في أحد السجون العمومية وتشغيله داخل السجن أو خارجه في الأعمال التي تقتضيها الحكومة أما الحبس فهو وضع المحكوم عليه في أحد السجون المركزية وحدد المشرع المدة في كليهما وعلى القاضي أن يلتزم بالمدة المحددة ولا يتجاوز الحد الأدنى[20]

ونجد أن جميع التشريعات العربية ميزت بين السجن والحبس إذ يقتصر الأول على الجنايات والثاني على الجنح والمخالفات

وهذا التمييز لا نجده في القانون الجنائي السوداني 1991م بل جميع التشريعات العقابية في السودان. (وأساس ذلك أن القانون السوداني لا يقسم الجرائم إلي جنايات)[21]بل تقسيمها إلى حدود وقصاص وتعازير

حبس المدين في الفقه الإسلامي

اولا: مشروعية الحبس في الدين

يستدل الفقهاء في مشروعية الحبس في الدين[22]بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الأحاديث حيث روي عن أبي هريرة أن رسول الله قال (مطل الغني ظلم)[23]كما روي عن عمر بن الشريد[24]عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لي الواجد يحل عرضه وشاكيته)[25].

يستفاد من ذلك أن الحبس يكون للمدين القادر حيث لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم سبيل للمعسر بالعسرة ولم يجعل مطله ظلماً إلا بالغني[26]وروي عن الهرماسي بن حبيب عن عبد الله عن جده انه قال: أتيت النبي صلى الله علي وسلم بغريم لي فقال لي: « الذمة « ثم قال: « يا أخا بني تميم ما تريد ان تفعل بأسيرك ؟ « ويستفاد من ذلك أن الملازمة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانت في بادي الأمر وسيلة اقتضاء الدين وان الأمر شكل من أشكال الحبس[27].

كما يستدلون في ذلك بما روي عن النبي عن أبي هريرة قال: أن رجلاً تقاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له فهم به أصحابه فقال: « دعوه فان لصاحب الحق مقال» [28] وقد كان الحكم من النبي صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام يبيع المدينان فيما عليه من دين على ما كان عليه من الافتداء ثم نسخ بعد ذلك[29] بقوله تعالي: (وإن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)[30]وقد روي عن بن سعيد انه قال: أحبب رجل في عهد النبي صلى الله علي وسلم في ثمار ابتاعها فلم يبلغ ذلك من وفاء دينه, فقال صلى الله عليه وسلم لغرمائه: (خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك)[31]. بناءً على ما تقدم فان الحبس يكون للمدين الميسر

ثانياً:موقف الفقهاء من حبس المدين

نتناول حبس المدين عند الفقهاء لاستيفاء الدين وذلك بالاتي:

اولاً: موقف الفقه الحنفي من حبس المدين:

أن حبس المدين عند الأحناف تتحقق مشروعيته عند توافر الشروط التالية[32]:

1. أن يكون موسراً.
2. أن يكون الدين الثابت في الذمة حالاً غير مؤجل.
3. أن يطلب الدائن حبس المدين

ثانياً: موقف الفقه المالكي من حبس المدين:

أحكام حبس المدين تختلف باختلاف أموال المدين عند المالكية ونورد أحكام تلك الأحوال مفصلة فيما يلي:

1/ حبس من يفترض يساره:

يفترض المالكية, أن المدين دائماً محمول على اليسار, بدينه إذا لم تكن هنالك جائحة قضت على ماله فإذا ماطل عن أداء الحق الذي عليه, يحبس إلا أن يثبت يسارهِ[33].

2/ حبس المدين المجهول الحال:

حينما يكون المدين مجهول الحال ولا يعرف يسارهِ من إعسارهِ بقرائن ظاهرة فإنه يحبس ابتداء جاء كذلك في تبصرة الحكام[34]: (إذا حبس الغريم المجهول الحال فادعى الفقر فلا يكلفه القاضي البينة لأنه لا مال له, وإنما يسال القاضي عن أهل الخبرة به والمعرفة فإن لم يجد له مال حلفه).

ثالثاً: موقف الفقه الشافعي من حبس المدين:

أما عند الشافعية, إذا ظهر مال للمدين يمكن بيعه وفاء للدين بيع ذلك المال ولا يحبس المدين إلا بضمان إتمام هذا البيع إذا ماطل في سداد الدين.

جاء في تكملة المجموع شرح المهذب: (فإن ادعى صاحب الدين أن له – أي المدين – داراً وأقام على ذلك البينة, بيعت الدار وقضي الدين)[35] وللشافعية طريقتان لبيع المال عند مطل المدين عن السداد إذا ثبت أن لديه مالاً:

1. أن يتم بيع مال المدين بواسطة القاضي دون إذن من مالكه المدين جبراً عنه.
2. أن يأمر القاضي المدين ببيع ماله بنفسه

رابعاً: موقف الفقه الحنبلي من حبس المدين:

أحكام حبس المدين عند الحنابلة تختلف بحسب اختلاف حال المدين فالمدين أما أن يكون:

(أ) معسراً بين الإعسار.(ب) أو مجهول الحال.(ج) أو موسر من غير مال ظاهر وله القدرة على الوفاء.(د) أو موسراً بماله.

وسوف نقف على بيان ذلك في الأتي:

1/ المدين المعسر: جاء في المبدع شرح المقنع (إن علم رب الدين عسر المدين حرم عليه حبسه ووجب أنظاره إلى يسرته) [36]وعلى هذا فإن كان معسراً بين الإعسار لا يجوز شرعاً حبسه.

2/ يجوز حبس المدين مجهول الحال ابتداء: حتى يثبت أمره إن كان موسر أو معسر ويحدد القاضي أجلاً – للنظر في دعوى الدين إلى الدائن بقوله (أقضه وإلا رددتك إلى الحبس) [37]

3/ حبس المدين الموسر بماله:

إذا عرف مال المدين وفق ما اثبته الدائن ولا توجد بينة تثبت تلف ذلك المال أو نفاذه أو ثبت عجز المدين, أو عسره أعيد إلى الحبس بطلب غريمه ويؤمر بالأداء, وخلال فترة الحبس إن لم يقضي الدين قضاه الحاكم من مال المدين أو من ثمن ماله وإن تعذر ذلك يظل في الحبس يطلب الدائن بعد أن يؤدي اليمين مؤكداً قدرة المدين على الوفاء[38] ويفهم مما تقدم أن للمحكمة سلطة بيع مال المدين للوفاء بمبلغ الدين حتى لو كان المدين في الحبس, وصبر على ذلك وظل مماطلاً عن السداد.

4/ حبس المدين الموسر الذي لم يظهر ماله:

إذا أثبت الدائن قدرة المدين على الوفاء بالدين, وحلف بذلك مؤكداً ذلك بيمينه ولم يظهر للمدين مال أعيد إلى الحبس وذلك لحمله على السداد[39]

في سياق عرضنا واعتمادنا على أراء الفقهاء الأربعة حول حبس المدين الموسر فإنهم اتفقوا على جواز مشروعية حبسه عند المماطلة, لحمله على أداء الدين وذلك تأكيداً لتحقيق معاني قيم الدين ولإرساء دعائم تلك القيم في المجتمع ومن بين تلك القيم أداء الأمانات إلى أهلها حتى لا تضرب المعاملات المالية والتي تبنى على جسور من الثقة والأمانة, بمجتمع المسلمين ليتحرك دولاب العمل بصورة تبعث بالرضا والطمأنينة.

والحبس في نظري وسيلة ناجحة لرد الحقوق إلى أهلها في حالة تعنت المدين الموسر في أداء الحق إلى أهله إذا طالب به الدائن.

حبس المدين في القانون

وجوب القبض والحبس تنفيذاً للحكم

نظم قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م[40] أحكام حبس المدين إذا تعلق الحكم بدفع مبلغ من النقود وفاء بدين أو سداداً لمال والتي جاء فيها على أنه:

1. مع مراعاة أحكام المادة «244» ودون المساس بأي طريقة أخرى من طرق تنفيذ الأحكام

متى كان الحكم متعلقاً بالوفاء بدين أو يقضي بسداد مال فيجب القبض على المدين محبسه حتى تمام الوفاء إلا إذا كانت المحكمة قد قضت بغير ذلك عند النطق بالحكم.

2. إذا كان المدين شخصاً اعتبارياً تحبس المحكمة الشخص أو الأشخاص الذين يناط بهم سداد الدين أو الأمر بالوفاء به. وبالاستقراء نص المادة موضوع التعليق نجدها أتت بأحكام مغايرة من حيث الشروط التي كانت تمثل ضمانات للمدين قبل إصدار أمر بحبسه في القوانين السابقة.

ويمكن تحديد أوجه الاختلاف في النقاط التالية:

أولاً: كان الحبس في السابق يتم بناء على سلطة المحكمة الجوازية وذلك حتى ولو توافرت الشروط التي حددها القانون والتي تنحصر في الحالات الآتية[41]:

1/ إذا أثبت للمحكمة أن المدين أحمل أو رفض دفع المبلغ المحكوم به أو جزء منه مع قدرة على الوفاء.

2/ إذا تبين للمحكمة أن المدين حمل نفسه بالديون بطريقة تدل على عدم المبالاة أو فضل أحد دائنيه تفضيلاً غير عادل مع علمه بعجزه عن الوفاء بجميع ما عليه من الديون.

3/ إذا وضح أن المدين قد قام بنقل ملكية جزء من أمواله أو أخفاه أو هربه بعد تاريخ رفع الدعوى بسوء نية قاصداً تعطيل أو يؤدي ذلك إلى تعطيل أو تأخير المحكوم لصالحه عن تنفيذ الحكم.

بينما أوجب القانون الحالي[42] على المحكمة القبض على المدين وحبسه حتى تمام الوفاء متى كان الحكم:

أ. متعلقاً بالوفاء بدين أو سداد مال وذاك.

ب. ما لم تكن المحكمة قد قضت بغير ذلك عند النطق بالحكم.

ج. مع مراعاة أحكام المادة «244» من القانون والتي حددت حالات وشروط الإفراج عن المدين.

د. ودون المساس بأي طريقة أخرى من طرق تنفيذ الأحكام.

من الواضح أن القبض على المحكوم عليه ووضعه في السجن وسيلة من الوسائل المتاحة للمحكمة قانوناً وهذا يستلزم إجراءه بعد أن تأمر المحكمة المدين بالوفاء وتعطيه مدة كافية تقدرها بعد موافقة الدائن. وقد كانت المحاكم تهتدي بالمعايير التي صاغها قانون الإجراءات لسنة 1974م الملغي[43] والتي تميز ما بين المدين حسن النية والمدين سيء النية إلا أن قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م جاء خلط من ذلك مما يجعلنا نتساءل هل أن سلطة المحكمة أصبحت مطلقة بحيث يخول لها إرسال المدين إلى السجن وذلك حيث فشل في الوفاء بالحكم دون اعتبار لأي ظروف أخرى ؟ فنجد أن المشرع لم يقصد تلك النتيجة وإنما أثر عدم النص

وذلك لأنها مجرد بديهيات لا تغفل المحكمة عادة عنها إذ أنها من قبيل ما تستوجب قواعد العدالة والإنصاف والوجدان السليم[44].

باستقراء نص المادة موضوع التعليق أيضاً نجد أن النص لا يخلو من غموض وعدم دقة صياغة الأحكام الأمر الذي أدى لاختلاف الرأي حول المقصود منه تبعاً لاختلاف التعبير ويمكن إيجاز الغموض في النص في الآتي:

1/ من حيث عدم دقة صياغة النص:

يلاحظ أن المشرع فرق بين مفهوم المال والدين حيث قرن الدين بالوفاء والمال بالسداد رغم وحدة المفهوم من الناحية الفنية ويتضح ذلك بالرجوع إلى الدين في القانون السوداني والذي تم تعريفه كما يلي[45]: (القرض هو تمليك مال أو شيء لأخر, على أن يرد مثله قدراً ونوعاً وصفة إلى المقرض عند نهاية مدة القرض).بينما في تعريف المال بأنه[46]:

أ. المال هو كل عين أو حق له قيمة مادية في التعامل.

ب. كل شيء يمكن حيازته مادياً أو معنوياً أو الانتفاع بع انتفاعاً مشروعاً ولا يخرج عن التعامل بطبيعته أو بحكم القانون ويضمن أن يكون محلاً للحقوق المالية.

يتضح من التعريف السابق أن مفهوم المال يشمل في مضمونه الدين الذي حصره نص المادة المشار إليها في القرض فقط, بينما تعدد أسباب الدين, إذ قد يكون سببه الالتزام الناتج عن عقد القرض. كما قد يكون سببه الالتزامات غير التعاقدية الناتجة عن المسئولية التعقيدية أو الالتزامات المدنية الناتجة عن مسئولية جنائية كالتعويض والرد.

وكان الأجدر بالمشرع أن يستخدم التعبير الذي ورد في القوانين السابقة[47] والذي يعتبر أكثر دقة وشمولاً حيث أجاز حبس المدين إذا كان الحكم يقضي بدفع « مبلغ من النقود « وذلك تجنباً للاجتهاد وفي تفسير المقصود من النص الذي ربما أدى لضياع حقوق العباد.

كما يستفاد من سياق نص المادة المشار إليها أن المشرع قد فرق بين الالتزامات المالية التعاقدية كالدين وبين الالتزامات المالية غير التعاقدية وقرنها بسداد مال كالتعويض والرد وغيره وأوجب الحبس في جميعها.

إلا أن المشرع قد عاد وقرن الدين بالسداد والوفاء « في آن واحد حيث نص[48] على أنه إذا كان المدين شخصاً اعتبارياً تحبس المحكمة الشخص أو الأشخاص الذين يناط بهم « سداد الدين « أو «الأمر بالوفاء به «.

كذلك لم يكن النص دقيقاً عندما لم يتعرض « لفشل المدين في السداد» ولم يحدد كيفية الفشل في الدين لكنه أوفى جزء منه. نخلص مما تقدم أن غموض نص المادة المشار إليها وعدم الدقة في صياغة أحكامها كان سبباً في اختلاف الأحكام تبعاً لاختلاف تفسير المقصود منه ويتضح ذلك جلياً في إحدى تطبيقات المحكمة العليا حيث قضت بأنه[49] (إذا حكمت المحكمة

الجنائية بالتعويض وحددت استيفاءه بالطريق المرضي, جاء المبلغ المحكوم به ديناً في ذمة المدين كسائر الديون الأخرى, ويحصل وفق نصوص الباب العاشر من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م بما فيه نصوص المادتين «242-243»).

2/ من حيث مدة الحبس:

وبخلاف القوانين السابقة[50] التي أوجبت على المحكمة عند إصدار أمرها بحبس المدين أن تذكر المدة التي يقضيها المدين في الحبس على إلا تتجاوز ستة أشهر إلا أن القانون الحالي أوجب بقاء المدين في الحبس حتى تمام الوفاء إلا إذا توافرت إحدى حالات الإفراج التي حددها القانون كما إنها جعلت من بينة الإعسار حالة من حالات الإفراج عن المدين بعد أن يتم استجوابه عن مدى قدرته المالية على الوفاء فإن جاء المدين ببينة كافية تثبت إعساره فعندئذ لا يجوز حبسه عقاباً على إعساره وتطبيقاً لذلك قضت المحكمة العليا[51] بأن(الأمر بحبس المدين ليس عقاباً على إعساره ولكنه وسيلة لإجباره على الدفع متى توفرت لديه أسبابه, وأن مقدرة المدين على الدفع غالباً ما تمليه عليه اعتبارات الخوف والحرج أو التوقعات الخائبة مهما كان نصيبها من حسن النية هذه المقدرة تتحدد بعناصر واضحة تشمل مصادر الدخل ومقداره في مقابل الالتزامات الأساسية للمدين وإذا لم تثبت مقدرة المدين على الدفع فلا يجوز الحديث عن امتناعه عمداً أو إهمالاً عن الدفع يلاحظ أن القانون السوداني لم يفرق بين الشخص الطبيعي والشخص الاعتباري كما أن عامل الجنس لا يشكل أساساً بالنسبة للقبض والحبس تنفيذاً للحكم فإذا كان المدين شخصاً اعتبارياً كشركة أو مؤسسة فإن للمحكمة الحق في أن تحبس الشخص أو الأشخاص الذين يناط بهم سداد الدين أو الأمر وذلك وفقاً للفقرة الثانية من نص المادة موضوع التعليق, وكذلك يجوز حبس المرأة إذا امتنعت عن دفع الدين المحكوم به وقد قضت محكمة الاستئناف تطبيقاً لذلك[52] بأن (المحكمة لا ترى ما يمنع من توقيع عقوبة السجن عليها نظراً لفشلها في دفع ديونها وهي ذات الظروف التي يمكن أن تبرر سجن أي رجل, ومن ثم فإن عامل الجنس وحده لا يشكل أساساً في الموضوع الذي أمامنا وإلا كان ذلك فتحاً للباب على مصراعيه لدخول النساء في ديون لا يضمن بوفائها وبالقياس بالقانون الجنائي فإن عامل الأنوثة لا يشكل حصانة للمرأة سواء بالنسبة لعقوبة السجن أو الإعدام واستناداً على سلطات المحكمة التقديرية ووفقاً للمادة «198» فإن المحكمة تأمر بسجنها أربعة عشر يوماً ما لم تقم بالوفاء بالمتأخرات إلا إذا توصلت مع الدائن على اتفاق للسداد في خلال عشرة أيام).

نخلص مما سبق إلى أن للمحكمة سلطة جوازيه في حبس المدين المماطل وذلك لإرغامه على الوفاء وليس الحبس هو عقوبة مقررة بذاتها إذ لا جدوى من حبس المدين المعسر وهذا يتفق من حيث الجملة مع أراء الفقهاء فيما يتعلق بحبس المدين القادر على الوفاء كما سبق أن أوضحنا.

حبس المدين أداءً للحق المحكوم به

أجاز القانون حبس المدين تنفيذاً للأحكام التي لا يكون محل الأداء فيها دفع مبلغ من النقود أو سداد دين والذي تناولناه في المطلب السابق, أي الحالات التي يقضي بموجبها الحكم بالتنفيذ العيني لذات ما التزم به المدين أو ما ألزم به قضاءً, ويكون ذلك في الحالات التي يقضي فيها الحكم بتسليم مال منقول أو حصة في منقول معين أو بالوفاء العيني للالتزامات أو القيام بعمل غير دفع مبلغ من النقود أو الامتناع عن عمل شيء, وقد أجاز القانون للمحكمة تنفيذ الحكم بعدة وسائل من بينها حبس المحكوم عليه.

بناء على ما تقدم نتناول هنا الحالات والشروط التي أجاز فيها المشرع حبس المحكوم عليه

أولاً: حبس المدين تنفيذاً لحكم يقضي بتسليم مال منقول:

يعد حبس المحكوم عليه أو المدين أحد وسائل تنفيذ الأحكام المتاحة وفق ما أشرنا إليه بموجب قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م وذلك بهدف الضغط على إرادة المحكوم عليه لحمله على تنفيذ الحكم الصادر ضده.

وقد حددت المادة «239» من القانون المشار إليه وسيلة التنفيذ التي يجوز للمحكمة إتباعها إذا تعذر تنفيذ حكم يقضي بتسليم منقول أو حقه في منقول معين حيث نصت على أنه (مع مراعاة حكم المادة «234» الحكم الصادر بتسليم منقول معين أو بحصة في منقول معين يجوز تنفيذه بحجز المنقول أو الحصة المنقولة إن أمكن وتسليم المنقول أو الحصة المنقولة إلى المحكوم لصالحه أو إلى الشخص الذي يعينه للاستلام نيابة عنه أو بحبس المحكوم عليه أو بالحجز على أمواله أو بالطريقتين معاً). يستفاد من أحكام هذه المادة أن المحكمة لا تلجأ إلى حبس المدين إلا إذا:

أ. تعذر التنفيذ العيني بتعذر الحجز على المنقول وتسليمه للمحكوم له بسبب تعنت المدين وامتناعه أو إخفاءه للمال المنقول المحكوم به.

ب. تعذر الحجز على أموال المدين كإجراء تهديدي لإكراهه على تنفيذ الحكم وكإجراء تحوطي لمنعه من التصرف في أمواله ولضمان التنفيذ عليها إذا اقتضى الحال وذلك ببيعها تعويضاً للمحكوم لصالحه, فيجوز الحبس في هذه الحالة إذا حاول المدين إخفاء أمواله أو التصرف فيها تصرفاً ناقلاً للملكية والحيلولة دون التنفيذ عليها.

وقد تلجأ المحكمة إلى حبس المدين ابتداءً إذا تعذر التنفيذ العيني ولم يكن للمدين أموالاً يجوز الحجز عليها, كما قد تلجأ للحبس والحجز في آن واحد إذا اقتضى الحال ووفقاً للنص السابق الذكر.

ويتضح مما تقدم أن المحكمة لا تلجأ إلى الحبس إلا إذا ثبت سوء نية المدين في الإضرار

بالمحكوم له وذلك بامتناعه عن تسليم المنقول أو إذا أخفى ماله أو تصرف فيه أو إذا ثبت أنه بصدد التصرف فيه بهدف تعطيل أو منع تنفيذ الحكم.

وقد أكدت ذلك إحدى تطبيقات المحكمة العليا[53] التي تتلخص وقائعها في أن محكمة أم درمان الجزئية, أصدرت حكم في القضية « ف م / 1223 / 189 » بتاريخ 21 / 2 / 1992م بأن يسلم المدعى عليه للمدعية العربة البوكس موضوع النزاع ويتحمل المدعى عليه المصاريف طلبت المحكوم لها تنفيذ الحكم الصادر ضد المدين, إلا أن محكمة التنفيذ قررت سماع البينات وحددت قيمة العربة البوكس بمبلغ ألف جنيه سوداني بحسبان أن الحكم موضوع التنفيذ صدر دون تحديد قيمة البوكس وأنه إذا تعذر التنفيذ العيني سوف تقرر محكمة التنفيذ إلزام المدين بسداد قيمة العربة إلى الدائن.

محامي المدين, لم يرضى بتحديد قيمة العربة على النحو الذي قررته محكمة التنفيذ واستأنف قرارها والمتعلق بتحديد قيمة العربة وجاء في طلب الاستئناف أن قيمة العربة البوكس كما هي محددة في عريضة الدعوى الابتدائية هي ثمانية ألف جنيه وطلب إلغاء قرار محكمة التنفيذ لمحكمة الاستئناف, أصدرت محكمة الاستئناف قرارها بتأييد قرار محكمة التنفيذ.

طعن المدين في قرار محكمة الاستئناف أمام المحكمة العليا والتي أوردت في حكمها (أن الاختصاص في تحديد قيمة العربة ينعقد للمحكمة الابتدائية التي أصدرت الحكم موضوع التنفيذ استناداً إلى سلطاتها في تصحيح الأحكام وفق قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م وأن الحق في إجراء تصحيح الحكم لا ينتقل إلى محكمة التنفيذ – وكان الأجدر بها أن تحسم الأمر بتنفيذ الحكم جبراً بأن تصدر أمرها بحبس المدين إذا لم يسلم الدائنة العربة المحكوم بها « الدائنة»).

وفي تطبيق قضائي آخر بينت المحكمة العليا[54] كيفية تنفيذ الحكم بموجب المادة «239» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م حيث تتلخص وقائع التنفيذ في:

(أن محكمة سنار كانت قد أصدرت حكماً قضى بأن يسلم المدعى عليه الشهادات الدراسية إلى المحكوم لها وأعطى المدعى عليه فرصة شهرين لاستخراج الشهادات).

تقدمت المحكوم لها بعريضة لمحكمة سنار الجزئية, طالبة التنفيذ, تأسيساً على أن المحكوم عليه فشل في أن يسلمها الشهادات, وذكر محاميها أن موكلته متضررة من فقدان الشهادات موضوع التنفيذ وطالب المحكمة في حالة فشله في التسليم أن تحكم له بدفع مبلغ ثلاثة ألف جنيه حتى تتمكن المحكوم لها من السفر لأثيوبيا لاستخراج شهادات بديلة.

صدر أمر قاضي التنفيذ بأن يقبض على المحكوم عليه وأن يحبس حتى تسلم الشهادات, أفاد المحكوم عليه أن التنفيذ يتعلق بشهادة واحدة وهي شهادة مدرسة أثيوبية كان قد تسلمها من المحكوم لها وأنه بدوره سلم تلك الشهادة لشخص آخر بغرض تقديمها وأن الشخص المعني

سافر وطلب من المحكمة أن تمهله حتى يسترد الشهادة من الشخص أو ليدبر جزء من النفقات التي قد تحتاجها المحكوم لها للسفر لأثيوبيا لاستخراج الشهادة.

استأنف المحكوم عليه الأمر لمحكمة الاستئناف حيث قضت بإلغاء الأمر تأسيساً على أن الحكم موضوع التنفيذ لم يقضي بدفع مال ولا يجوز لمحكمة التنفيذ أن تخرج من الحكم المطلوب تنفيذه.

تقدم محامي المحكوم لها بطعن أمام المحكمة العليا واستند في طعنه إلى أن تسليم الشهادة أصبح مستحيلاً ولم يعد هنالك بديلاً غير أن تسافر المحكوم لها لأثيوبيا لاستخراج شهادة بديلة عليه يتعين على المحكوم عليه دفع نفقات السفر للمحكوم لها وقد جاء في حيثيات المحكمة العليا (أنه لم يكن هناك مجال لإعمال نص المادة «243» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م وهو النص الذي اعتمدت عليه المحكمة في حكمها بالقبض والحبس ضد المحكوم عليه وذلك لأن المادة المذكورة تطبق حينما يكون الحكم متعلقاً بالوفاء بدين أو بسداد مال, والحكم الذي صدر ضد المحكوم عليه لم يكن كذلك وإنما كان حكماً بتسليم منقول معين, ومثل هذا الحكم يتم تنفيذه بموجب المادتين « 239- 242» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م والمادة «239» تقضي بأن الحكم الصادر بتسليم منقول معين يجوز تنفيذه بحجز المال المنقول إن أمكن وتسليم المحكوم لصالحه أو بحبس المحكوم عليه أو بالحجز على أمواله أو بالطريقتين معاً).

وهذا يعني أنه يجب أن يبدأ بالحجز أولاً على الشهادات المحكوم بتسليمها إذا ثبت للمحكمة وجود تلك الشهادات وإمكان التوصل إليها, فإن لم يكن كذلك جاز للمحكمة أن تلجأ لطريقة الحبس باعتبارها وسيلة لإكراه المحكوم عليه على تسليم الشهادات وبالتالي فإنه لا يجوز استخدام هذه الطريقة إلا إذا ثبت للمحكمة أن المحكوم عليه قادر على تسليم الشهادات وأنه يرفض عمداً أن يقوم بذاك, فإن لم يكن كذلك فالطريقة التي يجب إتباعها هي الحجز على أموال المحكوم عليه بموجب المادة «242» ويستمر الحجز لمدة ثلاثة أشهر, فإذا قام المحكوم عليه خلال هذه المدة بتسليم المحكوم به ودفع كل مصروفات التنفيذ الملزم بدفعها وإذا انقضت الثلاث أشهر من تاريخ الحجز دون أن يطالب المحكوم له بالبيع فإن الحجز يرفع. أما إذا لم يقم المحكوم عليه بالتسليم وطالب المحكوم له ببيع المحجوزات يجوز للمحكمة بيعها ودفع ما تراه من تعويض. نخلص مما سبق أن الحبس على المدين وفقاً للنص السابق المحكمة لا تلجأ إليه إلا إذا لم يقم المحكوم عليه بتسليم المنقول أو أنه تعذر تسليمه والحجز عليه وكذلك إذا تعذر الحجز على أموال المدين لتهديده على تنفيذ الحكم أو لضمان التنفيذ عليها.

ثانياً: الحكم للوفاء عيناً أو بعمل شيء:

حدد قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م طرق تنفيذ الحكم الذي يقضي بالوفاء العيني أو

بالكف عن فعل شيء أو أداء عمل غير دفع مبلغ من النقود وأجازت للمحكمة أن تنفذ الحكم بأحد الطرق الآتية:

1/ يحبس المحجوز ضده أو بالحجز على أمواله أو بالطريقتين معاً حيث نصت المادة «241» منه على أنه:

أ. إذا صدر حكم ضد أي شخص بأداء عمل غير دفع مبلغ من النقود أو بالكف عن فعل شيء وكانت لديه الفرصة لتنفيذ الحكم وتخلف عن ذلك عمداً, جاز تنفيذ الحكم بحبس المحكوم ضده أو بالحجز على أمواله أو بالطريقتين معاً.

ب. إذا كان الحكم المشار إليه في البند «أ» صادر ضد إحدى الشركات جاز تنفيذه بالحجز على أموال الشركة أو بحبس مديري الشركة أو الموظفين الرؤساء فيها أو بالحجز والحبس معاً.

نلاحظ أن المشرع قد اشترط لجواز حبس المحكوم عليه والحجز على أمواله أن يكون قد امتنع عمداً عن تنفيذ الحكم بالرغم من ثبوت قدرته على الوفاء, مما يستشف منه وجوب استجواب المدين قبل أن تصدر المحكمة أمرها, بالحبس أو بالحجز على أمواله, فإذا ثبت قدرته ومطله بعدم الوفاء, تنكشف بذلك سوء نيته في الإضرار بالمحكوم له. وهذا في تقديري ما جعل المشرع يجيز الحبس في هذه الحالة ويضعه في مقدمة الخيارات المتاحة قانوناً للمحكمة وذلك للضغط على إرادته وحمله على تنفيذ الحكم إن أمكن. وإذا كان حكم المحكمة قد صدر في مواجهة إحدى الشركات فإن المشرع قد ترك لها الخيار في طريقة التنفيذ أما عن طريق الحجز على أموال الشركة أو بحبس مديريها أو الموظفين الرؤساء فيها أو بالحبس والحجز معاً.

ويجوز للمحكمة بالإضافة لما تقدم أن تأذن للمحكوم له أو أي شخص آخر بالقيام بالفعل الذي امتنع المحكوم عليه من تنفيذه وعندئذ تحبس المعروضات التي تكلفها الأمر مع ضرورة استيفاء المحكمة لتلك المصروفات كما لو كان قد شملها الحكم[55].

نخلص مما تقدم أن حبس المدين يعتبر إحدى الخيارات المتاحة قانوناً للمحكمة التي ربما لجأت إليه بحسب مقضي الحال في الحالات التي يتعذر فيها التنفيذ العيني لحكم يقضي:

1. بتسليم مال منقول أو حصة في منقول معين.
2. بالوفاء العيني للعقد أو بالكف عن فعل شيء أو بأداء أي عمل غير دفع مبلغ من النقود ويكون الحبس عادة إذا امتنع المدين عن تنفيذ الحكم مع ثبوت قدرته على الوفاء أو إذا تعذر الحجز على أمواله بسبب عدم وجود مال للمدين أو إذا حاول التصرف فيها أو إخفاءها للحيلولة دون تنفيذ الحكم ما يكشف عن سوء نية في الإضرار بالمحكوم له بتأخير أو إعاقة تنفيذ الحكم.

وتجدر الإشارة إلى أن التشريعات التي تأثرت بالمبادئ القانونية الحديثة لا تجيز حبس المدين في الحالات المشار إليها[56] وإنما تلجأ إلى التنفيذ العيني المباشر بتسليم المال المحكوم

به أو الأمر بتنفيذ العمل المطلوب بمعرفة المحكوم لصالحه على نفقة المحكوم عليه, فإذا تعذر تلجأ المحكمة إلى تعويض المحكوم له بالحجز على أموال المحكوم عليه وبيعها, أما إذا كان العمل يتطلب تدخل المدين الشخصي لأدائه وامتنع عن التنفيذ تلجأ المحكمة في هذه الحالة لوسيلة الإكراه المالي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد أن انتهينا بعون الله وتوفيقه من أعداد هذه البحث وقد توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات نذكرها كما يلي:

أولا النتائج:

1. يجوز شرعاً حبس المدين المؤسر حتى يؤدي الدين الذي عليه إذا ماطل عن السداد بعد الأمر بسداده كذلك إن لم يكن له مال يمكن بيعه وسداد الدين من ثمنه.
2. يحبس المدين إذا كان له مال ظاهر يمكن بيعه بنفسه أو بواسطة القاضي إمعانا في سداد الدين الذي عليه ويحبس إذا اعترض على البيع بواسطة القاضي لان ذلك نوع من المطل المحرم ويحبس في هذه الحالة حتى إتمام عملية البيع.
3. يجوز حبس المدين المجهول الحال لكشف حاله أن كان مؤسراً أو معسراً كما يجوز حبس المدين المتهم بإخفاء ماله ولا تطول فترة حبسه في الحالتين لفترة يعتقد انه لو كان مؤسراً لسدد الدين خلالها.
4. الأمر بالحبس ليس عقابا على إعسارهِ ولكنه وسيلة لإجبارهِ على الدفع متى توافرت لديه أسبابه وان مقدرة المدين على الدفع يجب إثباتها من الناحية الموضوعية وليس مجرد التزامه بالسداد.
5. لا فرق بين الشخص الطبيعي والشخص الاعتباري كما أن عامل الجنس لا يشكل اعتبارا بالنسبة للقبض والحبس تنفيذا للحكم.
6. يجوز حبس من عليه الحق إذا رفض أداء ذلك الحق إلى صاحبه هذا ولم يحدد القانون مدة معينه للحبس ولم يعتبر طول البقاء قرينة على الإعسار وفي ذلك خالف الفقه الإسلامي.
7. لا يجوز حبس المدين الا بطلب الدائن عند الإمام ابا حنيفة وهذا ما أخذ به القانون لان الحق الخاص لا يكون بمطالبة من مدعي الحق فلا تكون عريضة التنفيذ الا بطلب الدائن.

ثانياً: التوصيات:

1. أن بنص القانون على عدم حبس المدين إلا بعد استجوابه عن مقدرته على الوفاء أو إذا ثبت لها انه رفض دفع المبلغ المحكوم به مع مقدرته عليه.
2. يوصي الباحث بان يعتبر القانون أن طول بقاء المحبوس في السجن قرينة على إعسارهِ.
3. بان ينص القانون على عدم اللجوء لوسيلة حبس المدين إلا بعد استنفاذ كافة وسائل التنفيذ الأخرى وفي مقدمتها الحجز على أمواله وبيعها اقتضاء للدين أو التعويض أن أمكن.
4. أن يكون معيار حبس المدين ثبوت سوء نيته بالضرار بالمحكوم له وذلك بثبوت امتناعه ألعمدي عن الوفاء أو ثبوت إهماله مع قدرته علي الوفاء

5. الا يكون الحبس في كل الديون مهما كان مقدارها إنما يجب تحديد مقدار معين يستوجب الحبس
6. تعديل مصطلح المحكوم له الي طالب التنفيذ والمحكوم علية الي المنفذ ضده ومصطلح الحكم الي سند تنفيذي حتي لا يفهم أن السند التنفيذي هو فقط الحكم
7. اضافة نص يتضمن عدم اللجو الي الحبس الا بعد التحقق من ملاءة الذمة المالية للمدين وأنه ليس له أي اموال ظاهرة يتم الاستيفاء منها

(Endnotes)

الهوامش

1. حيدر احمد دفع الله: تنفيذ الأحكام في قانون المرافعات القطري, لم يشر لدار النشر, ط1, 1419هـ1998-م, ص132.
2. فتحي والي: التنفيذ الجبري, الناشر دار النهضة العربية القاهرة، الطبعة الأولي 1981م, ص8.
3. المادة «243» من قانون الإجراءات المدنية السوداني لسنة 1983م
4. الكاساني: بدائع الصنائع, دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولي، 1328هـ ج7, ص179. مدونة الإمام مالك, ج4, ص105, الشافعي: الأم, دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1403هـ ج3, ص179. نهاية المحتاج, ج3, ص324-325. البهوتي كشاف القناع, عالم الكتب بيروت لبنان، طبعة 1403هج3, ص248. ابن قدامه المغنى, مكتبة الرياض الحديثة، طبعة 1401هـ ج4, ص502
5. الإمام أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر للطباعة والتوزيع بيروت لبنان، طبعة 1401هـ، ج2، ص 120
6. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، طبعة 1375هـ، ج6، ص 393
7. سورة المائدة، الآية (106)
8. لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلس، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، مطبعة دولة قطر، ط1 1403هـ - 1953م، ص -84 85
9. أحمد بن علي المغري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية بيروت، ج1، ص 118
10. سورة الإسراء، الآية (8)
11. د. محمد علي الصابوني، التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1401هـ - 1981م، ج2، ص 153
12. هو الامام فخرالدين بن محمد بن الحسن القرشي ولد بالرازي سنة 544هـ وتوفي سنة

602هـ طبقات الشافعية لابي بكر بن هداية الله الحسني دار افاق الجديدة بيروت الطبعة الاولي 1971 – ص216
13. الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدار المنشور، دار الفكر، بيروت، 1993م، ج5، ص 245
14. ابن القيم الجوزية، الطرق الحكمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1380هـ
15. برهان الدين بن الوفاء إبراهيم بن علي بن فرحون، تبصرة الأحكام في الأصول الفقهية والأحكام، مطبعة البابلي الحلبي، القاهرة، ج2، ص 315
16. فريده إبراهيم أحمد يس، الحبس للتحري والمحاكمة وقواعد الإفراج بالكفالة، رسالة ماجستير 1998م، جامعة الخرطوم، ص4
17. المادة (110) قانون العقوبات السوسري
18. (18 فريده إبراهيم أحمد يس، الحبس للتحري والمحاكمة وقواعد الإفراج بالكفالة، رسالة ماجستير 1998م، جامعة الخرطوم، ص4)
19. ندوة ضوابط التوفيقية وإخلاء السبيل بالكفالة، وزارة العدل الأدرنية، عمان، 1917م، إعداد المعهد القضائي الأردني، ص 19
20. د. عوض محمد، قانون العقوبات القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، 1996م، ص 252
21. د. علي محمد جعفر، العقوبات والتدابير وأساليب تنفيذها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1988م، ص 37
22. الكاساني: بدائع الصنائع, ج7, مرجع سابق, ص255.
23. البخاري: صحيح البخاري, ج11,. المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، بدون تاريخ طبعة, ص236.
24. عمر بن الشريد بن سويد الثقفي الطائفي.
25. صحيح البخاري, ج11, مرجع سابق, ص236. سنن أبي داوود, ج2, ص45. ويقصد بالمطل في الحديث تأخر الدائن وتقاعسه عن قضاء الدين رغم مطالبة الدائن له ثلاث مرات على الأقل كما يقصد بالبلى بأنه المطل ويقصد بالواجد الغني.الشوكاني نيل الأوطار دار الحديث مصر ط1 1413هـ, ج5, مرجع سابق, ص231
26. الشافعي: الأم, ج3, مرجع سابق, ص231
27. ابن فرحون: تبصرة الحكام, ج2, دار الكتب العلمية بيروت بنان، الطبعة الأولي 1416هـ, ص215.
28. البخاري: صحيح البخاري, ج11, مرجع سابق, ص230.
29. أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب – مواهب الجليل لشرح

مختصر الخليل – مكتبة البخاري – لبيب كتاب التغلبي – لم يشر لرقمها ولا تاريخها – ج5 – ص33.

30. سورة البقرة الآية 28.
31. الشوكاني: نيل الأوطار, مرجع سابق, ج5, ص241.
32. الكاساني: بدائع الصنائع, ج7, مرجع سابق, ص172.
33. شهاب الدين احمد بن إدريس القرافي: الذخيرة, تحقيق الدكتور محمد حجي, طباعة دار الغرب الإسلامي, (د.ت), ج2, ص206.
34. المرجع السابق, ج1, ص370.
35. محمد نجيب المطبعي: تكملة المجموع شرح المهذب, كتاب الحنفية, باب ولاية القضاء, الناشر المكتبة السلفية, المدينة المنورة, ج20, ص140.
36. أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم محمد بن عبد الله الحنبلي: المبدع شرح المقنع, مطبعة المكتب الإسلامي, 1998م, بيروت, ج10, ص46.
37. المرجع السابق, ذات الصفحة.
38. أبي إسحاق برهان الدين: المقنع شرح المقنع, مرجع سابق, ص46.
39. المرجع السابق, ذات الصفحة.
40. المادة (243) قانون الاجراءات المدنية السوداني لسنة 1983
41. المادة «198» من قانون القضاء المدني لسنة 1929م الملغي. المادة «243» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1974م الملغي
42. قانون الإجراءات المدنية لسنة 1983م.
43. المادة (243) قانون الاجراءات المدنية لسنة 1974
44. أ. د. محمد الشيخ عمر: قانون الإجراءات المدنية, ج2, الناشر مطبعة جامعة الخرطوم، الطبعة السابعة، 1995م, ص217.
45. المادة «277» من قانون المعاملات المدنية لسنة 1984م.
46. المادة «25» من نفس القانون السابق.
47. المادة «243» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1974م الملغي.
48. المادة « 2/243 من القانون السابق
49. علي العوض محمد / ضد / مجدي محمد خير, مجلة الأحكام القضائية, 2000م, ص79.
50. المادة «244» من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1974م الملغي والمادة «199» من قانون القضاء المدني الملغي لسنة 1929م
51. مصطفى بابكر موسى / ضد / محمد خير حسين, مجلة الأحكام القضائية لسنة 1978م,

ص128.

52. إحسان خليل / ضد / شركة باريمان موتور, مجلة الأحكام القضائية لسنة 1963م, ص250.
53. محمد كرم الله / ضد / المطعون ضده, مجلة الأحكام القضائية لسنة 1993م, ص147.
54. م ع / ط م / 76 / 1987م بتاريخ 1988/1/3م غير منشور, نقلاً عن د. حيدر احمد دفع الله: قانون الإجراءات المدنية, ج2, مرجع سابق, ص48-50. سعاد احمد عبد الله / ضد / عبد العظيم عوض الله.
55. د. حيدر احمد دفع الله: قانون الإجراءات المدنية, ج2, مرجع سابق, ص22. وأيضاً المادة «3/239».
56. أحمد مليجي: حبس المدين في الديون المدنية والتجارية دار النهضة العربية 1998 ص 45.

Challenges of Urbanization to Squatter Settlements in Greater Khartoum- the Case of Dar Elsalam El- Magarba in Khartoum North, the Sudan

Samir Mohamed Ali Hassan Alredaisy
University of Khartoum, Department of Geography

ABSTRACT

East Nile locality witnessed rapid urbanization during the last decade which created challenges to Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement which dates back to more than half a century. This research aimed to examine these challenges and to propose a model for its upgrading to consolidate with its rapidly growing and urbanizing geographic neighborhood. Sources of data included field visits during January and February 2020; direct discussion with some head persons in Dar Elsalam El- Magarba; firsthand experience of the author's living in its neighborhood for more than a decade; GIS analysis of relevant satellite imageries which produced detailed maps for its morphology particularly roads elongation and width and housing units and surface elevation; beside local authority file data; and the Internet. Rapid urbanization in East Nile locality had consequent on architectural disconformities of Dar Elsalam El- Magarba with its surrounding residential areas, change of functionality of some houses on its outer skirts; rise of land rent, excess division of its occupied area; population crowdedness; over pressure on its lacked behind services, traffic congestion; promotion of some traditional houses to multi-storey type, and acceptance of advantages of location centrality. These influences created challenges to Dar Elsalam El- Magarba itself and, more excessively to its geographic neighborhood and this requires wise intervention that could be through the proposed "DLSSLSSPA" model "after the first letters of itsfive consecutive principles and four consecutive steps", and a final assessment to judge for its success (positivity) or failure (negativity).

Key words: geographic proximity,neighborhood change, Informal settlements, spatial polarization, urbanization, upgrading, consolidation

Squatter settlements are unauthorized owner-occupied self-built mode of housing provision. "The unauthorized owner-occupier developer secures a plot of land (either acquitting illegally, through organized mass invasion or gradually by families or small groups, or informally through de facto tenure agreements with landowners) and then constructs a housing unit without official permission, registration or building code" (Aciolyjr and French, 2012). Colonization has disrupted the traditions of self-reliance and resulted in them being

replaced by the notion of government as the provider of services including housing and the development of self-help groups, initially in squatter settlements is the microcosm of this larger process (Haywood, 1986). Later, housing has been viewed as a consumer good which must be given a very low priority in development issues and this view undermined the contribution of the housing sector to economic development (Matovu, 2000).

United Nations estimates suggested that nearly one billion people now live in slums worldwide representing 16/th of the planet's population and is expected to double by 2030 (Beardsley et al., 2008), where one in seven people on the planet are expected to reside in urban informal settlements by 2030 (Corburn et al., 2017) and "If no action is taken, the number of slum dwellers worldwide is projected to rise over the next 30 years to about 2 billion" (Dasgupta et al., 2009). They account for 71.9% of the population in Sub- Saharan Africa (Dasgupta et al., 2009), and comprise some 3070%- of the housing stock in many cities and towns in developing countries, and their scale is attributed to the inadequacies of housing finance systems and land development, along with the pressing demographic growth and mass poverty (Pugh, 2000). They comprised a mix of owners, landlords and tenants (Kumar, 1996)and their communities differ in size, character, age, and level of political and social organization (Beardsley et al., 2008).

Upgrading is a term given to measure to improve the quality of housing and the provision of housing- related infrastructure and services to settlements that are considered to be slums or that developed illegally. Upgrading has to be understood in the context of cities in low-and middle-income nations where a large and often rapidly growing proportion of the population live in squatter settlements (Sattrethwaite, 2012). Three thematic approaches were identified which are the progressive improvement of physical infrastructure provision; community microplanning and physical transformation through holistic plan (Abbot, 2002). Governments have moved from eradication policies to provision, enabling and participatory policies which was motivated by the recognition that informal settlements were not a problem but a solution to the formal housing markets that cannot fulfill its demand (Khalifa, 2015). The scope of upgrading varies from some minor improvements- for instance some communal water taps, paved roads, and lighting - to comprehensive improvements to the housing and good-quality infrastructure and services, and provision of legal tenure of the land to the occupants. "The consolidation process typically takes many decades after which time these informal are often indistinguishable from neighboring formally developed areas. The consolidation, however, is not a given and it does not always takes place, often the rudimentary settlements remain so, depending on level of community cohesion, investment capacity in housing, tenure security, and owner-occupation" (Aciolyjr and French, 2012). "In terms of wide-scale human welfare and sustainability, the conditions of life in urban squatter settlements have enormous

significance. Their scale is attributed to the inadequacy of housing finance systems and land development, along with pressing realities of demographic growth and mass poverty" (Pugh, 2000). Attempts were done to propose models and strategies to upgrade squatter settlements. Ahern, (2013) proposed "Five strategies to build resilience capacity and transdisciplinary collaboration are proposed: biodiversity; urban ecological networks and connectivity; multifunctionality; redundancy and modernization; adaptive design".

This research objects toshow that planned squatter settlements require continuous re-planning to cope with growth of a city, and that previously planned squatter areas became obstacles to provisioning of services for themselves and for their geographic neighborhoods in addition, to propose an intervention model for their consolidation with their growing urbanized surroundings, by taking Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement as an example. These objectives will discover challenges to Dar Elsalam El- Magarba and whether such an intervention model could help to render its inherent problems of growth and the recurrent rapid modern growth of its residential neighborhood.

The research problem, data sources and methods

The majority of the squatter settlements in Khartoum state have been upgraded through planning and re- planning, however, they still inheriting their prime problems of growth. These problems were further exacerbated by influences exerted by rapid urban growth around their neighborhoods and internal transformations such as division of houses, transforming to storey-type buildings and high land value which consequent in further crowdedness and over-pressure on inadequate available public services. Some squatter settlements became central places within the vast growing modern residential neighborhoods where the executed afore-planning and re-planning became uncompetitive in regard to rapid changes in the urban milieu. These have created serious challenges to these squatter settlements and to their geographic neighborhoods which could be exemplified by Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement.

Sources of data included; field visits during January and February 2020 where Dar Elsalam El- Magarba was divided into four geographic sections, in each section five head persons were selected conditionally lived for more than two decades there, and practiced some community services, and are able to highlight challenges facing Dar Elsalam El- Magarba due to rapid urban growth in East Nile locality. This was further supported by direct observation and firsthand experience of the author's living there for more than a decade, beside data collected from local authority files. Arc map 10.5 was used to produce detailed maps for location, general morphology, distribution of housing units and roads elongation for Dar Elsalam El-Magarba based on Google maps 2020. GIS analysis also produced general elevation map based on DEM 90 USGS.

A model of intervention was built to upgrade Dar Elsalam El- Magarba squatter settlements

(Figure1) including five consecutive principles and five consecutive steps. It was named as "DLSSLSSPA", after the abbreviation of the first letters of its consecutive principles and steps. These principles were Diffusion of Innovation; legitimacy; Sustainability; Space-base information; and Community Participation. The steps were Living habitat improvement; Subsidiary intervention; Step-wise intervention; Partial Demolition; and Assessment of the model on specified time span by field experts and community experience. Assessment could judge for continuation of upgrading (positive assessment) or suggests for compulsory demolition of Dar Elsalam El- Magarba (Negative assessment) and adoption of new practical alternatives.

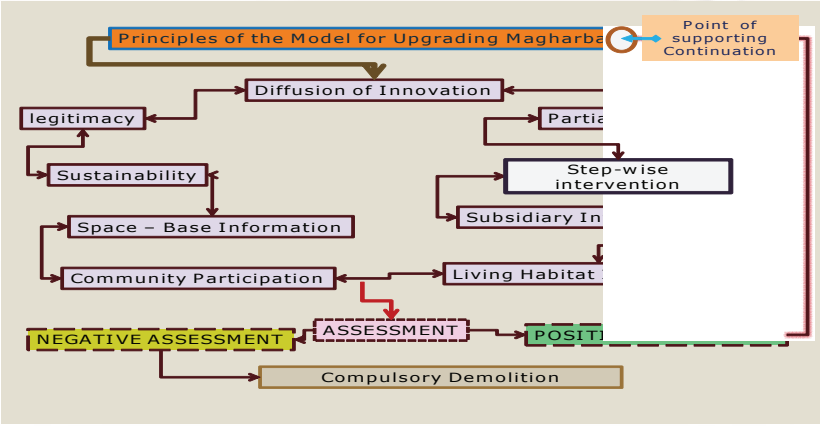

Figure 1: "DLSSLSSPA: A model for upgrading Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement

Urban growth and development of squatter settlements in Khartoum state

Khartoum State's population doubled 140 times during the period 19052000-, and while the number of population doubled by 12 times at the national level it doubled here by 50 times (El Bushra et al., 2005). The occupied area doubled 250 times during that period (El Bushra et al., 2005), particularly by the begging of 70th of the past century by influxes of migrations where it was "until 1970s dominated pull factors - economic growth, while from 1970s onwards pull factors-drought and conflict with high level of displacement prevailed where the majority of urban poor seeking better livelihoods opportunities, security and services" (Pantuliano et al., 2011). Net migration increased from 0.2 million in 1983 to 0.5 million in 1993, and then to 1.8 million in 2008 (Abdel Ati, 2012), which have over pressed on the already existed high population density of 169/km2 for whole the State (National Council for Population, 2002).

The wide gap between demand and supply, and the unaffordable cost of housing for the vast majority of households in Greater Khartoum have manifested in over-crowding and massive

growth of informal settlements. The State in Sudan has opted to replace sites-and-services with core housing as an alternative housing policy because of its perceived economies of scale (Hamid et al., 2014). Over the last two decades, most of the urban population growth in Sudan has been absorbed through a process of residential densification "sub-letting in existing districts" and through "illegal" occupation of sites on the edge of towns (Post, 1994). Over one hundred squatter settlements (Figure 2) have come to form a tight ring around Sudan's capital cities (El Bushra et al., 1995). Their Types included inner-city slum areas which are either engulfed or annexed by urban expansion; outer slums which are areas planned by the authorities and distributed to landless; and squatter settlements that built on illegally occupied by newcomers (Eltayeb, 2003).

Squatter settlements grew rapidly where by 1983 they made up 17% of the total urban area, and increased to 40% in 1985 (Figure 3) and then to 60% in 1990, while it dropped to 20% by the year 2000 (Figure 4). That was because of interventions by demolition, planning, re-planning, and transfer of some squatters to newly planned residential blocks such as Dar el Salam. The major consequences could be that "poor people being moved off prime value land, dramatic rise in value of real estate and cost of living, unskilled labor-growing numbers and competition from neighboring countries" (Pantuliano et al., 2011).

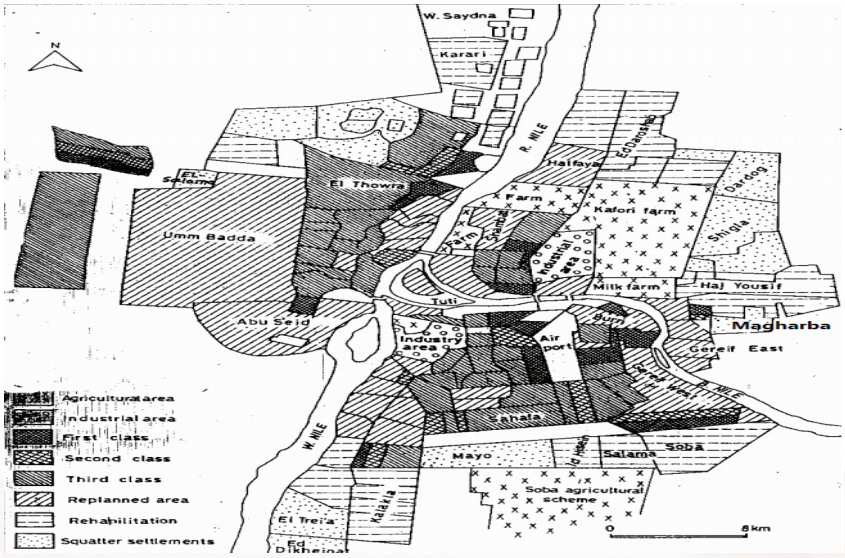

Figure 2: Khartoum State residential areas and slums
Source: Ahmed A M.1989.

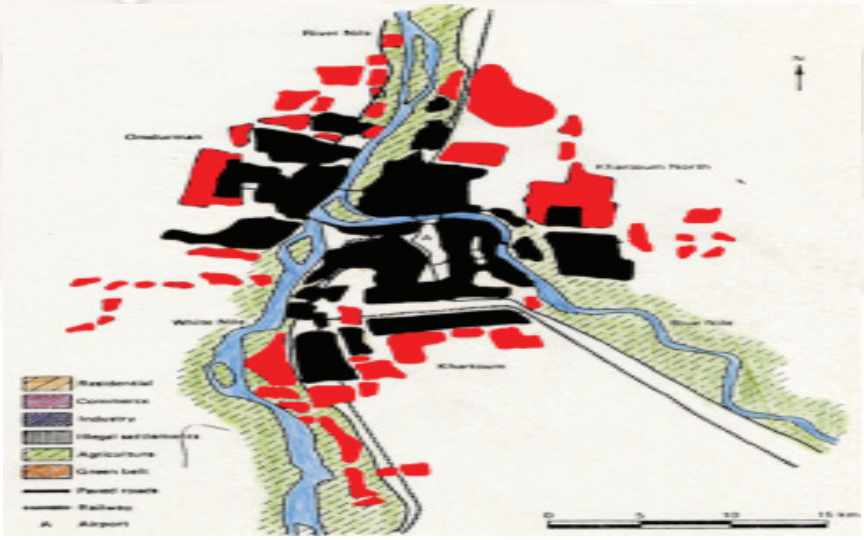

Figure 3: Squatter settlements in 1985 (40%)
Source: Ministry of urban planning, Khartoum state, 2000

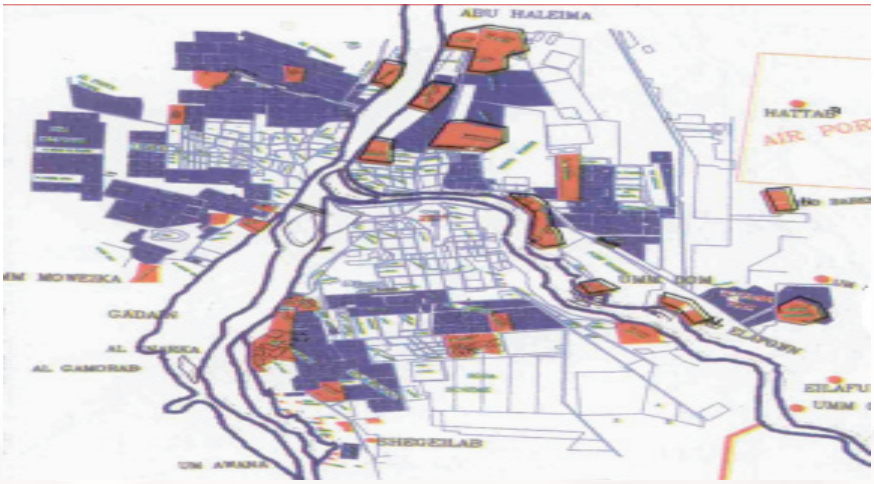

Figure 4: Squatter settlements in 2000 (20%)
Source: Ministry of urban planning, Khartoum state, 2000

Growth, development, and planning of Dar Elsalam El- Magarba

Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement (Figure 5) started as a small village in Khartoum North, named after El- Magarba tribe which settled on declared land recognition

by Batahien tribe in late 19th century. By mid 1970th it grew rapidly through de facto of land tenure agreement with landowners on behalf of being their ancestors' ownership. This spatial growth was part of an increase in occupied area in Khartoum north which increased from 6.3 km2 in 1970 to 46.5 km2 in 1980; and then to 204.9 km2 in 1998 (Survey Department, 1998, and Engineering Affairs, 1999).

Rapid spatial expansion of Dar Elsalam El- Magarba made official intervention a necessity where in situ planning was imposed conforming to official attitudes of planning in Sudan since 1956 which have range from extensive demolition to selective demolition and resettlement and some upgrading (Ahmed, 1989). Official intervention in Dar Elsalam El- Magarba during 19931994- produced a grid of narrow roads and corridors (Figure 6) discordant with rain water natural discharge and collection of household disposals and wastes; house plot area of 200 m2 minimally and 600m2 maximally, increase of built area to accommodate more population, division of Dar Elsalam El- Magarba into eight blocks; provisioning of piped water and electricity services. It also produced very few open spaces for community services which shortly, obliged them to use open spaces in neighboring residential areas to build basic schools for their children.

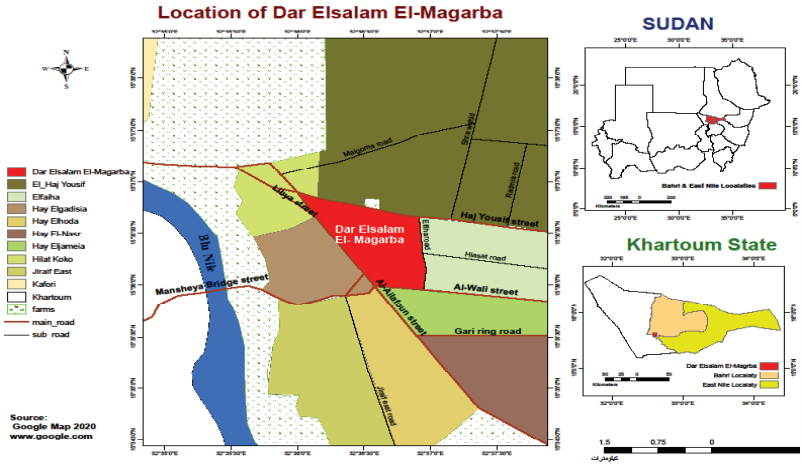

Figure 5: location of Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement
Source: GIS analysis based on Google maps 2020

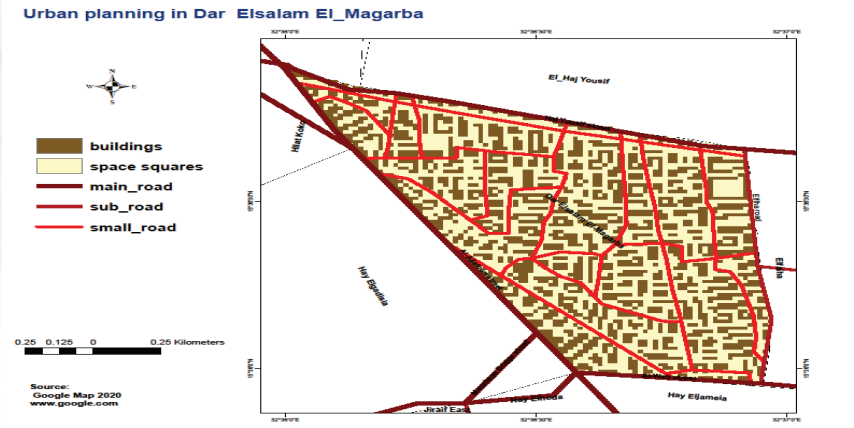

Figure 6: Morphology of Dar Elsalam El- Magarba produced planning intervention
Source: GIS analysis based on Google maps 2020

Intervention for Dar Elsalam El- Magarba planning also, produced two main narrow unpaved roads, one extending northeast-southwest with a length of 1042 meters and a second one extending north-south with a length of 748 meters (Table 1), meeting together in small traditional market in the middle of Magharba. The northern limit of Dar Elsalam El- Magarba is delineated by Haj Yusuf Street extending for 1750 meters; Wali Street from the south with 680 meters extension; Elfaiha street with extension of 1000 meters in the east; and Al-Ailafoun Highway extending for 1714 meters in the west (Table 1). A geometrical shape of Dar Elsalam El- Magarba over as estimated area of 1,500,000 square meters was ultimately produced, neighbored by Graif east from southwest, "Faiha" from the south and the east; Haj Yusuf from the north; and Elgadiesia from the west (Figures 5 and 6).

Tabe 1: Road characteristics within Dar Elsalam El- Magarbaand its outer skitrs

Name	surface	Shape length	Road length	Type
Magharba-Mid. Street	unpaved	0.006967	748	No mid-island
Dar Elsalam El- MagarbaStreet	unpaved	0.009436	1042	No mid island
Al Wali Street	Asphalt	0.006339	680	Two-ways
Haj Yusuf Street (Kassala Street)	Asphalt	0.016292	1750	Two ways
Kaddafi Highway	Asphalt	0.015639	1714	Two-ways

Source: GIS analysis based on Google maps 2020

Recent urbanization in east Nile locality

East Nile locality witnessed empirical residential development during the period 2005-2019, following the opening of Munshia Bridge in 2005 that linked Khartoum town with east Nile locality. The eastern part of Khartoum town represents a recent "**urban growth pole**" in Khartoum town. It is characterized by first class residential areas extending along three main north-south roads meeting with Khartoum-Medani Highway to connect with new first class residential extensions in Soba area. Excessive increase in land rent in Khartoum east drove many peoples to seek for alternatives among which, and preferably due to geographic proximity and affordable land prices and rents, was the east Nile residential areas. They are part of the skeletal plan for development and promotion of Greater Khartoum for the period 19912000- over an area of 8000 hectares for development, where 4700 hectares were allocated to residential areas to enroll growth up to the year 2000 (Banaga, 1994). The plan basically proposed the development of urban centers neighboring the already existing occupied areas to enroll population activities and services provided that being connected by transportation networks. Some residential areas developed rapidly around and close to the Blue Nile such as Huda; Gadisia; "Hai" Gama'a, Hai Nasr; and Munshia east, and very recently Blue Nile Hai. Some others developed along the Ring Road connecting Gaily Oil Refinery with Munshia Bridge, and along Al-Ailafoun High Way connecting with Soba Bridge (Figure 5). Older residential areas of Hajj Yusuf and Hilat Kuku were also developed and similarly, remote residential areas of Tilal; Wadi Akhdar "Green Valley", IDD Babiker were also rapidly developed.

This rapid growth of residential areas was accompanied by huge Arab agricultural investment schemes which made of the east Nile locality a "regional growth pole" in Khartoum State.Manymarket areas have developed including Suk Kuku, for example, where its domain extended southwards and eastwards along the main roads passing by Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement, to connect with towns of Khartoum and Khartoum north and Omdurman via transportation networks, and similarly did Suq Sitta (six) which connected remote residential areas of the locality with central places in the locality and other parts of Khartoum state (Alredaisy, 2011). Along the Ring Road and Al-Ailafoun Highway many residential areas were developed (Figure 7) and similarly, many service centers including central markets (Figure 8); car maintenance works; private clinics, banks branches, oil service stations, schools; and some University colleges.

Figure 7: Modern residential growth in east Nile Locality (Hai El-Nasr)
Photo credit: Samir Alredaisy (December 2019)

Figure 8: East Nile New Central market
Photo credit: Samir Alredaisy (December 2019)

Consequences of recent urbanization on Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement

The results of rapid urbanization in east Nile locality on Dar Elsalam El- Magarba could be outlined in the following facets:

- **Architectural disconformities:** Some houses on the outer skirts of Dar Elsalam El- Magarba were transformed to modern multi-storey type and became alike to the surrounding first class residential areas or neighboring formally developed areas (Figure 9), however; many houses are still keeping their primary design and traditional building material (Figure 10). This further caused landscape distortion and disconformity with surrounding first class residential areas (occupancy distortion).
- **Change of the out skirts functionality:** Outer skirts were utilized by businesses works such as car service, private schools, clinics, oil stations, and maintenance workshops, retail trade shops which inevitably increased land rent and some population translocation.
- **Proximity influences:** Many traditional houses inside Dar Elsalam El- Magarba were transformed to multi-storey types due to changes on its outer skirts and tendency towards architectural similarity with its neighboring first class residential areas. This led to upgrade of many house standards by modern architectural designs and sewerage system, beside rise of land rent by sale to well-off people which caused in the departure of some poor people such as Nubba group to depart to some remote areas in east Nile locality, socioeconomic difference among residents, excess division of the occupied area to accommodate renting demand or to enroll own families, and expectedly the rise of population density, crowdedness; and over pressure on lacked behind services.
- **Location Centrality:** Dar Elsalam El- Magarba became a divergence and a convergence focal point of transportation routes as it locates at the mouth of Munshia - Bridge and at the southern inlet-outlet of Suq Kuku (the central market in East Nile locality), close to major public facilities such as East Nile Hospital, Judiciary and Land Registration Complex, and the new East Nile Central Market.
- **Traffic obstruction and congestion**: Dar Elsalam El- Magarba's mal-planning obstructed opening of alternative roads to accommodate additional vehicles, particularly it locates at the mouth of main roads and Munshia-Bridge.
- **Blockage of rain water drainage:** Rapid residential growth and flatness of the geographic vicinity (Figure 11) to Dar Elsalam El- Magarba had blocked rain water draining naturally towards the Blue Nile. This consequently increased hazards of stagnant water accumulation and dangers of traditional houses collapse.

Figure 9: Two opposite faces of Elgadissia first class residential area (left) and Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement(right)
Photo credit: Samir Alredaisy (December 2019)

Figure 10: Contradictory types of buildings: multi-storey and traditional inside Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement
Photo credit: Samir Alredaisy (December 2019)

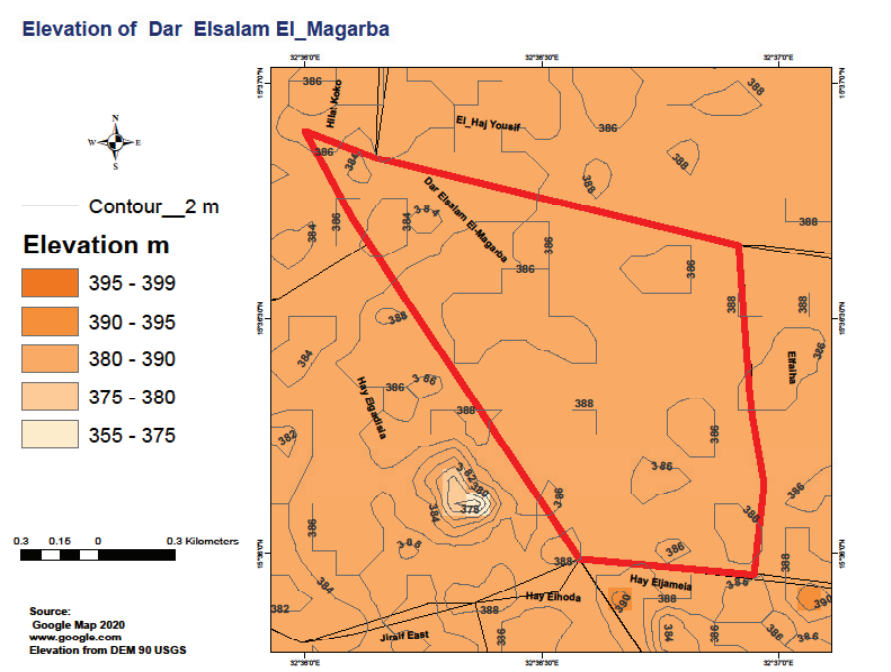

Figure 11: Elevation of Dar Elsalam El- Magarba and its neighborhood
Source:GIS analysis of Google maps 2020

Discussion

The long sequence of urban growth and urban development process in the changing world of Greater Khartoum has consequent on challenges to the inherited squatter settlements such as Dar Elsalam El- Magarba. This sequence is capable to cause urban hazard that could hurt the environment of these human habitats. This is particularly effective since urban planning in Sudan failed to deal adequately with the problems of rapid urbanization due to poor performance relating to developments in the planning environment (Post, 1996), however, it attempted to elucidate the overall political climate, increase popular participation, and decentralizing of efforts (Post, 1996).

In addition to urban hazard, rapid urbanization in East Nile locality had resulted in spatial polarization of its various settlements which increased inequality between them and effected exchanges in their relative positions. Dar Elsalam El- Magarba was subject to that and furthermore, was subject to urban polarity thatcould lead to social structure changing; urban social divisions and inequalities; and intensifying socio-spatial divisions. This was observed within the contrasting urban mosaic of Dar Elsalam El- Magarba's vicinity. According to (Snir et al., 2018), each of these contribution factors can be associated with a typical spatial pattern,and these factors can reinforce each other in specific spatial locations.

Urban hazard, spatial polarization, and urban polarity could be conceptualized within the risk of residential vulnerability framework within which the urban residential system of the East Nile locality became subject to the big influences of the dangers of rapid urbanization in Khartoum state. That rapid urbanization was determined by the overall socio-economic characteristics of the Sudan, including political instability and wide spread of rural and urban poverty; as well as environmental characteristics of onsets of drought and desertification; and the recurring incidences of population displacement. This residential vulnerability was further fueled in Dar Elsalam El- Magarba by geographical shift from traditional type of housing to modern one, inside Dar Elsalam El- Magarba and the old residential areas surrounding it, particularly Haj Yusuf from the northward side. Rapid growth accompanied with architectural modernity in the geographic vicinity of Dar Elsalam El- Magarba was essential to impose that residential vulnerability, but being enhanced by some other vital factors that could be framed within diffusion sprawl, communications and capital investment generated by geographical transaction and contact with rapid urban growth of eastern Khartoum town. This was evidently seen by huge sale of houses in some old residential areas, such as Burri residential area, and movement to the new residential areas in East Nile locality. These residential areas were part of the skeletal plan for development and promotion of Greater Khartoum for the period 1991-2000. It targeted the doubling of residential area fifth times compared to what was there in 1990, and included in East Nile locality areas such as Om Duban (EL Ailafoun small town), Abu Deilaig (central village) and Geili (industrial area) which are lying on the outer ring relative to the old residential mass and connecting them together by circular roads such as the ring road (Figure 5) and Nile bridges such as Munshia- Bridge. It also targeted to get rid of centrality of trade works via the division of Greater Khartoum into central areas, such as the central market in East Nile locality (Figure 8); beside encouragement of vertical growth and improvement of services of residential areas and that of squatter settlements (Banaga, 1994).

Collective rapid urban growth and development in East Nile locality has resulted in somehow, a sort of regional polarity with socio-economic power and important capabilities within the geographic region of Greater Khartoum. This regional polarity resulted in settlement divergence and population translocation by land sales; occupancy distortion due to architectural disconformities; economic disturbance due to influence of market areas, which have been allconfirmed by the case of Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement which experienced some sort of marginalization. This was manifested insocial disadvantages and downgrading where some dissidents faced marginalization in Greater Khartoum with the outbreak of violent events associated with “Negros Gangs” during December 2019.

Upgrading of Dar Elsalam El- Magarba planned squatter settlement is a key factor for its improvement since proper planning is necessary in urban development politics to improve

human settlements managements in a sustainable way (Elnazir et al., 2004), and particularly to improve the public services and the legitimacy of property and occupancy rights (Pugh, 2000). Furthermore, informal settlement upgrading is widely recognized for enhancing shelter and promoting economic development and can address multiple environmental determinants of health and is a key strategy to promote health, equitable development and reduce climate change vulnerabilities" (Corburn et al., 2017) and would lead to a more sustainable and cost-effective urban development" (Okpala, 1999). The benefits are simply that "people obtain an improved, healthy and secure living environment without being displaced. The investments they have made to their properties remain and are enhanced-this is significantly better than removing them to costlier alternatives that are less acceptable to them. Experience has shown that informal areas upgrading projects are associated with social and economic benefits that are particularly high" (EL Menshawy et al., 2011). "Upgrading also makes a positive impact in reforming governance institutions and in particular, policy reform and changes to the regulatory frameworks that set the legal parameters for upgrading" (Horen, 2004), in addition to introduction of green spaces which have a beneficial health effect (Lee et al., 2011) and their roles in alleviating the adverse effects of urbanization in European cities have been confirmed (Ridder eta l., 2004).

Our proposed model was named "DLSSLSSPA" as abbreviation of the first letters of its consecutive principles and steps (Figure 1). It is extremely eternal for the future of Dar Elsalam El- Magarba and the whole geographic neighborhood of east Nile locality to commensurate with ''the skeletal plan for development and promotion of Greater Khartoum for the period 19912000- which was basically proposed the development of urban centers neighboring the already existing occupied areas to enroll population activities and provide work chances and services provided that being connected by transport networks''. Itwas based on the following principles and steps:

1. **Diffusion of innovation:** Objects to make the community ready to cooperate and influence on overcoming complexity of upgrading process. It could be through diffusion of concepts targeting to treat Dar Elsalam El- Magarba as a residential area needs to cope with new world's changes in human habitats. Diffusion should avoid conventional method-based approaches which are applicable to new areas or sites and instead should focus on applicable principles and best practices.
2. **Legitimacy:** Seeks to transform Dar Elsalam El- Magarba squatter settlements into a formal neighborhood. This endeavor could benefit, for example, from Favela Bairro slum upgrading program (FBP) in Rio, Brazil. That program was based on slum upgrading without full land tenure legalization and for its use of state of exception, primarily the concession of right to use but not full ownership of land, in order to allow this program

to take place (Handzic, 2009). Long term impact and sustainability of upgrading interventions of squatter settlements is limited and consolidating is beginning to provide residents with access to land tenure and services. Recognizing title and security of tenure makes a positive contribution to both the economy prospects of the poor, as well as the national economy (EL Menshawy et al., 2011).

3. **Sustainability:** Dar Elsalam El- Magarba could be framed within the trend that external interventions have the ability to deal with the key issue of vulnerability and to fight for the need to plan for the long-term sustainability of informal settlements (Abbot, 2002).
4. **Space - base information:** Necessary space-based information for Dar Elsalam El-Magarba upgrading could be provided by conceiving of landscape as the primary problem due to mal-planning and relating ill health conditions, and as the main opportunity for intervention and improvement (Beardsley et al., 2008).
5. **Community participation:** Communityparticipation is integral part of this model. Some experiences will benefit such as that of Mumbai with slum redevelopment programs. This is because "in spite of the intolerable environmental conditions in which they live, squatters have up to now shown a surprisingly high degree of popular initiative and cohesion, newcomers are pioneers, acquire attitudes and skills much different from those existing in rural areas of their origin, but their motivation and behavioral patterns often change" (Madova, 1976).It suggested for a community among slum dwellers for redevelopment. Also, policy makers and analysts, apart from focusing on tenure status, should pay attention to the existing physical conditions within Dar Elsalam El- Magarba including its location, land use, layout, and the size of the lots within it. They can impact the success of upgrading strategies by considering the preference of beneficiaries for different strategies (Mukhija, 2001).
6. **Living habitat improvement:** Implementation of physical improvements via a full package of basic services is absolutely crucial to improve the living conditions in Magharba. This is important since interventions in the built form through the provision of infrastructure have been proposed as a strategy to improve economic, social and health outcomes to informal settlements (Beardsley et al., 2008). It is also important to link upgrading and service provision as twin approaches to development of Magharba. This will make it situated within a particular development paradigm and within community support upgrading initiatives. Dar Elsalam El- Magarba could benefit from the shift of prevailing strategies for addressing non-formal settlements from large-scale clearance and relocation to on-site upgrading and improvement with the goal of integrating low-income communities into their larger urban contexts. This is because many slum areas

are big and old and it will be "impractical to think of removing them entirely, to improve them physically without destroy them socially" (Beardsley et al., 2008).

7. **Subsidiary intervention:** The experience of the National Slum and Squatter Upgrading Program in Thailand (Boonyabancha, 2005) could benefit Dar Elsalam El-Magarba concerning this integral step of upgrading. The program centered on providing infrastructure subsides and housing loans to low-income communities to support upgrading in situ wherever possible and, if not, to develop new homes close by. Support is provided to community organizations and networks formed by the dwellers to allow them to work with city authorities, other local actors and national agencies on city-wide upgrading programs.
8. **Step-wise intervention:** Adoption of aspects of recent upgrade of informal settlements in South Africa (Brown-Luthango et al., 2017) is important for Dar Elsalam El- Magarba to achieve Step-wise intervention. These aspects included planning, tenure delivery, and public participation within a historical context and within the framework of state's evolving urbanization policies. "Land use efficiency is an important index to measure the level of land use, from the aspects of society, economy, resources and environment" (Wang et al., 2006).
9. **Partial demolition:** This will focus on thepossibility of the use of Dar Elsalam El- Magarba occupied residential area to open spaces, provide services and eradicate environmental health problems. The Chinese experience will benefit here since it was confirmed that this can enroll even aimed to more numbers of residents and open a chance to transfer people from far remote areas to reside here, change thinking of land urban use, reduce cost of living due to long transportational journeys, and control of security. This might require the change of attitudes toward land ownership among urban residents and even the policies of the State towards land allocation through urban residential plans, it might put the society of Dar Elsalam El- Magarba to accept residing in a flat rather than a house and will accommodate with rapid urbanization rates in Sudan. The Turkish model in squatter settlements upgrading (Uzun et al., 2010) might also, benefit Magharba. It firstly, demolished such areas and then legalized them but due to failure they developed a new model in 2003 that upgraded them through demolishing existing ones and constructing new residential units in the same or different area. The model provides housing units to slum owners as compensation for their slums while giving an opportunity to the squatters and low-income people living outside the upgrading area to buy a housing unit with affordable long-term payments. Thus prevents the construction of new squatters, as an enrichment tool by not sharing annuities of urbanization with squatters (Uzun et al., 2010).

Assessment of "DLSSLSSPA" model

The model's principles and steps should be assessed on specified time-span by official authority and local community and stakeholders to judge for success (Positivity) or failure (Negativity). Positive assessment could lead to continuation of upgrading process which could be fueled via point of supporting continuation indicated in the model (Figure 1). Negative assessment leads to the possibility of exclusion of some principles of the model and/ or inclusion of some new principles which might include compulsory demolition (Figure 1), because slum redevelopment strategies could involve demolition of squatter settlements and redevelopment of new, higher density, medium-rise apartment blocks, including, entirely cross-subsidized housing for the original slum dwellers (Mukhija, 2002).

This proposed model should bear in mind that: "An additional factor to be assessed is the extent to which governments and international agencies have improved income, resources, environment and tenure security in many settlements, but could not eradicate the problems as benefits did not multiply due to lack in institutional development, policy implementation, governance, participation, ignorance of the squatters' capability to bring affordable solutions through their own process" (Rahman, 2011). Also, it shouldn't consider cost and cost recovery as a perquisite to achievement and here can follow the project of large -scale squatter upgrading in Lusaka, Zambia during the 1970s which "Despite the many problems that occurred, especially with regard to cost and cost recovery, the project did have some successes and future considerations" Chawama (Pakodi, 1987).

Conclusions

This research tried to outline the challenges facing afore planned squatter settlements due to rapid and changing urbanization cadence, where Dar Elsalam El- Magarba squatter settlement in East Nile locality was taken as example. The main results suggest for:

1. Rapid urbanization will continue to make persistent challenges to squatter settlements, either planned or re-planned.
2. Continuous intervention via proper upgrading strategies and coping policies of urban planning is necessary.
3. That our proposed model "DLSSLSSPA" could be benefit to apply in similar situations in Greater Khartoum, and elsewhere.

Proper development plans to stop rural-urban migration, State's policies to provide housing to Khartoum State's citizens and harsh measures to stop land violation by new squatters are necessary prerequisites to improve urban environment and squatter settlements upgrading.

References

Abbot, J. 2002. An analysis of informal settlement upgrading and critique of existing methodological approaches, Habitat international 26(3):303315-.

Abbott J.2002.A method-based planning framework for informal settlement upgrading. Habitat International, 26 (30: 317333-.

Aciolyjr, C. and French, M. (2012) Housing developers, International Encyclopedia of housing and home. Science Direct, sciencedirect.com.

Ahern, J. 2013. Urban landscape sustainability and resilience: the promise and challenges of integrating ecology with urban planning and design. Landscape ecology, 28 (6): 1203-1212.

Ahmed, A M.1989. Housing submarkets for urban poor-the case of Greater Khartoum, the Sudan. Environment and urbanization, 1 (2):5059-.

Ahmed, Abbas Amhed (1998). Spatial aspects and geographical characteristics governmental of secondary school in Khartoum urban complex, PhD thesis, University of Khartoum.

Albushra, S.M and Taha, B.O.(2005), Environmental problems and environmental management in Greater Khartoum. Geographical Series 12, Saudi Geographical Society, Riyadh.

Alredaisy, S M A. 2011. Linking squatter settlements in Greater Khartoum, a hierarchical transportational network", Nile Basin Research Journal, 2010, 12 (V1): 4573-.

Banaga, S. E. (1994). The residential plan of Ingaz, Ministry of Engineering Affairs-Khartoum State, Khartoum.

Beardsley J, Werthmann C.2008. Improving informal settlements ideas from Latin America. Harvard Design Magazine, 28: 3134-.

Boonyabancha S.2005. Baan Mankong: Going to scale with "slums" andsquatter upgrading in Thailand. Environment and Urbanization, 17(1):2146-.

Brown - Luthango, M. ; Reyes, E. and Gubevu, M. (2017). Informal settlement upgrading and safety: experience from Cape Town, South Africa. Journal of housing and built environment 32(3):471493-.

Charlton, S. (2012). Learning from local: experiences of informal settlement upgrading in Kwazulu-Natal. South African Review of Sociology 37(1):4864-.

Corburn L, Sverdlik A.2017. Slum upgrading and health equity. International journal of environmental research and public health, 14 (4), 341.

Dasgupta B, Lall S.2009. Assessing benefits of slum upgrading programs in second-best settings. Urban and Markets, 225251-.

El Bushra S, Hijazi N B. 1995. Two million squatters in Khartoum urban complex: The dilemma of Sudan's national capital. Geojournal,35(4):505514-.

El Menshawy A, Aly S S, Salman A M. 2011. Sustainable upgrading of informal settlements in developing world, case study: Ezzbet Abd El Moniem Riyadh, Alexandria, Egypt. Procedia

Engineering, 21: 168177-.

Elnazir R, Feng X Z. 2004. Urban planning: A tool for urban poverty alleviation in Sudan. Chinese Geographical Science, 14 (2):110116-.

Eltayeb, G E.2003.Khartom, Sudan. UN-HABITAT Case Studies, London 2. Ucl.ac.uk

Engineering Affairs (1999)

Hamid G M, Elhassan A A M.2014. Incremental housing as an alternative housing policy: evidence from Greater Khartoum, Sudan.

Handzic K.2009. Is legalized land tenure necessary in slum upgrading" Learning from Rio's land tenure policies in Favela Barro Program. Habitat Internationa, 34(1):1117-.

Harrison P.1992. Urbanization: the policies and politics of informal settlements in South Africa: A historical perspective. Africa Insight, 22 (1):1422-.

Haywood I.1986. Popular settlements in Sub-Saharan Africa. Third World Planning Review, 8 (4), 395.

Horen B V. 2000. Informal settlement upgrading: bridging the gap between the de facto and the de jure. Journal of planning education and research,19 (4): 3894000-.

Horen B V.2004. Community upgrading and institutional capacity building to benefit the urban poor in Asia. Forum on urban infrastructure and public service delivery for the urban poor, regional focus: Asia. India Habitat Centre, New Delhi, June, 242004 ,25-.

Khalifa, M.(2015).Evolution of informal settlements upgrading strategies in Egypt: From neglegance to participatory development. Ain Shams engineering journal 6(4):11511159-.

Kumar S.1996. Landlordism in Third World urban low-income settlements: A case for further research. Urban studies, 33 (4782-753:(5-.

Lee A C, Maheswaren R. 2001. The health benefits of urban green spaces: a case review of the evidence. Journal of public health, 33 (2): 212222-.

Madova E M.1976. Uncontrolled settlements. Finance and Development, 13 (1):16.

Maighani D A.2002. Planning characteristics and daily movement in Khartoum city: Reality and prospective. Unpublished Ph D Thesis, University of Khartoum.

Matovu G. 2000.Upgrading urban low-income settlements in Africa: constraints, potentials. And policy options. Regional Roundtable on Upgrading low-income settlements, 35-

Mukhija V.2001. Upgrading housing settlements in developing countries: The impact of existing physical conditions. Cities, 18(4): 213222-.

Mukhija V.2002. An analytical framework for urban upgrading: property rights, property values and physical attributes. Habitat International, 26 (4):553570-.

National Council for Population (2002).

Okpala D C I.1999. Upgrading slum and squatter settlements in developing countries: is there a cost- effective alternative. Third World Planning Review, 21 (1).

Pakodi C.1987. Land, layouts and infrastructure in squatter upgrading: The case of Lusaka. Cities, 4 (4):348370-.

Pantuliano S, Buchanan M, et al.,.2011. City limits:urbanization and vulnerability in Sudan. House of Lords. Humanitarian Policy Groups, Overseas Development Institute.

Post J. 1996. The politics of urban planning in the Sudan. Habitat international, 20 (1):121-137.

Post J.1994. An outside view on the inside of Sudanese town planning. Third World Planning Review, 16 (4), 315.

Pugh C.2000. Squatter settlements: their sustainability, architectural contributions, and socio-economic roles. Cities, 17 (5):325337-.

Rahman M.2011. Sustainable squatter housing in the developing world: changing conceptualization. International journal of Architectural research: ArchNet- IJAR 5 (1): 143-159.

Ridder K D, and Weber C. 2004. An integrated methodology to assess the benefits of urban green space. Science of the total environment, 334497-335:489-

Satterthwaite, D. (2012) Upgrading informal settlements, Science Direct, sciencedirect.com

Snir, T M, Ham M V.2018. Neighborhood change and spatial polarization: The roles of increasing inequality and divergent urban development. Cities 82:108118-

Survey Department, Khartoum state (1998)

Uzun B, Cete M, Palanncioglu H M.2010.legalizing and upgrading illegal settlements in Turkey. Habitat International,34(2):204209-.

Wang Y, Song G. 2006. The benefits evaluation method and application of urban land use. Scientia Geographica Sinica 6.

Appropriateness of Communicative Language Teaching to Sudan Context: Teachers, Perspective

Prepared by Dr. Tahiya Alshaikh Alhameem Yousif

Associate Professor of Applied Linguistics at Alzaiem Alazhari University- Faculty of Education- .English language department

ABSTRACT

This study aims to explore the extent to which Communicative Language Teaching (CLT), is appropriate to secondery schools in Sudan. The researcher used the descriptive analytical method. Three instruments were used for collecting data: questionnaire, interview and participants observation. The total number of the population of the study is 398 secondary school teachers in Khartoum state. The sample was composed of 108 teachers, which represent 27.1% of the total number of population. All the teachers selected responded to the questionnaire, while ten of them were interviewed and observed in the classrooms. Results showed that although the teachers have positive attitudes towards CLT, they failed to implement it in their classrooms due to many difficulties related to the training and the teaching environment. Based on the results obtained, the study highlights four main recommendations: first, teachers must receive basic professional training on CLT(training could take the form of workshops, seminars or conferences). Second, teachers' attitudes towards CLT should be changed positively. Third, to tackle the generally low level of speaking skills among teachers, a language improvement component should be included in teachers> training programs. Lastly, English syllabuses at secondary school should be of a communicative nature.

Key words: context, communicative, Appropriate.

مستخلص

تهدف هذه الدراسة إلي الكشف عن مدي ملائمة طريقة التدريس التواصلي في اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية بولاية الخرطوم. استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتم استخدام ثلاث أدوات لجمع بيانات الدراسة: استبيان، ومقابلة، وملاحظة المشاركين. بلغ العدد الكلي لمجتمع الدراسة 398 معلماً للغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية بولاية الخرطوم، و إشتملت عينة الدراسة علي108 معلماً، بنسبة 27.1% من المجتمع الكلي للدراسة. لقد أجاب كل أفراد العينة على الاستبيان، وهناك عشرة معلمين منهم أجريت معهم مقابلة واستخدمت معهم أداة الملاحظة داخل الفصل. تشير نتائج الدراسة إلى أن اتجاهات معلمي اللغة الإنجليزية إيجابية نحو استخدام طريقة التدريس التواصلي، رغم أنهم لا يجيدون تطبيق هذه الطريقه داخل الفصل ويعزي ذلك للعديد من الصعوبات التي ترجع للتدريب والبيئة الدراسية. بناءً على النتائج

أعلاه، تتقدم الدراسة بأربع توصيات رئيسية: أولاً ضرورة أن يتلقى المعلمون تدريباً أساسياً في استخدام طريقة التدريس التواصلي(يمكن أن يأخذ التدريب شكل ورش عمل و سمنارات أو مؤتمرات). ثانياً: اتجاهات المعلمين نحو طريقة التدريس التواصلي يجب أن تغير إيجابياً. ثالثاً: لمعالجة مشكلة الطلاقة في اللغة الانجليزية بين المعلمين يجب أن تشتمل برامج التدريب على مفردات تحسين اللغة. و أخيراً، يجب أن تكون المناهج الدراسية الانجليزية في المرحلة الثانوية ذات طبيعة تواصلية.

كلمات مفتاحية: سياق, تواصلي, ملائم.

.1Introduction

Communicative Language Teaching (CLT) has its roots in England, which is a primarily English as a second language (ESL) environment. In the early 1960s, concepts about second language teaching were changing, and the theoretical assumptions behind them were also being rethought. It was during this time of re-evaluation that CLT was born. The CLT approach quickly spread in Western countries, until finally it gained popularity among language teachers around the world. Once CLT began its journey across the West, it took many different shapes and forms. It has been almost three decades since its inception, and still linguists discuss its theory and models. Some say that a strong aspect of this teaching approach is its ability to develop and change according to each country's own situation. Nevertheless, there are some general assumptions concerning the term CLT.

1.1Statement of the Problem.

Despite the apparent popularity of CLT in the last thirty years or so, there have been opposing views of the appropriateness and feasibility of implementing CLT in EFL contexts.

1.2 Objectives of the Study

The main purpose of this study is to investigate the appropriateness of CLT in Sudan. In addition, this study investigates the constraints that teachers face in implementing the communicative approach in the Sudanese context.

1.3Questions of the Study:

1.What are teachers' attitudes towards CLT?

2. What are the constraints that act against successful implementation of CLT in the Sudanese English language-teaching context?

1.4Significance of the Study

CLT has been widely explored and studied by many researchers in the field of English language teaching. Unfortunately, due to their insufficient data, these Sudanese studies fail in providing a well-documented account of the actual situation in the Sudanese context with regard to CLT and its utilization in English classrooms. Moreover, their conclusions are often oversimplified.

1.5Delimits of the Study

The study is limited to the possible constraints teachers face in implementing CLT in the Sudanese context of English language teaching and learning. The study is restricted to English language teachers of 30 government and private secondary schools from three localities in Khartoum State, Khartoum, Bahri and Omdurman.

2. Literature Review

According to Richards and Rodgers (2001:16), CLT began as a theory of language as communication, focused on developing learners' communicative competence. The term communicative competence is best described as the ability of classroom language learners to interact with other speakers - to make meaning - as distinct from their ability to recite dialogues or perform on discrete-point tests of grammatical knowledge. A focus on communicative competence involves many aspects of the widely known language skills, which are reading, writing, speaking, the role of the teacher has become more passive. In the CLT approach, the teacher has the role of facilitator of communication and independent participant (Breen & Candlin, 1980). This moves the focus of the classroom from teacher-centered to student-centered. This is a unique aspect of CLT, which is a learner-centered and experience-based view of second language teaching (Richards and Rodgers, 1986:69). Therefore, teachers are expected to develop and use authentic materials that meet the needs of their particular class. In addition, teachers need to motivate students and provide them with a comfortable environment for language learning. Littlewood (1981) adds that a teacher roles in CLT include: guide of students' learning, coordinator and manager of activities, language instructor, provider of new language, advisor when necessary. With this in mind it is important to investigate what kind of demands CLT puts on teachers. More specifically, what kinds of demands does CLT put on English as a foreign language (EFL) teachers, working with students in non-English speaking countries where authentic materials are hard to find? An approach that was designed to facilitate learning primarily in ESL environments presents difficulties when incorporated into non-Western countries (Burnaby and Sun, 1989; Gorsuch, 2000; Li, 1998; Tarvin and Al-Arish, 1991). The main reason for this may be cultural aspects of the non-Western EFL environment.It is important to make a clear distinction between ESL and EFL. ESL instruction happens inside an English-speaking country; therefore, the environment is rich in opportunities for the learner to test the target language outside of class. In fact, the ESL environment,imakes language-learning a necessary part of daily survival. Therefore, every level of learner can acquire the target language both inside and outside the classroom context. On the other hand, EFL instruction takes place in non-English speaking countries. initiative and the students' desire to acquire the target language. Thus, providing language experience and using authentic materials becomes more of a challenge for teachers. Ellis explains

"ESL teaching is primarily designed to develop communicative competence, with little or no curricular demands and pressures of examinations… whereas (EFL) is part of the school curriculum, and therefore subject to contextual factors such as a teacher's language proficiency, teaching resources, the availability of suitable materials, may or may not test communicative competence."

Ellis 1996:215

In most countries, including Sudan, foreign language tests are grammar-based, contradicting the principals of CLT. Thus the learner can become frustrated with a teacher's focus on communicative skills rather than on grammar and form. This study attempts to fill the gap in research on teachers' perceptions and attitudes towards CLT in EFL countries, giving special attention and focus to Sudan. Previously, English was the most commonly taught foreign language in Sudan, in both private and public schools. Teachers in Sudan have started to realize the need for communicative competence, and various institutions have provided workshops and training sessions on CLT. However, the university entrance exam has continued to influence foreign language teaching in Sudan.

3.Research Methodolog

Mixed methods research may be defined as "the collection or analysis of both quantitative and qualitative data in a single study in which the data are collected concurrently or sequentially, are given a priority, and involve the integration of the data at one or more stages in the process of research" (Creswell, Plano Clark, Gutmann, & Hanson, 2003, p. 212). Mixed-methods approach enables the researchers to draw on all possibilities (Tashakkori & Teddlie, 1998) and provides a broader perspective to the study as the qualitative data helps describe aspects the quantitative data cannot address (Creswell, 2003). Using both forms of data allows researchers to simultaneously generalize results from a sample to a population and to gain a deeper understanding of the phenomenon of interest. Amores (1997, p. 521) defines triangulation as "the collection and comparison of data from two or more separate observations or illustrations of the behaviors being studied". This was a major tool used in this study to gather data. Data were collected through written survey questionnaires and semi-structured interviews with the participants, and classroom observation.Given the purpose of this study, qualitative research appeared to be the most appropriate methodology. It is not only significant to document Sudanese EFL teachers' attitudes regarding CLT use in their classrooms, but it is also crucial to determine how their EFL teaching context has affected and shaped their attitudes and perceptions. In this study, mainly three types of data collection were used: a written questionnaire survey), semi-structured interviews, and classroom observation

4.Study Results, Analysis and Discussion

The themes generated from the questionnaire, the interview and the observation are

discussed under these four major categories:

1. Teachers' understanding and attitudes towards CLT
2. School information
3. CLT methodology
4. Difficulties and challenges in implementing CLT

Teachers' Understanding and Attitudes Towards CLT

The interview data suggested that teachers understood CLT principles. Richards & Rodgers, (2001:86) mentioned that the adoption of the principles of CLT marked the beginning of a paradigm shift that led to many changes in how second language teaching is conducted and conceived. These changes, considered to be some of the characteristics of CLT in practice, include learner centeredness, focus on both meaning and linguistic forms in context, use of collaborative activities, promotion of authentic materials and of relevant and meaningful classroom activities, and new roles for teachers as facilitators and negotiators of meaning.

School Information

Number of Students in the Classroom

Table (4.1) Number of students in the classroom

Number of students	Frequency	Percentage
Less than 30	4	3.7
30-40	16	14.8
41-50	32	29.6
More than 51	56	51.9
Total	108	100.0

As seen in table 9, secondary schools in Sudan have an average of between 40 and 51 students per class. Due to such high student numbers and the limited time allocated to each student in the lesson, it is challenging for teachers to carry out supplementary communicative activities when there is a strict requirement to cover all the items in the curriculum. The interview data in the current research supports that this is a problem. All ten participants mentioned that they have large classes, and that this makes it hard for them to use group work, especially in classrooms with fixed and immovable desks and chairs. Moreover disciplinary issues were said to dominate large classes.

Classes Teachers Teach Each Year

Table (4.2): Number of annual classes per teacher

Number of classes	Frequency	Percent
1	0	0. 00
2	8	7.4
3	36	33.3
4	63	59..3
Total	108	100.0

The data revealed that the setting in which teaching occurs imposes many constraints on teachers. Related to setting is the issue of teaching load. The reality is that teachers in Sudan are overworked and underpaid. Therefore, in order to make a living, most teachers have an average of 4 classes to teach each week, which imposes great constraints on class preparation time. 59.3% (63) teachers stated that they taught 4 classes per week each year. Therefore, creating a fully communicative environment, in which they are expected to use authentic materials, and provide opportunities for communicative interactions, may not be realistic.

Teachers' Teaching Load

Table (4.3): Teaching Load

Teachers' load (hr)	Frequency	Percent
Less than 5	8	7.4
5-10	20	18.5
11-15	80	74.1
Total	108	100.0

In regards to the hours of class, the questionnaire revealed the heavy workload that Sudanese secondary school teachers must contend with. According to the survey data, almost three quarters of the teachers 74.15% (80), disclosed that they taught more than 15 hours per week. This only included the contact hours, not grading and other out-of-class duties. What is more, 18.5% (20) affirmed that they taught 5 to 10 hours of English classes. Only 7.4%(8) out of 108 respondents taught less than five hours per week. Teachers' heavy workloadwas a major difficulty reported in the current study that was vastly mentioned by other authors. Burnaby and Sun (1984), Halliday (1994), Hui (1997), Li (1998), Li (2004), and Rao (2002) demonstrated in their studies that this issue was a significant constraint that hindered the effective implementation of CLT in EFL classrooms.

Access to Authentic Material in the Target Language

Table (4.4): Access to Authentic Target Language Material

Access to authentic material	Frequency	Percent
Yes	23	21.3
No	85	78.7
Total	108	100.0

As seen in table 12, access to authentic material in the target language served as a barrier to the adoption of CLT in Sudanese English classrooms. Lack of support from administrators, as well as insufficient funding from the Ministry of Education is regarded as a big challenge for teachers who would like to employ CLT in their classrooms. Pertaining to the lack of financial support is the shortage of authentic language teaching and learning materials

CLT Methodology

This part of the research asks questions about: (1) the types of activities teachers use in the classroom, (2) teaching methods, (4) CLT and (5) CLT principles.

CLT Activities in the Classroom

Table (4.5): CLT activities in the classroom

No.	Statement		Always	Sometimes	Rarely	Never	Total
1	Fill in the blank	Percent	85.2	14.8	00.0	00.0	100.0
		Frequency	92	16	00	00	108
2	Silent reading	Percent	88.9	11.1	00.0	00.0	100.0
		Frequency	96	12	00	00	108
3	Role play	Percent	7.4	7.4	11.1	74.1	100.0
		Frequency	8	8	12	80	108
4	Translation	Percent	77.8	00.0	00.0	22.2	100.0
		Frequency	84	00	00	24	108
5	Drills	Percent	66.7	7.4	7.4	18.5	100.0
		Frequency	72	8	8	20	108
6	Problem solving	Percent	7.4	7.4	25.9	59.3	100.0
		Frequency	8	8	28	64	108
7	Modelling	Percent	7.4	14.8	40.7	37.0	100.0
		Frequency	8	16	44	40	108

CLT is a language teaching approach that emphasizes the communication of meaning, through communicative activities, rather than the practice of grammatical forms in isolation. It aims at developing the knowledge and skills language learners need for appropriate interpretation and use of a language in different communicative settings. Relating to the issue of classroom activities, a large majority of teachers, 85.2% (92) reported that they always use fill in the blank. An even greater number, 87.8% (96), reported that they always use silent reading.

77.8% (84) always use translation 66.7% (72) always use drills. These types of activities are not communicative, and they just teach grammar and right or wrong answers. The data reveals that teachers who participated in the study did not use CLT activities in their classrooms. Teachers relied more on grammar and reading activities, which were not communicative but rather lessons on explicit grammar rules. Teachers relied exclusively on the book. In class, all the activities individual work on book exercises, which were mainly grammar-centred. Teachers seemed to have problems in implementing communicative activities. In addition, students in the secondary schools had problems with discipline. Teachers perceived that the disruptive behaviour of students would become complicated if communicative activities were to be implemented. In order to implement an effective CLT approach in the classroom, teachers must begin by understanding the demands and procedures of the approach to be used. The data suggests that while teachers claim to understand CLT principles, without exception they failed to implement what was required of them, and thus, failed to provide opportunities for communicative interactions and activities in their classrooms.

Teaching Methods

Table (4.6): Teaching Methods

Teaching methods	Frequency	Percent
Direct method	24	22.2
CLT	12	11.1
Grammar translation method	60	55.6
Others	12	11.1
Total	108	100.0

Traditional teaching methods such as Grammar Translation Method and Direct Method do not help EFL students to communicate effectively in English (Littlewood, 2007). CLT advocates teaching practices that develop communicative competence in authentic contexts (Larsen-Freeman, 2000). It has been recognized as an effective approach to increase students' abilities to communicate in English (Savignon, 2001). To solve the problem caused by traditional methods, CLT has been introduced to EFL countries to improve students' abilities in using English in real contexts (Littlewood, 2007). However, most teachers in the current study (55.6%, or 60) use the grammar translation method to teach English. 22.2%(24) use the direct method. 11.1%(12) use other English teaching methods. Only 11.1% (12) use CLT.

Use of CLT

Table (4.7): Use of CLT

Statement	Frequency	Percent
Yes	84	77.8
No	24	2202
Total	108	100.0

When teachers in the current study were asked whether they have tried using CLT in their classes, more than three quarters (77.8%, 84) of the questionnaire participants responded positively, while the remaining 22.4% (24) said that they had never used CLT. In spite of the efforts and resources, numerous Sudanese teachers of English do not seem to have gone through any fundamental changes in their conception of effective CLT in their daily practices. That is, CLT has not received actual support. Although teachers claim to be followers of CLT, they are just paying lip service. In reality, there has been resistance due to lack of resources, large class size, limited instructional time, teachers' lack of language proficiency and sociolinguistic competence, examination pressure, and cultural factors that largely hinder and affect the implementation of CLT.

Principles of CLT

Table (4.8:) Principles of CLT

No	Statement	Answers		
		True	Don't Know	Not True
1	CLT is student/ learner-centred approach.	104	0	4
2	CLT emphasizes fluency over accuracy.	100	1	7
3	CLT emphasizes communication in a second language (L2).	106	1	1
4	CLT relies heavily on speaking and listening skills.	71	3	34
5	CLT requires teachers to have a high proficiency in English.	49	8	51
6	CLT involves only group work or pair work.	67	0	41
7	CLT requires higher knowledge of the target language culture	38	12	58
8	CLT involves no grammar teaching.	29	0	79
9	CLT involves teaching speaking only.	43	0	65
10	CLT is basically an ESL methodology, not EFL.	42	12	54

Table 16 features the response to one of the sections from the questionnaire. It was intended to elicit teachers' perceptions regarding the general principles of CLT. This question

involved ten items, some of which are descriptive characteristics of CLT, and the others are common misconceptions about CLT that have been reported. Responses to this question demonstrate Sudanese teachers' understanding of what is involved in CLTobservation. The interview data also showed that teachers had a certain understanding of CLT principles. The interview participants highlighted the use of language for communicative purposes, and the use of communicative activities in language teaching.

Difficulties and Challenges in Implementing CLT

Although most participants have tried using CLT in their classrooms and agreed that it is essential to utilize CLT to improve the effectiveness of English teaching practices in Sudan, they mention that there are many difficulties and challenges they face in their attempts to implement CLT.

Teacher-Related Difficulties and Challenges

In this category the questionnaire data revealed six major constraints related to the teachers themselves, which were later confirmed with the interview results. These reported difficulties involved:

1. Teachers' deficiency in spoken English,
2. Lack of knowledge about the appropriate use of language in context,
3. Lack of knowledge about the target language culture,
4. Few opportunities for teachers to get training in CLT,
5. Little time for developing materials for communicative classes.
6. Teachers' misconceptions about CLT.

Deficiency in Spoken English

Table (4.9): Deficiency in Spoken English

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	76	70.4
Challenge	24	22.2
Mild challenge	00.0	00.0
Not a challenge at all	8	7.4
Total	108	100.0

The questionnaire data showed that over 90% of respondents considered their own deficiency in spoken English as a challenge of some degree, prohibiting them from applying CLT in the classroom. Approximately one quarter, or 22.2% (24), of teachers considered it a "challenge" while a further 70.4% (76) considered it a "major challenge". Only 7.4% (8) respondents thought this was not a challenge at all. Considering the earlier argument in the literature review, stating that CLT requires fluency on the part of the teacher, the literature supports that this is indeed a big challenge in the effective use of CLT.

Lack of knowledge About the use of Language in Context

Table (4.10):Lack of Knowledge about the use of language in context

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	52	48.1
Challenge	44	40.7
Mild challenge	4	3.7
Not a challenge at all	8	7.4
Total	108	100.0

In recent decades teachers of EFL have been encouraged to implement CLT to help develop students' English abilities. This is due to the awareness of English being the most widely spoken language in the world, covering various areas such as technology, science, and business. The survey participants testified that their limited knowledge of the target language, as well as sociolinguistic aspects of the language served as barriers to implementing CLT in the classes. 40.7% (44) of the respondents named this as a challenge, while 48.1% (52) believed that this was a major challenge. Only 7.4% (8) respondents stated that this was not a challenge at all.

Lack of Knowledge about the Target Culture

Table (4.11): Lack of knowledge About the Target Culture

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	56	51.9
Challenge	44	40.7
Mild challenge	00	00,0
Not a challenge at all	8	7.4
Total	108	100.0

Concerning the target culture, over 90% of respondents consider their lack of knowledge relating to it to be a challenge of some degree. 51.9% (56) of teachers find it to be a major challenge in implementing CLT. 40.7% (44) find it a challenge. Only 7.4% (8) participants don't consider it a challenge at all. Generally, foreign language textbooks and materials contain information about and reflect the target culture, so that students can become proficient in the target culture.

Lack of Training in CLT

Table (4.12: Lack of training in CLT

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	80	74.1
Challenge	24	22.2
Mild challenge	00	00.0
Not a challenge at all	4	3.7
Total	108	100.0

The participants in the current study differed in their responses to the question regarding the opportunities they had for training or retraining in CLT. 22.2% (24) of the teachers considered this a challenge, while 74.1% (80) labelled it a major challenge. Only four (3.7%) participants felt that getting training in CLT was not a challenge at all. This variation in the participants' responses became clear after the interviews. Three of the interviewed participants reported that there were many opportunities for training in CLT: conferences, seminars, and workshops on CLT. For example, British Council in Khartoum organizes teaching workshops.

Lack of Time for Developing Communicative Materials

Table (4.13): Lack of time for developing communicative materials

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	80	74.1
Challenge	20	18.5
Mild challenge	8	7.4
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

Teachers stated that they lacked time for developing materials for communicative classes, which in turn became a constraint for them in using CLT. It was claimed that the prescribed secondary level course books (SPINE Series) are communicative in nature because they were published by experts in the field, who claim they are communicative. However, the respondents stated that they are highly structured and the units are based on the various grammar points. Thus, they felt that they had to develop extra materials and design their own activities in order to use CLT in the classrooms. According to the questionnaire data, 74.1% (80) of the respondents considered their lack of time as a major challenge facing them in their efforts to develop communicative materials. 18.5% (20) thought this was a challenge, while 7.4% (8) saw it as a mild challenge

Misconceptions About CLT

Table (4.14): Misconceptions about CLT

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	0	00.0
Challenge	4	3.7
Mild challenge	88	81.5
Not a challenge at all	16	14.8
Total	108	100.0

The questionnaire data revealed that teachers mostly had strong perceptions regarding what was involved in CLT (See Section 5.4.4). Even though there were some uncertainties with regard to a few items, the greater number of the participants appeared to be well aware of the general principles of CLT. Hence, the majority of the teachers confirmed that misconceptions about CLT were not truly obstacles for them to make use of communicative activities in the classes. 81.5% (88) of the respondents believed that misleading notions about CLT served only as a mild challenge. Further, 14.8% (16) teachers indicated that they were not a challenge at all. The remaining 3.7% (4) respondents noted that those misconceptions about CLT were serious barriers to implement CLT successfully in **English classes.**

Students-Related Difficulties and Challenges

The second major category of constraints was associated with the students. These concerns consisted of: the students' low English proficiency in general, the students' passive style of learning, the students' resistance to participate in communicative classroom activities, and their lack of motivation for developing communicative competence. It is worth noting that this study concerns teachers, but presenting some difficulties and challenges on part of the students is crucial, since they influence teachers' perceptions and practice of CLT in the classroom.

Low English Proficiency

Table (4.15(Low English Proficiency

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	96	88.9
Challenge	12	11.1
Mild challenge	00	00.0
Not a challenge at all	00	00.0
Total	108	100.0

The survey data demonstrated that students' low English proficiency was one of the

principal obstacles for the teachers to use CLT in English classrooms. 88.9%(96) of the survey participants admitted that their learners' low English proficiency was a major challenge. 11.1% (12) participants, in addition, named this as a challenge. The interviewed respondents reported that due to limited hours of instruction per week, students' progress was too slow. Consequently, the respondents complained that using CLT would be difficult as students' lack speaking abilities in English. The researcher noticed that students have very limited knowledge of English.

Passive Style of Learning

Table (4.16): Passive style of learning

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	80	74.1
Challenge	20	18.5
Mild challenge	4	37
Not a challenge at all	4	37
Total	108	100.0

It was remarkable to see that a great majority of the survey respondents found students' passive style of learning as a serious obstacle that prevented them from implementing CLT in the English classes. 74.1% (80) of respondents expressed that this stood as a major challenge. 18.5% (20) respondents regarded this as a challenge while, 3.7% (4) chose mild challenge as a response. Only four respondents didn't consider students' passive style of learning to be a challenge at all. The researcher observed that students have a passive style of learning. Many of the students indicated a preference for learning styles that were fundamentally incompatible with CLT. Students feel a little bit shy; they feel uncomfortable when they are asked to speak in English. They feel reluctant to speak in front of the whole class.

Resistance to Participate in Communicative Activities

Table (4.17): Resistance to Participate in Communicative Activities

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	84	77.8
Challenge	16	14.8
Mild challenge	4	3.7
Not a challenge at all	4	3.7
Total	108	100.0

Students' resistance to participating in communicative class activities was reported as another significant limitation to utilizing CLT in English classes in Sudan. Most of the survey participants 77.8%(84) reported that students' reluctance to engage in communicative class

activities emerged as a major challenge in applying CLT. 14.8% (16) saw it as a challenge.

Lack of Motivation for Developing Communicative Competence

Table (4.18): Lack of Motivation for Developing Communicative Competence

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	84	77.8
Challenge	16	14.8
Mild challenge	4	3.7
Not a challenge at all	4	3.7
Total	108	100.0

Students' lack of motivation for developing communicative competence was also referred to by the respondents as a significant constraint in CLT practices. Many learners have little immediate need to use English, and lack motivation to communicate in English outside the **classroom**. 77.8% (84) of participants labelled this as a major challenge, while 14.8%(16) asserted that it was a challenge. Moreover, 3.7%(4) teachers considered this point as a mild challenge, and another four of them reported that it was not a challenge at all. Most students do not see any practical value of communicative abilities; they still care more about English grammar than being able to speak the language. As reported by the interviewees, the reason for the ever-existing popularity of grammar can again be traced back to the issue of English teaching led by grammar-based examinations.

Educational System - Related Difficulties and Challenges

The third chief category of difficulties and challenges is related to the current educational system in Sudan. Within this category, four key constraints were listed: (1) lack of support and lack of authentic material, (2) traditional views on teachers' and learners' roles, (3) large classes, and (4) grammar-based examinations.

Lack of Support

Table (4.19): Lack of support

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	96	88.9
Challenge	8	7.4
Mild challenge	4	3.7
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

According to the questionnaire data, lack of support was one of the biggest challenges that EFL teachers had to deal with in their attempts to adopt CLT. More than three quarters of the teachers surveyed, 88.9% (96), reported lack of support as a major challenge. At the same

time, 7.4%(8) teachers regarded this as a challenge.

Traditional View on Teachers' and Learners' Roles

Table (4.20)Traditional view on teachers' and learners' roles

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	84	77.8
Challenge	12	11.1
Mild challenge	12	11.1
Not a challenge at all	0	00
Total	108	100.0

Concerning teachers' and learners' roles, the questionnaire data revealed that most teachers view the traditional role of teachers and learners as not being compatible with CLT. 77.8% (84) view that as a major challenge in implementing CLT. 11.1%(12) see it as a challenge. 11.1%(12) state this is a mild challenge.

Large Classes

Table (4.21): Large Classes

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	88	81.5
Challenge	12	11.1
Mild challenge	8	7.4
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

As was discussed earlier in this study, having large classes is one of the key problems in the Sudanese educational system in general (see section 5.3.1). The questionnaire data revealed that a large number of students in classes was also a serious barrier to the use of CLT. While, 81.5% (88) respondents considered this as a major challenge, 11.1% (12) viewed it as a challenge. There were only 7.4% (8) respondents who thought that large classes acted as a mild challenge for implementing CLT.

Grammar-Based Examinations

Table (4.22): Grammar-Based Examinations

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	100	92.5
Challenge	8	7.4
Mild challenge	0	00
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

As demonstrated by the questionnaire data, 92.5% (100) respondents thought that grammar-based exam types were a major challenge for them to implement CLT, while 7.4%(8) believed this was a challenge.

5.5.4 CLT-Related Difficulties and Challenges

The fourth and final category regarding the reported difficulties and challenges to use CLT in Sudan pertained to CLT itself. Two different problems were referred to by the respondents in this category: (1) the lack of effective and efficient assessment instruments, and (2) CLT's inadequate account of EFL teaching.

Lack of Effective and Efficient Assessment Instruments

Table (4.23) Lack of Effective and Efficient Assessment Instruments

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	92	85.2
Challenge	16	14.8
Mild challenge	0	7.4
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

CLT should be supported by communicative testing. Although there is a long way to go before this can be fully realized in Sudan due to economic and technical difficulties, it is still a goal towards which Sudanese teachers and policy makers should aim. Lack of effective and efficient assessment instruments was identified by the questionnaire respondents as one of the difficulties facing CLT. All respondents (100%) agreed that it presented a challenge of some degree, with the majority, 85.2% (92), citing it as a major problem. 14.8% (16) noted that it was a challenge. It was noteworthy that only 3.7%(4) respondents regarded this issue as a mild challenge.

Inadequate Account of EFL Teaching

Table (4.24) Inadequate Account of EFL Teaching

Statement	Frequency	Percent
Major challenge	88	81.5
Challenge	12	11.1
Mild challenge	8	7.4
Not a challenge at all	0	00.0
Total	108	100.0

The literature points out that CLT techniques, which originated in Western countries, are not always culturally attuned to EFL contexts. The survey participants expressed that CLT failed to give an adequate account of EFL teaching. According to a great majority of the respondents, 81.5%(88) of them, CLT's inadequate account of distinctive features of EFL teaching contexts produced a major challenge in terms of the implementation of CLT in Sudan. 11.1% (12) view this as a challenge, 7.4% (8) reported it as a mild challenge.

5.Conclusion

The study of teachers' thinking has become an interest in the field of education, especially in language teaching and learning, as it is a means of understanding teachers' behaviour in the classroom. Since teaching is a complex process, teachers have to confront a lot of activities, and in trying to understand how teachers deal with these dimensions of teaching, it is necessary to examine the beliefs and attitudes underlying teachers' classroom actions or behaviour. It is widely accepted that the attitudes and beliefs regarding a given subject inform one's behaviour towards it; thus, attitudes and beliefs about CLT shape teachers' practical implementation of CLT. In this study, an attempt has been made to discover secondary school teachers' attitudes towards the communicative approach alongside the possible constraints they face in implementing it in the Sudanese context of language teaching and learning. The findings of this study indicate that the majority of respondents have generally favourable attitudes towards CLT. In the literature, a lack of opportunity to receive training in CLT was referred to as another key challenge for teachers working in EFL contexts. In addition, students' low motivation to improve their communicative competencewas identified in the literature as a considerable challenge to be overcome. Teachers pointed out that students felt that they primarily needed to learn grammar, and thus they did not have much motivation to develop their spoken English for communicative purposes. Lastly, the respondents heavily emphasized CLT's inadequate account of EFL teachingas a major constraint in employing CLT in English classrooms. Teachers noted that there are considerable differences between EFL and ESL teaching. These differences include: the purposes of learning English, the

learning environments, the teachers> English proficiency, and the availability of authentic English materials.

Recommendations

1. Syllabus designers should take into account teachers> attitudes and beliefs about CLT.
2. Teachers> heavy workload should be decreased in order to increase their work conditions and quality of teaching.
3. The average number of students per English class must be dramatically reduced as a matter of priority.
4. Oral evaluation assessment should be included in the university entrance exam and in the Sudanese secondary school system in general.
5. The target language should be used as a vehicle for communication.
6. To combat the generally low level of speaking skills among Sudanese EFL teachers, a language improvement component should be included in teacher training programs.
7. Teachers in Sudan must receive more professional development.
8. Teachers need more freedom to incorporate authentic materials and to supplement the prescribed textbooks..
9. CLT must be adapted for use in EFL settings.

REFERENCES

Amores, M. (1997): A new perspective on peer-editing. Foreign

Breen, M and Candlin, C. (1980):The Essential of A communicative Curriculum language Teaching. Applied Linguistics. 1(2) 89112-

Buraby, B. and y. Sun (1984). Introduction to research methods. London: Sage.

Burnaby B. and Y.Sun. (1989): Chinese teachers> views of western language teaching: context informs paradigms>. TESOL Quarterly 23238-219 ,3/.

Creswell, J. W. (2003). Research design: Quantitative, qualitative, and mixed methods approaches (2nd ed.). Thousand Oaks, CA: Sage.

Ellis, E.M. (1996) gualism among Teachers of English as a Second Language: (Doctoral thesis, Griffith University, 2003).

Ellis, G. (2003) culturally appropriate is the communicative approach? ELT Journal, 50(3), 213218-.

Halliday, M. A. K. (1994): Language as Social Semiotic. London: Edward Arnold.

Hui, G. (2002):Potential Cultural Resistance to Pedagogical Imports:

in EFL classroom. Procedia Social and Behavioral Sciences, 1, 618622-.

Gorsuch, G. (2000): EFL educational policies and educational cultures: Influences on teachers> approval of communicative activities. TESOL Quarterly, 34,67571-

Li, D. (1998): It>s always more difficult than you plan and imagine: Teachers> perceived

difficulties in introducing the communicative approach in South Korea. TESOL Quarterly, 32 (4), 677703-.

Li, D. (2004): Chinese EFL teachers' perceptions of implementation of communicative language teaching at tertiary level (Unpublished master's thesis). McGill University, Montreal, Canada.

Littlewood, W. (1981):Communicative Language Teaching: An Introduction. Cambridge: Cambridge University Press..

Rao, Z.H. (2002): Chinese students' perceptions of communicative and non-communicative activities in EFL classroom. System, 30(1), 85105-. Research, 8(2), 199222-.

Richards, J.C., & T.S. Rodgers.(1986)):Approaches and Methods in Language Teaching. Cambridge: Cambridge University Press.

Richards,C and S. Rodgers. (2001): Approaches and Methods in

Modern Language Journal, 83 (4), 49417 5-.

Tarvin, W.L., & Al-Arish, A. Y. (1991): Rethinking communicative language teaching: Reflection and the EFL classroom. TESOL Quarterly, 25, 927-.

Tashakkori, A., & Teddlie, C. (1998). Mixed methodology: Combining qualitative and quantitative approaches. Thousand Oaks, CA: Sage.